كتاب الأغاني
الجزء الثاني عشر

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل

لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

أخبار الأعشى
وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره

كان الأعشى قدرياً ولبيد مجبّراً:

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أَحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمَّاد الراوية عن سِماك بن حَرب عن يونس بن متّى راويةِ الأعشى قال:

كان لبيدٌ مُجَبّراً[١] حيث يقول:

مَن هَداهُ سُبُلَ الخير اهتدى ناعمَ البال ومَن شاء أَضلّ

[الرمل]

وكان الأعشى قَدَرِيّاً[٢] حيث يقول:

إستأثر اللَّهُ بالوَفاء وبالـ ـعدل وولَّى الملامة الرَّجُلا

[الخفيف]

فقلت له: من أين أخذ هذا؟ فقال: أخذه من أَساقفة نجران. وكان يعود في كل سنةٍ إلى بني عبد المدان، فيمدحهم ويُقيم عندهم ويشرب الخمر معهم وينادمهم، ويسمع من أساقفة نجران قولهم؛ فكلُّ شيء في شعره من هذا فمنهم أخذه.

خبر أساقفة نجران مع النبيّ ﷺ

فأمَّا خبر مباهلتهم[٣] النبيَّ ﷺ، فأخبرني به عليّ بن العبَّاس بن الوليد البجليُّ المعروف بالمَقانعيّ الكوفيّ قال أنبأنا بكَّار بن أَحمد بن إليسع الهمداني قال حدثنا عبد اللَّه بن موسى عن أَبي حمزة عن شَهر بن حَوشَب. قال بكَّار وحدثنا

(١) الجبرية: قومٌ يقولون بالجبر، والجبر هو إسناد أفعال العباد إلى اللَّه سبحانه وتعالى إيجاداً وتأثيراً، فالعبد ليس له أي خيار في تصرفاته.

(٢) القَدَرية: قومٌ ينكرون القدر، وينسبون كل أفعال العباد لأنفسهم ويقولون إن اللَّه سبحانه وتعالى لم يقدِّر أي شيء على عباده من خير أو شر وإنما أفعالهم موكولة إلى إرادتهم.

(٣) المباهلة: الملاعنة.

إسماعيل بن أبانٍ العامريّ عن عيسى بن عبد اللَّه بن محمد بن عمر بن عليّ عن أَبيه عن جده عن عليٍّ عليه السلام، وحديثه أتم الأحاديث. وحدثني به جماعة آخرون بأسانيد مختلفةٍ وألفاظ تزيد وتنقص: فمن حدثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن حيَّان بن علي عن الكلبي عن أَبي صالح عن ابن عبَّاس، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد اللَّه بن علي بن أبي رافع عن أَبيه عن جدّه عن أَبي رافع. وأَخبرني عليّ بن موسى الحِمَيريُّ في كتابه قال حدثنا جَندل بن والقٍ قال حدثنا محمد بن عمر عن عبَّاد الكُلَيبي عن كاملٍ أَبي العلاء عن أَبي صالح عن ابن عبَّاس. وأخبرني أَحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدثنا أَبي قال حدثنا حُصَين بن مُخارقٍ عن عبد الصمد بن علي عن أَبيه عن ابن عبَّاسٍ. قال الحصين وحدثني أَبو الجارود وأَبو حمزة الثمالي عن أَبي جعفر، قال: وحدثني حَمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام. قال حصين وحدثني سعيد بن طريفٍ عن عِكرمة عن ابن عباس. وممن حدثني أَيضاً بهذا الحديث علي بن العبَّاس عن بكَّار عن إسماعيل بن أَبان عن أَبي أوَيس المدنيّ عن جعفر بن محمد وعبد اللَّه والحسن ابني الحسن. وممن حدثني به أَيضاً محمد بن الحسين الأشنانيُّ قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أَبي جعفر عليه السلام. وممن أَخبرني به أَيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفيّ عن محمد بن عمرو الخشَّاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبيّ، واللفظ للحديث الأول. قالوا:

قدِم وَفد نصارى نجران وفيهم الأُسقفُّ، والعاقب وأبو حبشٍ، والسيِّد، وقيس، وعبد المسيح، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ـ وقال شهر بن حَوشب في حديثه: وهم أربعون حَبْراً ـ حتى وقفوا على اليهود في بيت المِدراس[1]، فصاحوا بهم: يا ابنَ صورِيَّا يا كعب بن الأشراف، أَنزِلوا يا إخوة القرود والخنازير. فنزلوا إليهم؛ فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً قد غلبكم! أَحضِروا الممتحنة لتمتحنه غداً. فلما صلى النبيُّ ﷺ الصبح، قاموا فبركوا بين يديه، ثم تقدّمهم الأسقفُّ فقال: يا أَبا القاسم، موسى مَن أَبوه؟ قال: عِمران. قال: فيوسف مَن أَبوه؟ قال: يعقوب. قال: فأنتَ مَن أَبوك؟ قال: أَبي عبد اللَّه بنُ عبد المطَّلب. قال: فعيسى مَن أَبوه؟ فسكت رسول اللَّه ﷺ؛ فانقضَّ عليه جبريل عليه السلامُ فقال: «إن مثَل عيسى

(١) بيت المِدراس: هو المكان الذي يتخذه اليهود لتلاوة توراتهم ومدارستها بينهم.

عند اللَّه كمثَل آدم خلقه من ترابٍ» فتلاها رسول اللَّه ﷺ؛ فنزا[١] الأسقفُ ثم دِير به مغشيّاً عليه، ثم رفع رأسه إلى النبيّ ﷺ فقال له: أتزعم أنَّ اللَّه جلّ وعلا أوحى إليك أَنّ عيسى خُلِق من تراب! ما نجدُ هذا فيما أُوحي إليك، ولا نجده فيما أُوحي إلينا؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحي إليهم.

فأوحى اللَّه تبارك وتعالى إليه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. فقال: أنصفتنا يا أَبا القاسم، فمتى نُباهلك؟ فقال: بالغداة إن شاء اللَّه تعالى.

وٱنصرف النصارى. وٱنصرفتِ اليهود وهي تقول: واللَّه ما نُبالي أَيَّهما أهلك اللَّه الحنيفِيَّة أَو النصرانية. فلما صارت النصارى إلى بيوتها قالوا: واللَّه إنَّكم لتعلمون أنه نبيٌّ، ولئن باهلناه إنَّا لنخشى أَن نهلك، ولكن ٱستقيلوه لعله يقيلُنا.

وغدا النبيُّ ﷺ من الصبح وغدا معه بعَليٍّ وفاطمةَ والحسن والحُسين صلواتُ اللَّه عليهم. فلما صلى الصبح، ٱنصرف فٱستقبل الناس بوجهه، ثم برك باركاً، وجاء بعليٍّ فأقامه بين يديه، وجاء بفاطمة فأقامها بين كتِفَيه، وجاء بحسنٍ فأقامه عن يمينه، وجاء بحسَينٍ فأقامه عن يساره. فأقبلوا يستترون بالخُشْب والمسجدِ فَرَقاً[٢] أَن يبدأَهم بالمُباهلة إذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا: يا أَبا القاسم، أَقِلنا أقالك اللَّه عَثرتَك. فقال النبيّ ﷺ: «**نعم**» ـ قال: ولم يُسأَل النبيُّ ﷺ شيئاً قطُّ إلَّا أعطاه ـ فقال: «**قد أَقَلتكم فولَّوْا**».

فلمَّا ولَّوْا قال النبيُّ ﷺ: «**أَما والذي بعثني بالحقِّ لو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض نَصرانيٌّ ولا نصرانيَّة إلَّا أهلكهم اللَّه تعالى**». وفي حديث شَهر بن حَوشب أن العاقب وثب فقال: أُذكِّركم اللَّهَ أن نُلاعن هذا الرجل! فواللَّه لئن كان كاذباً ما لكم في ملاعنته خيرٌ، ولئن كان صادقاً لا يحول الحَول[٣] ومنكم نافخ ضَرَمةٍ[٤]. فصالحوه ورجعوا.

خبر قبة نجران:

وأمَّا خبر القُبَّة الأدَمِ التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمي وحبيبُ بن نصر

---

(١) نزا: نزا نَزواً ونُزاء أي وثب وثوباً. (٢) فَرَقاً: خوفاً.
(٣) يحول الحول: يمضي العام.
(٤) نافخ ضرمة: نافخ الجمرة، يقال ما في الدار نافخ ضرمة كناية عن خلوِّها من النَّاس.

المهلَّبي قالا حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني علي بن عمرو الأنصاري عن هشام بن محمد عن أَبيه قال:

كان عبد المسيح بن دارس بن عربيٍّ بن مُعَيقرٍ من أهل نجران، وكانت له قبَّة من ثلاثمائة جلدِ أديم، وكان على نهر بنجران يقال النُّجَيردان. قال: ولم يأتِ القبَّة خائفٌ إلَّا أمِن، ولا جائعٌ إلَّا شبع؛ وكان يستغلّ من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينارٍ، وكانت القبَّة تستغرق ذلك كله. وكان أوّل من نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المَدان بن الدَّيَّان. وذلك أَنّ عبد المسيح بن دارسٍ زوَّج يزيد بنَ عبد المدان ابنته رُهَيمة، فولدت له عبد اللَّه بن يزيد؛ فهم بالكوفة: ومات عبد المسيح، فانتقل ماله إلى يزيد؛ فكان أوّل حارثيّ حلّ في نجران. وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة:

فكعبةُ نجران حَتمٌ عليـ ـك حتى تُناخي[1] بأَبوابها
نزورُ يزيد وعبدَ المسيح وقيساً هُمُ خير أربابها

[المتقارب]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أَبيه قال حدثني بعض بني الحارث بن كعب، وأخبرني عمي قال حدثني عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني عبد اللَّه بن الصبَّاح عن ابن الكلبي عن أَبيه قال:

اجتمع يزيد بن عبد المَدان وعامرُ بن الطُّفَيل بموسم عُكاظَ، وقَدِم أُمية بن الأسكر الكنانيُّ ومعه ابنةٌ له من أَجمل أَهل زمانها، فخطبها يزيد وعامرٌ. فقالت أُمّ كلابٍ امرأةُ أُميَّة بنِ الأسكر: مَن هذان الرجلان؟ فقال: هذا يزيد بن عبد المدان بن الديَّان، وهذا عامر بن الطّفَيل. فقالت: أعرف بني الديَّان ولا أعرف عامراً. فقال: هل سمعت بملاعِب الأسنَّة[2]؟ فقالت نعم. قال: فهذا ابنُ أخيه. وأقبل يزيد فقال: يا أُمية، أنا ابن الديَّان صاحبُ الكثيبِ، ورئيس مذحج، ومُكَلِّم العقاب، ومَن كان يُصَوّب أَصابعه فتنطف[3] دماً، ويَدلكَ راحتيه فتُخرجان ذهباً. فقال أُميَّة: بَخ بَخ[4]. فقال عامر: جَدّي الأخرمُ، وعمي مُلاعبُ الأسنَّة، وأَبي فارسُ قُرزُل. فقال أُميَّة: بَخْ بَخْ! مَرعًى ولا كالسعدان. فأرسلها مثلاً.

(١) تُناخي: النّوخة الإقامة، وتناخي تعني تقيم.
(٢) مُلاعب الأسِّنة: هو عامر بن مالك، أبو البراء.
(٣) تنطف: تقطر، ونطف سال.
(٤) بَخٍ بخٍ: تقال عند الرضى والإعجاب بالشيء، أو عند الفخر والمدح.

فقال يزيد: يا عامرُ، هل تعلَم شاعراً من قومي رحَل بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك؟ قال: اللَّهمّ لا. قال: فهل تعلم أَنَّ شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال اللَّهمَّ نعم. قال: فهل لكم نجمٌ يمانٍ أَو بُردٌ يمانٍ أَو سيفٌ يمانٍ أَو رُكنٌ يمانٍ؟ قال لا. قال: فهل مَلَكناكم ولم تملكونا؟ قال نعم. فنهض يزيد وأنشأ يقول:

أُمَـيَّ يـا ابـنَ الأسـكـر بـن مُـدلِـج ... لا تـجـعَـلَـنْ هَـوازنـاً كـمَـذحِـج
إنَّـك إِن تَـلـهـجْ بـأمـرٍ تَـلـجِـج[١] ... مـا النـبـع[٢] في مَغرسه كـالـعوسجِ[٣]
ولا الـصَّـريـحُ[٤] الـمَـحـضُ كـالـمُـمَـزَّجِ[٥]

[الرجز]

قال: فقال مُرَّةُ بن دودان النُّفَيليّ وكان عدوّاً لعامر:

يـا لـيـتَ شِـعـري عـنـك يـا يـزيـدُ ... مـاذا الـذي مـن عـامـرٍ تُـريـدُ
لـكـلّ قـومٍ فـخـركـم عـتـيـدُ ... أُمـطـلـقـون نـحـن أم عـبـيـدُ
لا بـل عـبـيـدٌ زادُنـا الـهَـبـيـد[٦]

[الرجز]

قال: فزوَّج أُمية يزيد بن عبد المدان ابنته. فقال يزيد في ذلك:

يـا لـلـرّجـال لـطـارق الأحـزان ... ولـعـامـر بـن طُـفَـيـلٍ الـوَسـنـانِ
كـانـت إتـاوةُ قـومـه لـمـحـرِّقٍ ... زمـنـاً وصـارتْ بـعـد لـلـنُـعـمـانِ
عَـدَّ الـفـوارس مـن هَـوازن كـلِّـهـا ... فـخـراً عـلـيّ وجـئـتُ بـالـديَّـانِ
فـإذا لـيَ الـشـرَف الـمـبـيـن بـوالـدٍ ... ضـخـم الـدَّسـيـعـة زانـنـي ونَـمـانـي
يـا عـامُ إنـك فـارسٌ ذو مَـيـعـةٍ ... غَـضّ الـشـبـاب أخـو نـدًى وقـيـانِ
واْعـلـمْ بـأنـك بـابـن فـارس قُـرزُلٍ[٧] ... دون الـذي تـسـعـى لـه وتُـدانـي
لـيـسـتْ فـوارسُ عـامـرٍ بـمـقِـرّةٍ ... لـك بـالـفـضـيـلـة فـي بـنـي عَـيـلانِ
فـإذا لـقـيـتَ بـنـي الـحِـمـاس ومـالـكٍ ... وبـنـي الـضِّـبـاب وحـيّ آل قَـنـانِ
فـاْسـأل عـن الـرَّجـل الـمُـنـوَّه بـاسـمـه ... والـدافـع الأعـداءَ عـن نـجـرانِ

(١) تلجج: تخاصم.
(٢) النبع: ضرب من الشجر ينبت في أعالي الجبال تتخذ منه القسي والسهام.
(٣) العوسج: نوع من الشوك.
(٤) الصَّريح: الخالص من كل شيء.
(٥) الممزَّج: الممزوج بغيره، المخلوط.
(٦) الهبيد: الحنظل.
(٧) قرزل: اسم فرس الطفيل بن مالك.

يُـعـطـى الـمـقـادةَ فـي فـوارس قَـومـه كَـرَمـاً لـعـمـرُك والـكـريـم يَـمـانـي
[الكامل]

فقال عامر بن الطُّفَيل:

عـجـبـاً لـواصـف طـارق الأحـزان ولِـمَـا يـجـيء بـه بـنـو الـديَّـانِ
فـخـرُوا عـلـيَّ بـحـبـوةٍ[١] لـمـحَـرِّقٍ وإتـاوةٍ سِـيـقـتْ إلـى الـنـعـمـانِ
مـا أنـت وابـنَ مُـحـرّقٍ وقـبـيـلـه وإتـاوةُ الـلَّـخـمـيّ[٢] فـي عَـيـلانِ
فـاْقـصـد بـفـخـرك قـصـد قـومـك قُـصـرةً ودعِ الـقـبـائـل مـن بـنـي قَـحـطـانِ
إن كـان سـالـفـةُ الإتـاوة فـيـكـم أوْ لَا فـفـخـرك فـخـرُ كـلّ يـمـانـي
واْفـخـر بـرَهـط بـنـي الـحـمـاس ومـالـكٍ وبـنـي الـضِّـبـاب وزَعـبـلٍ وقَـنـانِ
فـأنـا الـمـعـطَّـمُ وابـن فـارس قُـرزُلٍ وأَبـو بَـراءٍ زانـنـي ونـمـانـي
وأَبـو جُـزَيْءٍ ذو الـفـعـال ومـالـكٌ مَـنَـعـا الـذّمـار صـبـاح كـلّ طِـعـانِ
وإذا تـعـاظـمـتِ الأمـور هَـوازنٌ كـنـت الـمـنَـوَّه بـاْسـمـه والـبـانـي
[الكامل]

فلمَّا رجع القوم إلى بني عامر، وثبوا على مُرَّة بن دودان وقالوا له: أَنت من بني عامر، وأَنت شاعرٌ، ولم تَهجُ بني الدَّيَّان! فقال مُرَّةُ:

تُـكَـلِّـفـنـي هـوازنُ فـخـرَ قـومٍ يـقـولـون: الأنـامُ لـنـا عـبـيـدُ
أَبـونـا مَـذحِـجٌ وبـنـو أبـيـه إذا مـا عُـدَّتِ الآبـاءُ هُـودُ[٣]
وهـل لـي إن فـخـرْتُ بـغـيـر حـقٍّ مَـقـالٌ والأنـامُ لـهـم شـهـودُ
فـأنّـى تَـضـرِبُ الأعـلامُ[٤] صَـفـحـاً عـن الـعـلـيـاء أم مَـن ذا يـكـيـدُ
فـقـولـوا يـا بـنـي عَـيـلانَ كـنَّـا لـهـم قِـنّـاً[٥]، فـمـا عـنـهـا مَـحـيـدُ
[الوافر]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية: قَدِم يزيد بن عبد المدان وعمرو بن معد يكرب ومَكشوحٌ المُراديّ على ابن جَفنة زُوَّاراً، وعنده وجوه[٦] قَيس: مُلاعبُ الأسنَّة

(١) حبوة: العطية، الهِبة.
(٢) اللَّخمي: منسوب إلى وادٍ بالحجاز يسمى لُخَمة.
(٣) هود: مفردها هائد وهو الراجع إلى الحق.
(٤) الأعلام: المعروفون، المشهورون. (٥) القِّن: العبد الذي مُلِك هو وأبواه.
(٦) وجوه: مفردها وجه، وهو السيِّد في قومه.

عامر بن مالك، ويزيد بن عمرو بن الصَّعِق، ودُرَيد بن الصِّمَّة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان: ماذا كان يقول الدَّيَّان إذا أَصبح فإنه كان ديَّاناً[١]. فقال: كان يقول: آمنتُ بالذي رفع هذه (يعني السماء)، ووضع هذه (يعني الأرض)، وشقَّ هذه (يعني أصابعه)، ثم يخرُّ ساجداً ويقول: سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم[٢]، وما جشَّمني من شيءٍ فإني جاشم[٣]. فإذا رفع رأسه قال:

إن تَـغـفِـر الـلَّـهـمَّ تَـغـفِـر جَـمَّـا وأيُّ عَـبـدٍ لـك مـا أَلَـمَّـا

[الرجز]

فقال ابن جفنة: إنَّ هذا لذو دينٍ. ثم مال على القيسيين وقال: ألا تحدِّثوني عن هذه الرياح: الجنوب والشمال والدَّبور والصَّبا والنَّكباء، لمَ سميتْ بهذه الأسماء؛ فإنه قد أعياني عِلمها؟ فقال القوم: هذه أسماءٌ وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها. فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال: يا خيرَ الفتيان، ما كنت أَحسبُ أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوَبَر. إنَّ العرب تضرب أبياتها في القِبلة مَطلع الشمس، لِتُدفِئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف. فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب، وما هَبَّ عن شماله فهي الشمال، وما هَبَّ من أمامه فهي الصَّبا، وما هَبَّ من خلفه فهي الدَّبور، وما ٱستدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكباء. فقال ابن جفنة: إنَّ هذا للعِلم يا ابن عبد المدان. وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المُنذر، فعابوه وصغَّروه. فنظر ابنُ جفنة إلى يزيد فقال له: ما تقول يا ابنَ عبد المدان؟ فقال يزيد: يا خير الفتيان، ليس صغيراً مَن مَنعك العراق، وشركك في الشام، وقيل له، أبَيتَ اللَّعن، وقيل لك: يا خيرَ الفتيان، وألفى أباه ملكاً كما ألفيت أباك ملكاً؛ فلا يسرُّك مَن يغرُّك؛ فإنَّ هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه. وأيمُ اللَّه ما فيهم رجلٌ إلَّا ونعمة النعمان عنده عظيمة!

فغضب عامرُ بن مالك وقال له: يا ابن الديَّان! أَمَا واللَّه لتحتلبنَّ بها دَماً! فقال له: ولِمَ؟ أَزيدَ في هوازن من لا يعرفه؟ فقال: لا! بل هم الذين تعرِف فضحك يزيد ثم قال: ما لهم جُرأةُ بني الحارث، ولا فَتك مُراد، ولا بأسُ زُبَيد، ولا كَيد جُعفيّ، ولا مُغارُ طيِّء. وما هم ونحن يا خير الفتيان بسواء، ما قتلنا أسيراً قطُّ، ولا ٱشتهينا حُرَّةً قط، ولا بكينا قتيلاً حتى نُبيءَ[٤] به. وإن هؤلاء ليَعجزون عن ثأرهم، حتى يُقتل

(١) الدَيَّان: الحاكم.
(٢) عاشم: طامع، وهنا طامع بالمغفرة والرَّحمة.
(٣) جاشِم: جَشِمَ الأمر: تحمَّله على مشَقَّة.
(٤) نبيء به: نقتل به قاتله.

السَّميُّ بالسميّ، والكنيُّ بالكنيّ، والجارُ بالجارِ. وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيِّين شعراً غَدَا به على ابن جَفنة:

تمالَا على النعمان قومٌ إليهمُ ... مَواردُه في مُلكه ومَصادرُهْ
على غير ذنبٍ كان منه إليهمُ ... سِوى أَنَّه جادتْ عليهم مَواطرُهْ
فباعدهم مِن كلّ شرٍّ يخافه ... وقرّبهم من كلّ خيرٍ يُبادرُهْ
فظنُّوا ـ وأعراضُ الظنون كثيرةٌ ـ ... بأنَّ الذي قالوا من الأمر ضائرُهْ
فلم يَنقصوه بالذي قيل شَعرةً ... ولا فُلِّلَتْ[1] أنيابُه وأظافرُهْ
ولَلحارثُ الجَفنيُّ أعلمُ بالذي ... ينوءُ به النعمان إن خفَّ طائرُهْ
فيا حارُ كم فيهم لنعمان نعمة ... من الفضل والمنّ الذي أَنا ذاكرُهْ
ذنوباً عفَا عنها ومالاً أفاده ... وعَظماً كسيراً قَوَّمَته جَوابرُهْ
ولو سال عنك العائبين ابن منذرٍ ... لقالوا له القول الذي لا يُحاورُهْ

[الطويل]

قال: فلما سمع ابن جفنة هذا القول عظُم يزيد في عينه، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطيَّة لم يُعطِها أحداً ممن وفد عليه قطُّ.

فلمَّا قرّب يزيد ركائبه ليرتحل سمع صوتاً إلى جانبه، وإذا هو رجلٌ يقول:

أمَا من شفيعٍ من الزائرين ... يحبّ الثَّنا زَندُه ثاقبُ[2]
يُريد ابن جفنة إكرامه ... وقد يمسَح الضَّرَّة[3] الحالبُ
فيُنقذَني من أَظافيره ... وإلَّا فإنِّي غداً ذاهبُ
فقد قلتُ يوماً على كُربةٍ ... وفي الشَّرب[4] في يَثرِب غالبُ
أَلَا ليتَ غسَّان في مُلكها ... كلَخمٍ، وقد يُخطىءُ الشاربُ
وما في ابن جفنة من سُبَّةٍ ... وقد خفّ حِلمي بها العازبُ
كأنّي غريبٌ من الأبعدين ... وفي الحَلق مِنّي شجاً ناشبُ

[المتقارب]

---

(١) فُلِّلَت أنيابه: كُسِّرَت أنيابه.
(٢) زنده ثاقب: كناية عن الكرم والخصال المحمودة.
(٣) الضَّرَّة: أصل الثدي، أو هي الضَّرع كله، جمعها ضرائر.
(٤) الشَّرب: جماعة الشاربين.

فقال يزيد: عليَّ بالرجل، فأُتي به. فقال: ما خَطبُك؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا! بل قاله رجلٌ من جُذام جفاه ابن جفنة، وكانت له عند النعمان منزلةٌ، فشرب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابن جفنة فحبسه، وهو مُخرجه غداً فقاتله. فقال له يزيد: أَنا أُغنيك. فقال له: ومن أنت حتى أعرفك؟ فقال: أَنا يزيد بن عبد المدان. فقال: أَنت لها وأبيك؟ قال: أَجَلْ! قد كفيتُك أمرَ صاحبك، فلا يسمعنَّك أحدٌ تُنشد هذا الشعر. وغدا يزيد على ابن جفنة ليودّعه؛ فقال له: حيَّاك اللَّه يا ابن الديَّان! حاجتك. قال: تُلحق قُضاعة الشام بغسَّان، وتُؤثر مَن أتاك من وفود مَذحِج، وتهب لي الجُذاميّ الذي لا شفيع له إلَّا كرمُك. قال: قد فعلتُ. أمَا إنِّي حبسته لأهَبَه لسيِّد أهل ناحيتك، فكنت ذلك السيِّد، ووهبه له. فاحتمله يزيد معه، ولم يَزَلْ مجاوراً له بنجران في بني الحارث بن كعب. وقال ابن جفنة لأصحابه: ما كانت يميني لتَفيَ إلَّا بقتله أو هِبته لرجلٍ من بني الديَّان؛ فإنَّ يميني كانت على هذين الأمرين. فعظم بذلك يزيد في عين أهل الشام ونَبُه ذكره وشرُف.

إستغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه:

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية عن أَبيه: جاور رجلان من هوازن، يقال لهما عمرٌو وعامر، في بني مُرَّة بن عَوف بن ذبيان، وكانا قد أصابا دماً في قومهما. ثم إنَّ قيس بن عاصم المِنقريّ أَغار على بني مُرَّة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامراً أسيراً في عدَّة أُسارى كانوا عند بني مُرَّة، ففدَى كلُّ قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهَوازنيّ، فاستغاث أَخوه بوجوه بني مُرَّة: سنانَ بن أَبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حَرملةَ والحُصَين بن الحُمام فلم يُغيثوه، فركب إلى موسم عُكاظ، فأتى منازل مَذحِجٍ ليلاً فنادى:

دعوتُ سناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً ... وعاليتُ دعوى بالحُصَين وهاشمِ
أُعَيِّرهم في كلّ يومٍ وليلةٍ ... بتَرْكِ أسيرٍ عند قيس بن عاصمِ
حليفهمُ الأدنى وجارِ بيوتهم ... ومَن كان عمَّا سرَّهم غير نائم
فصَمُّوا وأحداثُ الزمان كثيرةٌ ... وكم في بني العَلَّات[1] من مُتصامِم[2]
فيا ليتَ شِعري مَن لإطلاقِ غُلِّهِ ... ومَن ذا الذي يحظى به في المواسم

[الطويل]

(١) بنو العلَّات: بنو أمهات مختلفة وأب واحد.
(٢) مُتصامِم: يُري أنَّه أصمّ.

قال: فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

أَلَا أَيُّـهـذا الـذي لـم يُـجَـبْ عـلـيـك بـحـيٍّ يُـجَـلّـي الـكُـرَبْ
عـلـيـك بـذا الـحـيّ مـن مَـذحِـج فـإنَّـهـمُ لـلـرّضـا والـغـضـبْ
فـنـادِ يـزيـدَ بـن عـبـدِ الـمَـدانِ وقَـيـساً وعـمـرَو بـن مَـعـدِ يـكـرِبْ
يَـفُـكُّـوا أخـاكَ بـأمـوالـهـم وأَقـلِـل بـمـثـلـهـم فـي الـعـربْ
أُولاكَ الـرؤوس فـلا تَـعـدُهُـمْ ومَـن يـجـعـل الـرأسَ مـثـل الـذَّنـبْ!

[المتقارب]

قال: فاتَّبع الصوت فلم يرَ أحداً، فغدا على المكشوح، واسمه قيس بن عبد يَغوثَ المُراديّ، فقال له: إنّي وأخي رجلان من بني جُشَمَ بن مُعاوية أصبنا دماً في قومنا، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مُرَّة وأخي فيهم مُجاورٌ فأخذه أَسيراً، فاستغثتُ بسنان بن أَبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني. فأتيتُ المَوسم لأصيبَ به من يَفُكّ أخي، فانتهيت إلى منازل مَذحِج، فناديتُ بكذا وكذا، فسمعت من الوادي صوتاً أجابني بكذا وكذا، وقد بدأتُ بك لتفُكّ أخي. فقال له المكشوح: واللَّه إنَّ قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطُّ ولا هو لي بجارٍ، ولكن اشترِ أخاك منه وعليَّ الثمن، ولا يمنعك غلاؤه. ثم أتى عمرَو بن مَعد يكرب فقال له مثلَ ذلك؛ فقال: هل بدأتَ بأحدٍ قبلي؟ قال: نعم! بقيس المكشوح. قال: عليك بمن بدأتَ به. فتركه، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له: يا أَبا النَّضر، إنَّ من قصتي كذا وكذا. فقال له: مرحباً بك وأهلاً، أَبعثُ إلى قيس بن عاصم؛ فإن هو وهب لي أخاك شكرتُه، وإلا أغرتُ عليه حتى يَتَّقيني بأخيك؛ فإن نِلتها وإلَّا دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنجران فاشتريتَ بهم أخاك. قال: هذا الرضا. فأرسل يزيد إلى قَيس بن عاصمٍ بهذه الأبيات:

يـا قَـيـسُ أَرسِـل أسـيـراً مـن بـنـي جُـشَـمٍ إنـي بـكـلّ الـذي تـأتـي بـه جـازي
لا تـأمَـنِ الـدَّهـر أن تـشـجـى بـغُـصَّـتـه فـاختـر لـنـفـسـك إحـمـادي وإعـزازي
فـافـكُـك أخـا مِـنـقـرٍ عـنـه وقُـلْ حـسـنـاً فـيـمـا سُـئِـلـتَ وعَـقِّـبْـهُ بـإنـجـازِ

[البسيط]

قال: وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم؛ فأنشده إياها، ثم قال له: يا أَبا عليّ، إنَّ يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنَّ المعروف قُروض[1]، ومع

(١) قُرُوض: مفردها قَرض، وهو ما سلَّفت من إساءة أو إحسان، وما تعطيه لتُقضاه.

اليوم غدٌ. فأطلِق لي هذا الجُشَميّ؛ فإنَّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرَّة وبعمرو بن معد يكرب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِب عندهم حاجته فاستجار بي. ولو أرسلتَ إليّ في جميع أُسارى مُضَرَ بنجران لقضيتُ حقَّك. فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بني تميم: هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيِّد مَذحِج وابنِ سيِّدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ، وهذه فُرصةٌ لكم، فما تَرَون؟

قالوا: نرى أن نُغلِيَه عليه ونحكم فيه شططاً[١]؛ فإنه لن يخذُله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله. فقال قيس: بئس ما رأيتم! أمَا تخافون سجال الحروب ودُوَل الأيام ومُجازاةَ القروض! فلمَّا أبَوْا عليه قال: بيعونيه، فأغلَوْه عليه، فتركه في أيديهم، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى، وأعلمه أنّ الأسير لو كان في يده أَو في مِنقر لأخذه وبعث به، ولكنه في يد رجل من بني سعد. فأرسل يزيد إلى السعديّ أن سِرْ إليَّ بأسيرك ولك فيه حُكمُك. فأتى به السعديُّ يزيد بن عبد المدان؛ فقال له: ٱحتكم. فقال: مائةُ ناقة ورِعاؤها. فقال له يزيد: إنك لقصير الهمة قريبُ الغنى جاهلٌ بأخطار بني الحارث. أمَا واللَّه لقد غبنتك يا أخا بني سعد، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنه على جُلّ أموالنا، ولكنكم يا بني تميم قومٌ قِصارُ الهِمم. وأعطاه ما ٱحتكم. فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران.

وقال ابن الكلبيّ: أغار عبدُ المدان على هوازن يوم السَّلف في جماعةٍ من بني الحارث بن كعب، وكانت حُمَّتُه[٢] على بني عامر خاصَّة. فلماَّ التقى القوم حمل على وَبر بن مُعاوية النُّميريّ فصرعه، وثَنَّى بطفَيل بن مالك فأجرَّه الرمحَ، وطار به فرسُه قُرزُلٌ فنجا، وٱستحرّ القتل في بني عامر، وتبعتْ خيلُ ابن الحارث مَن ٱنهزم من بني عامر، وفي هذه الخيل عُمَيرٌ ومَعقلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب، فلم يزالوا بقيَّة يومِهم لا يُبقون على شيء أَصابوه. فقال في ذلك عبدُ المدان:

عَفا من سُلَيمى بطنُ غَولٍ فيذبلُ ... فغمرةُ فَيفِ[٣] الرّيح فالمُتنخَّلُ
ديارُ التي صادَ الفؤاد دلالها ... وأغرتْ بها يوم النَّوى حين ترحلُ
فإن تكُ صَدّتْ عن هوايَ وراعَها ... نَوازلُ أحداثٍ وشيبٌ مُجَلِّلُ
فيا رُبَّ خيلٍ قد هَدَيتُ بشطبةٍ[٤] ... يُعارضها عَبلُ[٥] الجُزارة[٦] هَيكلُ

(١) الشَّطط: المُجاوزة في الحدّ.
(٢) حُمَّته: غضبه وثورته.
(٣) الفيف: مختلف الرياح.
(٤) الشطبة: الطويلة من الخيل، السبطة اللحم.
(٥) عَبْل: ضخم.
(٦) الجُزارة: الأطراف وهي اليدان والرأس والرقبة.

سَـبـوح[١] إذا جـالَ الـحـزامُ كـأنَّـه إذا انجاب عنه النَّقعُ في الخيل أجدَلُ
يُـواغِـلُ جُـرداً كـالـقـنـا حـارثـيَّـةً عـلـيـهـا قَـنـانٌ والـحِـمـاسُ وزَعـبـلُ
مَـعـاقـلـهـم[٢] فـي كـلّ يـوم كـريـهـةٍ صدور العوالي[٣] والصَّفيحُ[٤] المُصقَّلُ[٥]
وزَغـفٌ[٦] مـن الـمـاذي[٧] بـيـضٌ كـأنَّـهـا نِـهـاءٌ[٨] مَـرَتـهـا بـالـعَـشِـيَّـاتِ شَـمـأَلُ[٩]
فـمـا ذَرَّ قَـرن الـشـمـس حـتـى تـلاحـقـتْ فـوارسُ يَـهـديـهـا عُـمَـيـرٌ ومَـعـقـلُ
فـجـالـتْ عـلـى الـحـيّ الـكـلابـيّ جـولـةً فـبـاكـرهـم[١٠] وِردٌ مـن الـمـوت مُـعـجَـلُ
فـغـادرنَ وَبَـراً تـحـجـلُ الـطـيـرُ حـولـه ونـجَّـى طُـفَـيـلاً فـي الـعـجـاجـة قُـرزُلُ
فـلـم يـنـجُ إلَّا فـارسٌ مـن رِجـالـهـم يـخـفِّـف ركـضـاً خـشـيـة الـمـوت أعـزلُ

[الطويل]

وليزيد بن عبد المدان أخبارٌ مع درَيد بن الصِّمَّة قد ذكرتْ مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء، فأستُغني عن إعادتها في هذا الموضع.

أَخبرني علي بن سليمان قال أَخبرني أَبو سعيد السكَّري قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة وابن الكلبي، قالوا:

أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعبٍ على بني عامرٍ، فأسر عامر بن مالك مُلاعب الأسنَّة أبا بَراء وأخاه عَبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما. فلمَّا مات يزيد بن عبد المدان ـ واسم عبد المدان عمرو، وكنيته أَبو يزيد، وهو ابن الديَّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ـ قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أُخت مُلاعب الأسنَّة ترثي يزيد بن عبد المدان:

بـكـيـتُ يـزيـد بـن عـبـد الـمـدا نِ حَـلَّـتْ بـه الأرضُ أثـقـالَـهـا
شَـريـكُ الـمـلـوك ومَـن فـضـلـه يَـفـضّـل فـي الـمـجـد أفـضـالـهـا
فـكـكـتَ أُسـارى بـنـي جـعـفـرٍ وكِـنـدةَ إذ نِـلـتَ أقـوالَـهـا[١١]

(١) السَّبوح: الذي يسبح بيديه، أي يبسطها في جريه كالسابح.
(٢) معاقلهم: حصونهم المنيعة. (٣) العوالي: الرِّماح.
(٤) الصفيح: وجه كل شيء عريض وأراد هنا السيف.
(٥) المصقَّل: المصقول. (٦) زغف: الدروع الواسعة المحكمة.
(٧) الماذي: السلاح الحديدي. (٨) نِهاء: غدران.
(٩) شمأل: الريح الآتية من جهة الشمال. (١٠) باكرهم: باغتهم بكرة.
(١١) الأقوال: مفردها قيل، وهو الملك عند أهل اليمن.

ورهـطُ الـمُـجـالـد قـد جـلَّـلـتْ فـواضـل نُـعـمـاك أجـبـالَـهـا
[المتقارب]

وقالت أَيضاً ترثيه:

سـأبـكـي يـزيـد بـن عـبـد الـمـدان عـلـى أنَّـه الأحـلـمُ الأكـرمُ
رِمـاحٌ مـن الـعـزم مـركـوزةٌ مُـلـوكٌ إذا بـرزتْ تـحـكـمُ
[المتقارب]

قال: فلامها قومها في ذلك وعيّروها بأن بكت يزيد؛ فقالت زينب:

ألَا أيُّـهـا الـزاري عـلـيَّ بـأنـنـي نِـزاريَّـةٌ أبـكـي كـريـماً يَـمـانـيَـا
ومـا لـيَ لا أبـكـي يـزيـد وردَّنـي أَجُـرُّ جـديـداً مِـدرعـي وردائـيَـا
[الطويل]

صـوت

أَطِـلْ حـمـل الـشَّـنـاءة[1] لـي وبـغـضـي وعِـشْ مـا شـئـتَ فـانـظـر مَـن تـضـيرُ[2]
إذا أبـصـرتـنـي أعـرضـتَ عـنـي كـأنَّ الـشـمـس مـن قِـبَـلـي تـدور
[الوافر]

الشعر لعبد اللَّه بن الحشرَج الجعديّ. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ.

* * *

(١) الشَّناءة: البغض.
(٢) تضير: تضرّ.

أخبار عبد اللَّه بن الحشرج

هو عبد اللَّه بن الحَشرَج بن الأشهب بن ورَد بن عمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن. وكان عبد اللَّه بن الحشرج سيِّداً من سادات قَيسٍ وأميراً من أمرائها، وَلي أكثر أعمالِ خُراسان، ومن أعمال فارس، وكرمان. وكان جواداً مُمَدَّحاً. وفيه يقول زياد الأعجم:

إنَّ السماحة والشجاعة والنَّدى في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الحشرجِ

[الكامل]

وله يقول أيضاً:

إذا كنتَ مُرتاد السماحة والنَّدى فسائل تخبَّرْ عن ديار الأشاهبِ

[الطويل]

نسبه إلى الأشهب جدّه. وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة:

أبعدَ فوارسِ يوم الشُّرَيـ ـف آسى وبعد بني الأشهبِ

[المتقارب]

وكان أَبوه الحشرج بن الأشهب سيِّداً شاعراً وأميراً كبيراً. وكان غلب على قُهِستان في زمن عبد اللَّه بن خازم، فبعث إليه عبد اللَّه بن خازم المسيَّب بن أَوفى القُشَيريّ، فقتل الحشرج وأخذ قُهِستان. وكان عمه زيادُ بن الأشهب أيضاً شريفاً سيِّداً، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ يُصلح بينه وبين مُعاوية على أن يولِّيه الشامَ فلم يجبه. وفي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة يعتدّ على مُعاوية:

وقام زيادٌ عند باب ابن هاشمٍ يريد صلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ

[الطويل]

مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر:

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراسٍ قال: حدثنا العمريّ عن عطاء بن مُصْعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال:

جاء إلى عبد اللّه بن الحشرج وهو بقُهستان رجلٌ من قُشيرٍ يقال له قُدامة بن الأحرز، فدخل عليه وأنشأ يقول:

أخٌ وابنُ عمٍّ جاءكم متحرّماً ... بكُم فٱرأَبوا[١] خلَّاته[٢] يا ابنَ حَشرَج
فأنتَ ابنُ وَردٍ سُدتَ غير مُدافعٍ ... مَعَدّاً على رَغم المَنوط[٣] المُعَلهَجِ[٤]
فبرَّزت عفواً إذ جرَيتَ ابن حَشرجٍ ... وجاء سُكَيتاً[٥] كلُّ أَعقدَ[٦] أَفحجِ[٧]
سبقتَ ابنَ وَردٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ ... بجدٍّ إذا حار الأضاميمُ[٨] مِمْعَجِ[٩]
بوَردِ بن عمرٍ فُتَّهم إنَّ مِثله ... قليلٌ ومَن يَشْرِ المحامِدَ يَفْلُجِ[١٠]
هو الواهبُ الأموال والمُشتري اللُّها[١١] ... وضرَّابُ رأسِ المستميت المُدجَّجِ

[الطويل]

قال: فأعطاه أربعة آلاف درهم، وقال: ٱعذرني يا ابن عمي؛ فإني في حالةٍ اللّه بها عليمٌ من كثرة الطلَّاب، وأنت أحقّ مَن عذرني. قال: واللّه لو لم تعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومَن ٱنقطع إليك لعذرتُك، فكيف وقد أجزلت العطاء، وأرغمت الأعداء!

وكان لابن الحشرج ابنُ عمٍّ يقول للقُشَيريّ: ويحك! ليس عنده خير، وهو يكذبُك ويملُذُك. فبلغ ذلك عبد اللّه بن الحشرج فقال:

أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغضي ... وعِشْ ما شئتَ فانظُر مَن تَضيرُ
فما بيدَيكَ خيرٌ أرتجيه ... وغيرُ صُدودك الخَطب الكبيرُ
إذا أَبصرتني أعرضتَ عنّي ... كأنَّ الشمس من قِبلي تدورُ

---

(١) إرأبوا: أصلحوا، وسدوا الخلل.
(٢) خلَّاته: حاجاته.
(٣) المنوط: الذي يناط بالقوم وليس منهم، أي هو الدعيّ.
(٤) المعلهج: الدعيّ، أو هو الذي ولد من جنسين مختلفين (الهجين).
(٥) السُكيت: الخيل الذي يأتي آخر المتسابقين.
(٦) الأقعد: من الإبل والخيل مصاب بداء يأخذ في أوراكها فيميلها إلى الأرض.
(٧) الأفحج: الخيل ذو الفُحج، والفُحج هو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين.
(٨) الأضاميم: جماعات الخيول التي تنضم بعضها لبعض.
(٩) مِمْعَج: هو السريع المرور.
(١٠) يَفلُج: يظفر ويفوز.
(١١) اللُّها: مفردها لُهْوة، وهي العطيّة أو أفضلها وأجزلها.

وكـيـف تـعـيـبُ مـن تُـمـسـي فـقـيـراً إلـيـه حـيـن تـحـزبُـك الأمـورُ
ومَـن إن بِـعـتَ مـنـزلـةً بـأخـرى حـلـلـتَ بـأمـره وبـه تـسـيـرُ
أتـزعـمُ أنّـنـي مَـلِـذٌ كـذوبٌ وأنّ الـمَـكـرُمـات لـديَّ بُـورُ[1]
وكـيـف أكـون كـذّابـاً مَـلـوذاً وعـنـدي يـطـلـب الـفـرَج الـضَّـريـرُ
أُواسـي فـي الـنـوائـب مـن أَتـانـي ويُـجـبَـرُ بـي أخـو الـضُـرّ الـفـقـيـرُ

[الوافر]

أَخبرني محمد بن خلفٍ قال حدثنا أَحمد بن الهيثم عن العمريّ عن عطاء بن مُصعبٍ عن عاصم بن الحدثان قال:

أعطى عبد اللَّه بن الحشرج بخراسان حتى أعطى مِنشفةً كانت عليه وأعطى فراشه ولحافه. فقالت له امرأته: لِشِدَّةِ ما تلاعبَ بك الشيطان، وصِرتَ من إخوانه مبذِراً؛ كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾. فقال عبد اللَّه بن الحشرج لرفاعة بن زُوَيٍّ النَّهديّ وكان أَخاً له وصديقاً: يا رِفاعة، ألَا تسمع إلى ما قالت هذه الوَرهاء[2] وما تتكلَّم به؟! فقال: صدقتْ واللَّه وبَرَّتْ! وإنَّك لمبذّرٍ، وإنَّ المبذّرين لإِخوانُ الشياطين. فقال ابن الحشرج في ذلك:

متى يأتنا الغيثُ المُغيثُ تجد لنا مَكارمَ ما تَعيا بأموالنا التُّلْدِ[3]
مكارمَ ما جُدنا به إذ تمنَّعتْ رجالٌ وضنَّت في الرَّخاء وفي الجَهدِ
أرَدنا بما جُدنا به من تلادنا خلاف الذي يأتي خيار بني نَهدِ
تَلومُ على إتلافيَ المال طلَّتي ويُسعدها نَهدُ بن زَيدٍ على الزُّهدِ
أَنَهدُ بن زَيدٍ لست منكم فتُشفقوا عليَّ ولا منكم غواتي ولا رُشدي

[الطويل]

ـ أَراد «غوايتي» فحذف الياء ضرورة ـ

أَبَيتُ صغيراً ناشئاً ما أردتُمُ وكهلاً وحتى تُبصرونيَ في اللَّحْدِ
سأَبذُلُ مالي إنَّ مالي ذخيرةٌ لعقبي وما أَجني به ثمرَ الخُلدِ
ولستُ بمبكاءٍ على الزّاد باسلٍ يهرُّ[4] على الأزواد كالأسد الوَردِ

(١) بور: الأرض قبل أن تصلح للزراعة، وأراد هنا أنه لا خير فيه.
(٢) الورهاء: الخرقاء أو الحمقاء.
(٣) التلد: ما ولد عندك من مالك أو نُتج.
(٤) يهرُّ: يصدر صوتاً دون صوته الحقيقي من قلّة صبره على البرد.

ولكنني سَمحٌ بما حُزتُ باذِلٌ لِمَا كُلِّفتْ كفَّايَ في الزَّمَن الجَحدِ
بذلك أوصاني الرُّقادُ وقَبله أبوه بأن أُعطي وأُوفيَ بالعهدِ
[الطويل]

الرُّقاد: ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته، وكان شجاعاً سيِّداً جَواداً.

قال عطاء بن مُصعبٍ: وقال عبد اللّه بن الحشرج أيضاً في ذلك هذه القصيدة ـ وقد ذكر ابن الكلبيّ وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيدة في كتابيهما المصنَّفَين ونسباها إليه ـ:

سأجعل مالي دون عِرْضي وقَايةً من الذَّمّ؛ إن المالَ يَفنى ويَنفَدُ
ويُبقي ليَ الجودُ اصطناعَ عشيرتي وغيرِهمُ والجودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
ومُتَّخذٍ ذَنباً عليَّ سَماحتي بمالي، ونارُ البُخل بالذَّمّ تُوقَدُ
يَبيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ ولكنه للمرء فضلٌ مُؤَكَّدُ
ولا شيءَ يبقى للفتى غيرُ جوده بما ملكتْ كفَّاهُ والقومُ شُهَّدُ
ولائمةٍ في الجود نهنهتُ[1] غربها وقلتُ لها بَنيُ المكارم أحمدُ
فلمَّا ألحَّتْ في الملامة واعترت بذَلك غيظي واعتراها التبلُّدُ[2]
عرضتُ عليها خصلتين سماحتي وتطليقها والكفُّ عنّيَ أرشدُ
فلجَّت[3] وقالت أَنت غاوٍ مبذِّرٌ قرينك شيطانٌ مَريدٌ[4] مفنَّدُ[5]
فقلت لها بيني فما فيكِ رغبةٌ ولي عنكِ في النِّسوان ظِلٌّ ومقعدُ
وعيشٌ أَنيقٌ والنساء معادنٌ فمنهنّ غُلٌّ شَرُّها يتمرَّدُ[6]
لها كلَّ يوم فوق رأسيَ عارضٌ من الشرّ بَرَّاقٌ يَدَ الدهر يُرعِدُ[7]
وأُخرى يلذُّ العيشُ منها، ضجيعها كريمٌ يُغاديه من الطير أسعدُ
فيا رجُلاً حُرّاً خُذِ القصدَ واترك الـ ـبلايا فإنَّ الموت للناس مَوعدُ
فعِشْ ناعماً واترُك مقالة عاذِلٍ يلومك في بَذل النَّدى ويُفَنِّدُ

(١) نهنهتُ: كفكفتُ.
(٢) التبلُّد: ضد التجلُّد.
(٣) لَجَّتْ: خاصمت.
(٤) مريدٌ: متمرد شرير خبيث.
(٥) مفنَّد: مضعف الرأي والمشورة.
(٦) يتمرَّد: يتجاوز حدّه.
(٧) يُرعِدُ: يتهدّد.

وجُدْ بالـلُّـهـا[١] إنَّ الـسـمـاحـة والـنـدى هـي الـغـايـة الـقُـصـوى وفـيـهـا الـتـمـجّـدُ
وحـسـبُ الـفـتـى مـجـداً سـمـاحـةُ كـفِّـه وذو الـمـجـد مـحـمـود الـفـعـال مـحـسَّـدُ
[الطويل]

طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة بن الأشهب فقال شعراً:

قال: فقالت له امرأته: واللَّه ما وفقك اللَّه لحظِّك! أَنهبتَ مالك وبذَّرته وأعطيته هيَّان[٢] بن بيَّان، ومن لا تدري من أي هافيةٍ[٣] هو! قال: فغضب فطلَّقها، وكان لها محبّاً وبها مُعجباً. فعنَّفه فيها ابن عمّ لها يقال له حنظلة بن الأشهب بن رميلة وقال له: نصحَتْك فكافأتَها بالطّلاق! فواللَّه ما وُفقتَ لرُشدك، ولا نلتَ حظك، ولقد خاب سعيُك بعدها عند ذوي الألباب. فهلَّا مضيتَ لطيَّتك[٤]، وجرَيتَ على مَيدانك، ولم تلتفت إلى امرأةٍ من أَهل الجهالة والطَّيش لم تُخلق للمشورة ولا مثلُ رأيها يُقتدى به! فقال ابن الحشرج لحنظلة:

أحـنـظـل دع عـنـك الـذي نـال مـالَـه لـيـحـمـده الأقـوامُ فـي كـل مـحـفـلِ
فـكـم مـن فـقـيـرٍ بـائـس قـد جَـبـرتُـه ومـن عـائـلٍ[٥] أغـنـيـتُ بـعـد الـتَّـعـيُّـلِ
ومـن مُـتـرفٍ[٦] عـن مـنـهـج الـحـقّ جـائـرٍ عـلـوتُ بـعـضـبٍ[٧] ذي غـرارين مِـقـصـلِ[٨]
وزارٍ عـلـيَّ الـجُـودَ والـجـودُ شِـيـمـتـي فـقـلـتُ لـه دعـنـي وكُـن غـيـر مُـفـضِـلِ
فـمـثْـلـك قـد عـاصـيـتُ دهـراً ولـم أكـن لأسـمـعَ أَقـوال الـلـئـيـم الـمُـبـخَّـلِ
أَبـى لـيَ جَـدي الـبُـخـل مـذ كـنـتُ يـافـعـاً صـغـيـراً ومـن يَـبـخـل يُـلـم ويُـضـلَّـلِ
ويستَغنِ عنه الناسُ، فاركبْ محجَّة الـ ـكـرام ودع مـا أَنـت عـنـه بـمـعـزِلِ
فـإنـي امـرؤٌ لا أصـحـبُ الـدهـر بـاخـلاً لـئـيـمـاً وخـيـر الـنـاس كـلُّ مُـعـذَّلِ
ومُـسـتـحـمـقٍ غـاوٍ أتـتـه نـذيـرتـي[٩] فـلـجّ ولـم يـعـرف مَـعـرَّةَ[١٠] مِـقـوَلـي
نـفـحـتُ بـبـيـتٍ يـمـلأ الـفـمَ شـاردٍ لـه حـبَـرٌ كـأنـه حِـبْـرُ[١١] مِـغـولِ

---

(١) اللُّها: مفردها لُهْوة، وهي العطية أو أفضلها وأجزلها (تمَّ شرحها سابقاً).
(٢) هيَّان بن بيَّان: تقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف والده.
(٣) هافية: هزيلة.
(٤) الطِّية: ما ينطوي عليه المرء، النِّية.
(٥) عائل: فقير.
(٦) المترف: الطاغي في استعمال النعمة.
(٧) عضب: سيف.
(٨) مِقصَل: بتار، قاطع.
(٩) النذيرة: أي الإنذار.
(١٠) معرَّة: أذى، إثم..
(١١) الحِبر: الأثر الذي يبقى من الضرب في الجسد.

فكفّ ـ ولو لم أَرمه شاع قولُه ـ وصار كدرياق[١] الذُّعاف[٢] المُثمَّلِ[٣]
وليلٍ دجوجيّ سريتُ ظلامَه بناجيةٍ[٤] كالبرج وجناء[٥] عيهلِ[٦]
إلى ملكٍ من آل مَروانَ ماجدٍ كريم المُحيَّا سيدٍ مُتفضِّلِ
يجود إذا ضنَّت قريشٌ برفدِها ويسبقُها في كل يوم تفضُّلِ
أبوه أبو العاصي إذا الحربُ شمَّرت مَراها بمسنون الغِرارين منجلِ
وقُورٌ إذا هاجتْ به الحربُ مِرجمٌ[٧] صَبورٌ عليها غيرُ نكسٍ مُهلّلِ
أَقام لأهل الأرض دِينَ محمدٍ وقد أدبروا وٱرتابَ كلُّ مُضلَّلِ
فما زال حتى قوَّم الدين سَيفه وعَزَّ بحزمٍ كلُّ قَرم[٨] مُحجَّلِ[٩]
وغادر أهل الشَّك شتَّى، فمنهمُ قتيلٌ وناجٍ فوق أَجرَدَ هيكَلِ
نجا من رماح القوم قُدماً وقد بدا تباشيره في العارض المتهلّلِ

[الطويل]

قال عاصم: يعني بهذا المدح محمد بن مروان لمَّا قتل مصعب بن الزُّبير بدَير الجاثليق. وكان محمد بن مروان يقوم بأَمره، ويولِّيه الأعمال، ويشفع له إلى أخيه عبد الملك:

أَخبرني محمد بن خلفٍ قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمريّ عن عطاء بن مُصعب عن عاصم بن الحدثان قال:

قال عبد اللّه بن الحشرج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب ماله وتبذيره إيَّاه، وقال له فيما يقول: امرأتُك كانت أعلمَ بك، نصحتك فكافأتها بالطلاق. فقال له: يا ابنَ عمّ، إن المرأة لم تخلق للمشورة، وإنما خُلِقت وِثاراً[١٠] للباءة. وواللّه إن الرُّشد واليُمنَ لفي خلاف المرأة. يا ابنَ عمّ، إيَّاك وٱستماع كلام النساء والأخذ به؛ فإنك إن أَخذت به ندمتَ. فقال له ابن عمه: واللّه ليُوشكنّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أَتلفتَ فلا تقدر عليه ولا يُخلفه عليك هَنٌ[١١] وهَنٌ. فقال ابن الحشرج:

---

(١) الدرياق: ما يعالج به أثر السم في الجسد. (٢) الذعاف: السمّ القاتل في حينه.
(٣) المثمَّل: السمّ المكثَّف. (٤) الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها.
(٥) وجناء: شديدة صلبة. (٦) عيهل: شديدة السُّرعة.
(٧) مِرجَم: شديد البطش بعدوّه. (٨) القرم: السيّد من الرجال.
(٩) المحجَّل: الأبيض القوائم. (١٠) الوِثار: الفراش الوطيء.
(١١) هنٌ وهَنٌ: كناية عن اسم إنسان لا يراد ذكره صراحة.

وعـاذلـةٍ هَـبَّـت بـلـيـلٍ تـلـومُـنـي ... وتـعـذُلُـنـي فـيـمـا أُفـيـدُ وأُتـلِـفُ
تـلـومَّـتُـهـا حـتـى إذا هـي أكـثـرتْ ... أتـيـتُ الـذي كـانـت لـديّ تَـوكَّـفُ[١]
وقـلـتُ عـلـيـك الـفـجَّ أكـثـرت فـي الـنـدى ... ومـثـلـي تـحـامـاه الألـدُّ[٢] الـمـغـطـرفُ[٣]
أَبـى لـيَ مـا قـد سُـمـتـنـي غـيـرُ واحـدٍ ... أبٌ وجُـدودٌ مـجـدهـا لـيـس يُـوصـفُ
كـهـولٌ وشُـبَّـانٌ مـضَـوْا لـسـبـيـلـهـم ... إذا ذكـروا فـالـعـيـنُ مـنّـي تـذرِفُ
هُـمُ الـغـيـثُ إن ضـنَّـت سـمـاءٌ بـقـطـرهـا ... وعـنـدهـمُ يـرجـو الـحـيـا مـتـلـهِّـفُ
وحَـربٍ يـخـاف الـنـاس شـدَّة عَـرّهـا[٤] ... تـظـلُّ بـأنـواع الـمـنـيَّـة تَـصـرفُ[٥]
حَـمَـوْهـا وقـامـوا بـالـسـيـوف لـحَـمـيـهـا ... إذا فـنـيـتْ أَضـحـتْ لـهـم وهـي تـعـصِـفُ
فـلـمَّـا أَبَـتْ إلَّا طِـمـاحـاً[٦] تـنـمَّـروا ... بـأسـيـافـهـم والـقـومُ فـيـهـم تـعـجـرفُ[٧]
فـذلَّـت وأعـطـتْ بـالـقـيـاد وأَذعـنـتْ ... إذا مـا اشـتـهـى قـومـي وذو الـذُّلّ يـنـصِـفُ
وكـانـت طَـمـوح الـرأس يـصـرف نـابُـهـا ... مـن الـشـرّ تـاراتٍ وطـوراً تَـقَـفـقَـفُ[٨]
فـلـمَّـا ٱمـتـرَيـنـا بـالـسـيـوف خُـلـوفـهـا ... تـأَبَّـتْ عـلـيـنـا والأسـنَّـةُ تُـرعَـفُ[٩]
فـدرَّتْ طِـبـاقـاً وٱرعـوتْ[١٠] بـعـد جـهـلـهـا ... وكـنَّـا رِمـامـاً[١١] لـلـذي يـتـصـلَّـفُ[١٢]

[الطويل]

قال: وقال عبد اللَّه بن الحشرج لرفاعة بن زُوَيٍّ النهديّ فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود.

أُلامُ عـلـى جـودي ومـا خِـلـتُ أنّـنـي ... بِبَذلي وجودي جُرت عن منهج القصدِ
فـيـا لائـمـي فـي الـجـود أَقـصِـر فـإنـنـي ... سـأبـذل مـالـي فـي الـرّخـاء وفـي الـجَـهـد
وجـدتُ الـفـتـى يَـفـنـى وتـبـقـى فِـعـالـه ... ولا شـيء خـيرٌ فـي الـحـديث مـن الـحـمـد
وإنـي وبـالـلَّـه ٱحـتـيـالـي وحِـرفـتـي ... أُصَـيّـرُ جـاري بـيـن أَحـشـايَ والـكِـبـد
أَرى حـقَّـه فـي الـنـاس مـا عِـشـتُ واجـبـاً ... عـلـيَّ وآتـي مـا أَتـيـتُ عـلـى عَـمـد

(١) تَوَكَّفَ: تَعَهَّدَ.
(٢) الألدّ: هو الشديد الخصومة والجدل.
(٣) المغطرف: المتكبر المغرور.
(٤) عَرَّها: أصابها الأذى والشرّ.
(٥) تَصرف: تصدر صوتاً عالياً.
(٦) طِماحاً: نشوزاً.
(٧) تعجرف: تهوّر.
(٨) تقفقف: ارتعد وارتجف واضطرب.
(٩) تُرعف: تُقطر دماً.
(١٠) إرعوت: نزعت عن الجهل.
(١١) الرِّمام: مفردها رُمة، وهي ما يقلّد بها البعير ويشدّ بها الأسير أيضاً.
(١٢) يتصلَّف: يتكبّر.

وصاحبِ صِدقٍ كان لي ففقدتُه ... وصيّرني دهري إلى مائقٍ[١] وَغْد[٢]
يلوم فَعالي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... ويعدو على الجيران كالأسد الوَرد
يُخالفني في كلّ حقٍّ وباطلٍ ... ويأنفُ أن يمشي على مَنهج الرُّشد
فلمَّا تمادى قلت غير مُسامحٍ ... له: النَّهجَ فارْكَب يا عسيف[٣] بني نَهد

[الطويل]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ قال حدثنا ابنُ عائشة قال:

مدحه زياد الأعجم فوصله:

وفد زيادٌ الأعجم على عبد اللّه بن الحشرج الجعديّ وهو بسابُور[٤] أميرٌ عليها، فأمر بإنزاله وأَلطفه وبعث إليه ما يحتاج إليه. ثم غدا عليه زيادٌ فأنشده:

إنَّ السماحة والمروءة والندى ... في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحشرج
مَلكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائلٍ ... للمعتَفين يمينه لم تَشنَجِ[٥]
يا خيرَ مَن صعد المنابرَ بالتُّقى ... بعد النبيّ المصطفى المُتَحَرّجِ
لمَّا أتيتك راجياً لنوالكم ... ألفيتُ بابَ نَوالكم لم يُرتَجِ

[الكامل]

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقد قيل: إنَّ الأبيات التي ذكرتُها وفيها الغناء ونسبتها إلى عبد اللّه بن الحشرج لغيره. والقول الأصحّ هو الأوّل. أَخبرني بذلك محمد بن العبَّاس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أَسدٍ قال حدثنا العمريّ عن هشام بن الكلبيّ: أنه سمع أَبا باسلٍ الطائي يُنشد هذا الشعر، فقلت: لمن هو؟ فقال: لعمي عنترةَ بن الأخرس. قال: وكان جَدّي أَخرَس، فوُلد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أَو خطيب. ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ، أو حكاه عن رجل ٱدَّعى فيه ما لا يعلم.

صوت

أصاحِ أَلا هل من سبيلٍ إلى نَجدِ ... وريح الخُزامى غضَّةً من ثَرَى جَعدِ

---

(١) مائق: أحمق مع غباوة.
(٢) وغد: دنيء
(٣) عسيف: أجير.
(٤) سابور: كورة بفارس مدينتها نَوْبَنْد جان.
(٥) شنجت يمينه: تقبضت وأغلقت يمينه، وقبض الكفّ كناية عن شدّة البخل.

وهـل لـلـيـالـيـنـا بـذي الـرّمـثِ مَـرجـعٌ فنشفي جوى الأحزان من لاعجِ[1] الوَجدِ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر للطِّرمَّاح بن حَكيم. والغناء ليحيى المكيّ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر من كتابه.

* * *

(١) اللّاعج: الهوى المُحْرِق.

أخبار الطرماح ونسبه

هو الطِّرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أَمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيءٍ. ويُكنى أَبا نفر، وأَبا ضبينة. والطِّرمَّاح: الطويلُ القامة. وقيل: إِنه كان يُلقب الطَرّاح. أَخبرني بذلك أَحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أَبيه قال:

كان الطِّرمّاح بن حكيم يُلقَّب الطَّرَّاح لقوله:

صـــوت

أَلا أَيـهـا الـلـيـلُ الـطـويـلُ أَلَا ٱرتـحِ بـصُـبـح ومـا الإصـبـاحُ مـنـك بـأروحِ
بـلـى إن لـلـعـيـنـيـن فـي الـصُّبـح راحـةً بـطـرحـهـمـا طـرفـيـهـمـا كـل مَـطـرح

[الطويل]

في هذين البيتين لأحمد بن المكي ثقيل أولُ بالوسطى من كتابه.

والطِّرماح من فحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم. ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام، واعتقد مذهب الشُّراة[1] الأزارقة.

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبَّة عن المدائني عن أَبي بكر الهذليّ قال:

قدم الطِّرماح بن حكيم الكوفة، فنزل في تيم اللَّات بن ثعلبة، وكان فيهم شيخٌ من الشراة له سَمتٌ وهيئة، وكان الطِّرمَّاح يُجالسه ويسمع منه، فرسخ كلامُه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبِله وٱعتقده أَشدَّ ٱعتقادٍ وأصحَّه، حتى مات عليه.

أَخبرني ابن دُريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أَخي الأصمعيّ عن عمّه قال: قال رؤبة:

(١) الشُّراة الأزارقة: الخوارج من أتباع نافع بن الأزرق.

كان الطِّرِمَّاح والكُميت يصيران إليّ فيسألاني عن الغريب فأُخبرهما به، فأراه بعدُ في أشعارهما.

أَخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعتُ محمد بن حبيب يقول:

سألتُ ابن الأعرابي عن ثمانِ عشرةَ مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِماح، فلم يعرف منها واحدةً، يقول في جميعها: لا أَدري، لا أَدري.

أَخبرني أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة، وأَخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قُتيبةَ، قالا:

كان الكُميتُ بن زيد صديقاً للطِّرِماح، لا يكادان يفترقان في حالٍ من أَحوالهما. فقيل للكميت: لا شيءَ أَعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِماح على تباعد ما يجمعُكما من النسب والمذهب والبلد: هو شآميّ قحطاني شاريٌّ، وأَنت كوفيٌّ نزاريٌّ شيعيٌّ، فكيف ٱتفقتما مع تباين المذهب وشدّة العصبيَّة؟ فقال: اتفقنا على بُغض العامة.

قال: وأُنشد الكُميتُ قول الطِّرِماح:

إذا قُبِضَت نفسُ الطِّرِمَّاح أَخلقتْ عُرَى المجد وٱسترخى عنان القصائدِ

[الطويل]

فقال: إِي واللَّه! وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة. وقال عمر بن شبَّة: «والسماحة» مكان «الشجاعة».

نسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن الأعرابي قال:

وفد الطِّرِمَّاح بن حكيم والكُمَيت بن زيد على مَخلد بن يزيد المهلَّبي، فجلس لهما ودعاهما. فتقدم الطِّرِمَّاح لينشد؛ فقال له: أنشدنا قائماً. فقال: كلَّا واللَّه! ما قَدرُ الشعر أَن أقوم له فيحطَّ منّي بقيامي وأَحُطَّ منه بضراعتي[1]، وهو عمود الفخر وبيت الذّكر لمآثر العرب. قيل له: فتنحَّ. ودُعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم. فلمَّا خرج الكميت شاطرها الطرمَّاح، وقال له: أنت أَبا ضبينة أبعدُ هِمَّةً وأنا ألطف حيلةً. وكان الطرمَّاح يُكنى أَبا نَفرٍ وأَبا ضَبينة.

ونسخت من كتابه رضي اللَّه عنه: أَخبرني الحسن بن سعد قال أخبرني ابن

(١) الضرّاعة: الذّل والخضوع.

علّاقة قال أَخبرني شيخٌ لنا أَنَّ خالد بن كلثوم أَخبره قال:

بينا أَنا في مسجد الكوفة أريد الطرمَّاح والكميت وهما جالسان بقرب باب الفيل، إذ رأيتُ أعرابيّاً قد جاء يسحب أهداماً[1] له، حتى إذا توسَّط المسجد خرّ ساجداً، ثم رمى ببصره فرأى الكميت والطرمَّاح فقصدهما. فقلت: مَن هذا الحائن الذي وقع بين هذين الأسدين! وعجبت من سَجدته في غير موضع سجود وغيرِ وقت صلاة. فقصدته، ثم سلَّمت عليهم ثم جلست أَمامهم. فالتفت إلى الكميت فقال: أَسمعني شيئاً يا أَبا المستهل؛ فأنشده قوله:

أبــتْ هــذه الــنــفــسُ إلَّا ٱدِّكــارَا

حتى أتى على آخرها. فقال له: أحسنت واللَّه يا أَبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونظم عِقدها! ثم التفت إلى الطرمَّاح فقال: أسمعني شيئاً يا أَبا ضَبينة؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها:

أساءكَ تقويضُ الخليط المباينِ نعم والنوى قَطَّاعةٌ للقرائنِ

[الطويل]

فقال: للَّهِ درُّ هذا الكلام! ما أحسن إجابته لرويَّتك! إن كدتُ لأُطيل لك حسداً. ثم قال الأعرابيّ: واللَّه لقد قلتُ بعدكما ثلاثة أشعار، أَمَّا أحدها فكدت أطير به في السماء فرحاً. وأمَّا الثاني فكدت أدَّعي به الخلافة. وأمَّا الثالث فرأيت رقَصاناً ٱستفزَّني به الجذل حتى أتيتُ عليه. قالوا: فهاتِ؛ فأنشدهم قوله:

أأنْ تــوهَّــمــتَ مــن خــرقــاءَ مــنــزلــةً ماءُ الصبابة[2] من عينيك مسجومُ[3]

حتى إذا بلغ قوله:

تنجو إذا جعلت تدمى أخِشَّتها[4] وابتلَّ بالزَّبد الجعدِ الخراطيمُ[5]

[البسيط]

قال: أعلمتم إني في طلب هذا البيت منذ سنةٍ، فما ظفِرتُ به إلَّا آنِفاً، وأحسبكم قد رأيتم السجدة له. ثم أسمعهم قوله:

ما بالُ عينك منها الماءُ يَنسكبُ

(١) الأهدام: مفردها الهدْم، وهو الثوب البالي المرقَّع وهو خاص بكساء الصوف.
(٢) الصّبابة: الشوق ورقَّته، أو هي رِقّة الهوى. (٣) مسجوم: مصبوب ومنهمر.
(٤) الأخِشَّة: الحلقة التي توضع في أنف البعير ليُشدّ بها، جمعها خِشاش.
(٥) الخراطيم: مفردها خرطوم، وهو مقدّم الأنف.

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها:

إذا الـلـيـلُ عـن نَـشـزٍ تـجـلَّـى رمَـيـنـه بـأمـثـال أبـصـار الـنـسـاء الـفـوارِكِ[١]

[الطويل]

قال: فضرب الكميت بيده على صدر الطرمَّاح، ثم قال: هذه واللَّه الدّيباجُ لا نسجي ونسجك الكرابيس[٢]. فقال الطرمَّاح: لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجودته. فقطَّب ذو الرُّمَّة وقال: يا طرمَّاح! أأنت تحسن أن تقول:

وكـائـنْ تـخـطَّـتْ نـاقـتـي مـن مـفـازةٍ إلـيـك ومِـن أحـواضِ مـاءٍ مـسـدَّم[٣]

بـأعـقـاره الـقـردان هَـزلـى كـأنـهـا نـوادرُ صِـيـصـاء[٤] الـهَـبـيـد[٥] الـمـحـطَّـم

[الطويل]

فأصغى الطِّرمَّاح إلى الكميت وقال له: فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشِّعر! ـ قال: وهذه قصيدة مدح بها ذو الرُّمَّة عبد الملك، فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلَّا بهذين البيتين، وسائرها في ناقته. فلمَّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيَّاها. فقال له: ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتك، فخذ منها الثواب. وكان ذو الرُّمَّة غير محظوظ من المديح ـ قال: فلم يفهم ذو الرمَّة قول الطرمَّاح للكميت. فقال له الكميت: إنه ذو الرمة وله فضله، فأعتِبه[٦]. فقال له الطرمَّاح: معذرةً إليك! إنَّ عِنان الشِّعر لفي كفِّك، فارْجع مُعتَباً، وأقول فيك كما قال أَبو المستهلّ.

أَخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزيّ قال حدثني محمد بن إبراهيم بن عَبَّاد قال حدثني أبو تمَّامٍ الطائيّ قال:

مرّ الطرمَّاح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر[٧] في مِشيته. فقال رجل: مَن هذا الخطَّار؟ فسمعه فقال: أَنا الذي أقول:

صـوت

لـقـد زادنـي حُـبّـاً لـنـفـسـيَ أنّـنـي بَـغـيـضٌ إلـى كـلّ امـرىءٍ غـيـر طـائـلِ

وأنّـي شـقـيٌّ بـالـلّـئـام ولا تـرى شـقـيّـاً بـهـم إلَّا كـريـمَ الـشـمـائـلِ

---

(١) الفوارك: اللواتي يكرهن أزواجهنّ.

(٢) الكرابيس: مفردها كرباس، وهو الثوب الغليظ من القطن.

(٣) مُسَدَّم: متغيّر لطول مكثه.

(٤) صيصاء: الضاوية الهزيلة من النّوق.

(٥) الهبيد: الحنظل.

(٦) أعتَبَهُ: أزال عتبه وسخطه وقام بإرضائه.

(٧) يخطر: يخطر في مشيته أي يرفع يديه ويضعهما.

إذا ما رآني ما قطَّع اللحظ بينه وبيني فعلَ العارف المتجاهلِ
ملأت عليه الأرض حتى كأنَّها من الضيق في عينيه كفَّةُ[١] حابلِ
[الطويل]

في هذه الأبيات لأبي العُبَيس بن حمدون خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر.

أَخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مجمِّع قال حدثنا هشام بن محمد قال أخبرنا ابن أَبي العَمَرَّطة الكنديّ قال:

مدح الطرمَّاح خالد بن عبد اللَّه القسريّ، فأقبل على العُريان بن الهيثم فقال: إني قد مدحتُ الأمير فأُحبّ أن تُدخِلَني عليه. قال: فدخل إليه فقال له: إنَّ الطرمَّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: ما لي في الشعر من حاجةٍ. فقال العُريان للطرمَّاح: تراءَ له. فخرج معه، فلمَّا جاوز دار زيادٍ وصد المسنَّاة[٢] إذا شيءٌ قد ارتفع له، فقال: يا عُريان ٱنظر، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصلح اللَّه الأمير! هذا شيءٌ بعث به إليك عبد اللَّه بن أبي موسى من سِجستان؛ فإذا حُمُرٌ وبغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ. فقال: يا عُريان، أين طرمَّاحُك هذا؟ قال: هاهنا. قال: أَعطه كلّ ما قُدِم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنشده. قال هشام: والطرمَّاح: الطويل.

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثني الحجَّاجي قال:

بلغني أنَّ الطرمَّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عبس، فأنشد العبسيُّ قولَ كثيِّرٍ في عبد الملك:

فكنتَ المُعلَّى إذ أجيلتْ قِداحهم وجال المنيح[٣] وسَطها يتقلقلُ[٤]
[الطويل]

فقال الطرمَّاح: أَمَا إنَّه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موَّه عليه في الظاهر وعني في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثيّر لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج عليّاً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعلّى السابعُ من القداح؛ فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

وكان الحلائفُ بعد الرسو لِ لِلَّهِ كلُّهمُ تابعَا
شهيدان من بعد صِدِّيقهم وكان ابنُ حَربٍ لهم رابعَا

(١) كفَّة حابل: مَصْيَدة الصائد.
(٢) المسنَّاة: السدّ الذي يبنى في وجه السَّيل.
(٣) المنيح: قدح يُستعار تَيمُّناً بعوزه.
(٤) يتقلقل: يتحرَّك.

وكـان ابـنـه بـعـده خـامـسـاً مُـطـيـعـاً لـمـن قـبـلـه سـامـعَـا
ومَـروانُ سـادسُ مَـن قـد مـضـى وكـان ابـنـه بـعـده سـابـعَـا
[الطويل]

قال: فعجبنا من تنبُّه الطرمَّاح لمعنى قولٍ كثيِّر، وقد ذهب على عبد الملك فظنَّه مدحاً.

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا أبو غسَّان دَماذ قال:

كان أَبو عُبيدة والأصمعيّ يفضِّلان الطرمَّاح في هذين البيتين، ويزعُمان أنه فيهما أشعرُ الخلق:

مُـجـتـابُ حُـلَّـة بُـرجُـدٍ لـسـراتـه قِـدداً وأَخـلـفَ مـا سَـواه الـبُـرْجُـدُ[1]
يـبـدو وتُـضـمـرُه الـبـلادُ كـأَنَّـه سَـيـفٌ عـلـى شـرفٍ يُـسَـلُّ ويُـغـمِـدُ
[الكامل]

أثنى أبو نواس على بيت له:

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا دماذ قال: قال أَبو نواس: أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطرمَّاح:

إذا قُـبِـضَـتْ نـفـسُ الـطـرمَّـاح أخـلـقـتْ عُـرَى الـمـجـد وٱسـترخـى عـنـان الـقـصـائـدِ
[الطويل]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أَبيه عن أَبي عبيدة قال: فضَّل الطرمَّاح بني شَمخ في شعره على بني يَشكر؛ فقال حُمَيد اليشكري:

أتـجـعـلـنـا إلـى شـمـخ بـن جَـرمٍ ونَـبـهـان[2] فـأُفٍّ لـذا زمـانَـا
ويـومَ الـطَّـالـقـان[3] حَـمـاك قَـومـي ولـم تَـخـضِـب بـهـا طـيٌّ سِـنـانَـا
[الوافر]

فقال الطرمَّاح يجيبه:

لـقـد عـلـم الـمـعـذَّل يـوم يـدعـو بـرِمْـثـةَ[4] يـومَ رِمـثـةَ إذ دعـانـا
فـوارسُ طـيِّـىءٍ مـنـعـوه لـمَّـا بـكـى جَـزَعـاً ولـولاهـم لـحـانَـا[5]
[الوافر]

---

(١) البُرجد: كساء من صوف ضخم مُخطّط. (٢) نبهان: بطن من طيء.
(٣) الطّالقان: اسم لموضعين، الأول بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، والأخرى بلدة بين قزوين وأبهر.
(٤) الرِّمثة: ماء ونخل لبني الربيع في اليمامة. (٥) حان: هلك، الحَيْن هو الهلاك.

فقال رجلٌ من بني يشكر:

لأقضينَّ قضاءً غيرَ ذي جنف[١] بالحقّ بين حُمَيدٍ والطِّرمَّاحِ
جرى الطرمَّاحُ حتى دقّ مِسحلهُ[٢] وغودِرَ العبدُ مقروناً بوضاحِ

[البسيط]

يعني رجلاً من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ.

شعر له في الشراة:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا الرّياشيّ قال: قال الأصمعيّ قال خلفٌ: كان الطرمَّاح يرى رأيَ الشراة، ثم أنشد له:

للَّهِ دَرّ الشراة إنَّهمُ إذا الكرى مالَ بالطُّلى[٣] أَرِقوا
يرِّجعون الحنين آونةً وإن عَلا ساعةً بهم شهِقوا
خوفاً تبيتُ القلوب واجفةً تكاد عنها الصدور تَنفلقُ
كيف أُرَجِّي الحياةَ بعدهُمُ وقد مضى مُؤنسيَّ فانطلقوا
قومٌ شِحاحٌ على أعتقادهمُ بالفوز ممَّا يُخافُ قد وثقوا

[المنسرح]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزيّ عن أَبي عبيدة عن يونس قال:

دخل الطرمَّاح على خالد بن عبد اللَّه القسري فأنشده قوله:

وشيَّبَني ما لا أزال مُناهضاً بغيرِ غنًى أسمو به وأَبوعُ[٤]
وأنّ رجالَ المال أضحوْا وما لهمُ لهم عند أبواب الملوك شفيعُ
أَمُختَرمي ريَب المنون ولم أَنل من المال ما أَعصي به وأُطيعُ

[الطويل]

فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال: أمضِ الآن فأعص بها وأَطِعْ.

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا حُذيفة بن محمد الكوفيّ قال: قال المفضَّل:

(١) جنف: ذو جنف أي ذو ميل وجور.
(٢) المِسحَل: اللِّجام.
(٣) الطُّلى: مفردها طُلية وهي الرَّقبة.
(٤) أبوع: يمد باعه بالإنفاق والعطاء والبذل.

إذا ركب الطرمَّاح الهجاء فكأنما يُوحى إليه، ثم أنشد له قوله:

لـو حـان وِردُ تـمـيـم ثـم قـيـل لـهـا ... حـوضُ الـرسـول عـلـيـه الأزدُ لـم تَـرِدِ
أو أنـزل الـلَّـه وحـيـاً أَن يُـعـذّبـهـا ... إن لـم تـعُـد لـقـتـال الأزد لـم تَـعُـدِ
لا عـزّ نـصـرُ امـرىءٍ أَضـحـى لـه فـرسٌ ... عـلـى تـمـيـمٍ يـريـد الـنـصـر مـن أحـدِ
لـو كـان يـخـفـى عـلـى الـرحـمـن خـافـيـةٌ ... مـن خـلـقـه خـفـيـتْ عـنـه بـنـو أسـدِ

[البسيط]

افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلا نعشه:

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عُمَر بن شبَّة قال حدثني المدائني قال حدثني ابنُ دأبٍ عن ابن شُبرُمة، وأَخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال أَخبرني أَبي قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الرَّبعيّ قال حدثني محمد بن عِمران قال حدثني إبراهيم بن سَوَّار الضَّبيّ قال حدثني محمد بن زيادٍ القرشيّ عن ابن شُبرمُة قال:

كان الطرمَّاح لنا جليساً ففقدناه أيَّاماً كثيرة، فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه. فلمَّا كنَّا قريباً من منزله إذا نحن بنعشٍ عليه مُطرفٌ أخضر، فقلنا: لمن هذا النعش؟ فقيل: هذا نعش الطرمَّاح. فقلنا: واللَّه ما استجاب اللَّه له حيث يقول:

وإنـي لـمُـقـتـادٌ جَـوادي وقـاذِفٌ ... بـه وبـنـفـسـي الـعـامَ إحـدى الـمـقـاذِفِ
لأكـسـبَ مـالاً أو أؤول إلـى غـنًـى ... مـن الـلَّـه يـكـفـيـنـي عِـداتِ[1] الـخـلائـفِ
فـيـا ربِّ إن حـانـتْ وفـاتـي فـلا تَـكُـن ... عـلـى شـرجـع[2] يُـعـلـى بـخـضـر الـمـطـارفِ
ولـكـنّ قـبـري بـطـنُ نَـسـر مَـقـيـلـه ... بـجـوّ الـسـمـاء فـي نـسـورٍ عـواكـفِ[3]
وأُمـسـي شـهـيـداً ثـاويـاً فـي عِـصـابـةٍ ... يُـصـابـون فـي فَـجٍّ مـن الأرض خـائـفِ
فَـوارسُ مـن شَـيـبـان ألَّـفَ بـيـنـهـم ... تُـقـى الـلَّـه نَـزَّالـون عـنـد الـتـزاحُـفِ
إذا فـارقـوا دُنـيـاهـمُ فـارقـوا الأذى ... وصـاروا إلـى مـيـعـاد مـا فـي الـمـصـاحـفِ

[الطويل]

---

(١) عِدات: مفردها عِدَة، وهي ما يوعد به المرء من صلة وعطيّة.
(٢) الشرجع: السرير الذي يحمل عليه الميت.
(٣) عواكف: يقال عكفت الطيور حول الجثث أي استدارت.

صـــوت

هـل بـالـدّيـار الـتـي بـالـقـاع مـن أحـدٍ باقٍ فـيـسـمـع صـوت الـمُـدلـج الـسـاري
تـلـك الـمـنـازلُ مـن صَـفـراء لـيـس بـهـا حـيٌّ يُـجـيـب ولا أصـواتُ سُـمَّـارِ

[البسيط]

الشعر لبيهسٍ الجَرميّ. والغناء لابن مُحرزٍ ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو وقال: ذكر ذلك يحيى المكيّ، وأظنُّه من المنحول. وفيه لطيّاب من إبراهيم الموصليّ خفيفُ ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوَضوء:

إرفَـع ضـعـيـفـك لا يَـحُـرْ بـك ضَـعـفُـه

* * *

أخبار بيهس ونسبه

نسبه:

هو بيهس بن صُهيب بن عامر بن عبد اللَّه بن ناتل بن مالك بن عُبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عَديّ بن سُميس بن طرود بن قُدامة بن جرم بن ربَّان بن حُلوان بن عِمران بن إلحاف بن قُضاعة، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأُموية. وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرمٍ وكلبٍ وعُذرة، ويحضر إذا حَضروا فيكون بأجناد الشام.

قال أَبو عمرو الشيبانيّ: لمَّا هدأت الفتنة بعد وقعة مرج راهطٍ وسكن الناسُ، مرّ غلامٌ من قيسٍ بطوائف من جَرم وعُذرة وكلب، وكانوا متجاورين على ماءٍ هناك لهم. فيقَال: إن بعض أَحداثهم نَخس به ناقته فألقته، فأَندقّتْ عُنقه فمات. واستعدى قومُه عبد الملك بن مروان، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم، فهرب بيهس بن صُهيب الجَرميّ ـ وكان قد اتُّهم بأنه هو الذي نخس به ـ فنزل بمحمد بن مروان واستجار به، فأجاره إلَّا مِن حدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ، فرَضي بذلك.

صـــوت

ألا يـا حـمـامـات الـلِّـوى[1] عُـدنَ عـودةً ... فـإنـي إلـى أَصـواتِـكُـنَّ حَـزيـنُ
فـعُـدنَ فـلـمَّـا عُـدنَ كِـدنَ يُـمـتـنـنـي ... وكـدتُ بـأسـراري لـهـنّ أُبـيـنُ
دَعـون بـأصـوات الـهـديـل كـأَنَّـمـا ... شـربـن حُـمَـيَّـا أو بِـهِـنّ جُـنـونُ
فـلـمْ تـرَ عـيـنـي مـثـلـهُـنّ حـمـائـمـاً ... بَـكـيـنَ ولـم تـدمـعْ لـهـنّ عُـيـونُ

[الطويل]

الشعر لأعرابيّ، هكذا أنشدناه جعفر بن قُدامة عن أَحمد بن حَمدون عن أَحمد بن إبراهيم بن إسماعيل. والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسخُنّر خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ. وقد قيل: إن الشعر لابن الدُّمينة.

(١) اللِّوى: هو ما التوى وانعطف من الرمل، أو الرمل الذي يعوج ويلتوي.

أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

هو محمد بن الحارث بن بُسخُنّر، ويُكنى أَبا جعفر. وهم، فيما يزعمون، موالي المنصور. وأَحسبه ولاءَ خدمةٍ لا ولاءَ عتق. وأَصلهم من الريّ. وكان محمد يزعم أنه من ولد بهرام جُوبين. ووُلد محمدٌ بالحيرة. وكان يُغني مُرتجلاً، إلا أن أَصل ما غنى عليه المِعزفة، وكانت تُحمل معه إلى دار الخليفة. فمرَّ غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مِصيدةُ الفأر، وقال بعضهم: لا، بل هي مِعزفةُ محمد بن الحارث. فحلف يومئذٍ بالطَّلاق والعِتاق أَلَّا يُغني بمعزفة أبداً أنفةً من أَن تشتبه آلةٌ يغني بها بمصيدة الفأر. وكان محمد أَحسن خَلْق اللَّه تعالى أَداءً وأسرعه أخذاً للغناء. وكان لأبيه الحارث بن بُسخُنّر جوارٍ محسنات. وكان إسحاق يرضاهن ويأمُرهنّ أن يطرحن على جواريه. وقال يوماً للمأمون وقد غنى مُخارق بين يديه صوتاً فألتاث[1] غناؤه فيه وجاء به مُضطرباً، فقال إسحاق للمأمون: يا أَمير المؤمنين، إنَّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء أداؤه في غنائه، فمُره بملازمة جواري الحارث بن بُسخُنَّر حتى يعود إلى ما تريد.

أَخبرني جحظة قال حدثني أَبو عبد اللَّه الهشاميّ قال:

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب يقول للواثق: قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: ما قَدر أَحدٌ قطُّ أن يأخذ مني صوتاً مستوياً إلَّا محمد بن الحارث بن بُسخُنّر؛ فإنه أخذ مني عدّة أصوات كما أغنّيها. ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث. فقال له الواثق: حدثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا. فقال: قد قال إسحاق ذاك لي مرَّاتٍ. فقال له الواثق: فأي شيءٍ أخذت من صنعته أحسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحدٌ قطُّ هذا الصوت كما أَخذته منه:

صـــوت

إذا الـمـرءُ قـاسـى الـدّهـر وابـيـضّ رأسـه وثُـلِّـم[2] تـثـلـيـمَ الإنـاءِ جـوانـبُـه

(١) إلتَاثَ: امتزج واختلط.

(٢) ثُلِّمَ: كُسِر حرفه فانكسر.

فـلـيـس لـه فـي الـعـيـش خـيـرٌ وإن بـكـى عـلـى الـعـيـش أو رجَّـى الـذي هـو كـاذبُـهْ
[الطويل]

ـ الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه فيه رَملٌ بالوسطى ـ فأمره الواثق بأن يُغنِّيه، فغنَّاه إياه وأحسن ما شاء وأجاد. واستحسنه الواثق وأمره بأن يُردِّده، فردّده مراراً كثيرةً، حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمُغنُّون. قال جحظة قال الهشامي فحدثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال: ما خلق اللَّه تعالى أحداً يُغني هذا الصوتَ كما يُغنيه هبة اللَّه بن إبراهيم بن المهديّ. فقلتُ له: قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنيه، فاسمعْه من محمد ثم ٱحكم. فلقيني بعد ذلك فقال: الأمرُ كما قلتَ، قد سمعته من محمد فسمعتُ منه الإحسان كلَّه.

ردّد صوتاً أخذه من جارية أحبها:

أَخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجِّم قال:

كنتُ يوماً في منزلي، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر مُسلِّماً وعائداً من علةٍ كنتُ وجدتُها؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل، ودعوتُ بما حضر فأكلنا وشربنا، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت:

صـــوت

أَمـن ذكـر خَـوْدٍ عـيـنـك الـيـومَ تـدمـعُ وقـلـبـك مـشـغـولٌ بـخَـوْدِك[1] مُـولَـعُ
وقـائـلـةٍ لـي يـومَ ولَّـيـتُ مُـعـرضـاً أهـذا فـراقُ الـحـبّ أم كـيـف تـصـنَـعُ
فـقـلـتُ كـذاك الـدهـرُ يـا خَـودُ فـٱعـلـمـي يُـفـرِّق بـيـن الـنـاس طُـرّاً ويـجـمَـعُ
[الطويل]

ـ أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى. فقال الهشاميّ: وفيه لفُليح ثاني ثقيل، ولإسحاق خفيفُ رملٍ ـ قال عليّ بن يحيى: فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغنَّاه أَشجى غناءٍ: إن لَك في هذا الصوت معنًى، وقد كرَّرته من غير أَن يقترحه عليك أحد. فقال: نعم! هذا صوتي على جاريةٍ من القِيان كنتُ أحبُّها وأخذته منها. فقلت له: فلِمَ لا تُواصلها؟ فقال:

لـو لـم أَنـكـهـا دام لـي حُـبُّـهـا لـكـنـنـي نـكـتُ فـلا نـكـتُ
[السريع]

(١) الخَود: الحَسنَة الخَلق، الشَّابة الناعمة جمعها: خودات وخُود.

فأجبتُه فقلت:

أكثرتَ من نيكِها والنَّيكُ مقطعةٌ فارفُق بنَيكك إن الرِّفقَ محمودُ

[البسيط]

وأَخبرني جعفر بن قُدامة عن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواثق لحنه:

ذَكرتُك إذ مرّت بنا أُمُّ شادنٍ[١] أمام المطايا تشرئبُّ[٢] وتسنحُ

من المُؤلِفات الرّمل أَدماءُ[٣] حُرَّةٌ شعاعُ الضُّحى في مَتنِها يتوَضّحُ

[الطويل]

ـ والشعر لذي الرُّمة. ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أَوّلُ ـ فأمره الواثق أن يُعيده على الجواري، وأَحلفَه بحياته أن ينصح فيه. فقال: لا يستطيع الجواري أن يأخُذنهُ مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذُه مني وتأخذه الجواري منه؛ فأُحضر وألقاه عليه، فأخذه منه، وأخذته الجواري منه.

أَخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسواسة الموصليّ قال حدثني حمَّاد بن إسحاق قال: قال لي محمد بن الحارث بن بُسخُنّر: أَخذتْ جاريةٌ للواثق مني صوتاً أخذتُه من أبيك، وهو:

صوت

أصبحَ الشَّيبُ في المفارق[٤] شاعَا واكتسى الرأسُ من مشيب قناعَا

وتولَّى الشبابُ إلا قليلاً ثم يأبى القليلُ إلَّا وداعَا

[الخفيف]

ـ الشعر والغناء لإِسحاق ثقيلٌ أَوّلُ ـ قال: فسمعه الواثق منها، فاستحسنه وقال لعلُّويه ومُخارق: أتعرفانه؟ فقال مخارق: أظُنُّه لمحمد بن الحارث. فقال علُّويه: هيهات! ليس هذا مما يدخلُ في صَنعة محمدٍ، هو يُشبه صَنعةَ ذلك الشيطانِ إسحاق. فقال له الواثق: ما أبعدتَ. ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصة؛ فقلت: صَدق علُّويه يا أَمير المؤمنين، هذا لإِسحاق ومنه أخذتُه.

(١) أمّ شادن: الظبية.
(٢) تَشْرئِبّ: ترفع عنقها وتمدّه لترى.
(٣) أدماء: لونها مشرب سواداً.
(٤) المَفارق: مفردها مِفرَق وهو أصل الناصية واللِّحية.

غنت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها:

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني عبد اللَّه بن المعتزّ قال: قال لي أحمد بن الحسين بن هشام:

جاءني محمد بن الحارث بن بُسخُنّر يوماً فقال لي: قُم حتى أطفِّل بك على صديقٍ لي حُرٍّ، وله جارية أحسنُ خلق اللَّه تعالى وجهاً وغِناءً. فقلتُ له: أَنت طُليليّ وتُطفِّل بي! هذه واللَّه أخسُّ حالٍ. فقال لي: دعِ المُجون وقم بنا؛ فهو مكان لا يستحي حرٌّ أن يتطفل عليه. فقمتُ معه، فقصد بي دار رجل من فتيان أهل «سُرّ من رأى» كان لي صديقاً يُكنى أَبا صالح، وقد غُيِّرتْ كنيته على سبيل اللَّقب فكُنّي أَبا الصالحات، وكان ظريفاً حسنَ المُروءة، يضرب بالعود على مذهب الفُرس ضرباً حسناً، وله رزقٌ سَنيّ في الموالي، وكان من أَولادهم، ولم يكن منزله يخلو من طعام كثير نظيفٍ لكثرة قصد إخوانه منزلَه. فلما طرق بابه قلتُ له: فرَّجتَ عني، هذا صديقي وأَنا طُفيليّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ. فدخلنا، وقُدِّم إلينا طعامٌ عتيدٌ طيِّب نظيف فأكلنا، وأُحضرنا النبيذ، وخرجت جاريته إلينا من غير ستارة، فغنَّتْ غناءً حسناً شكِلاً ظريفاً، ثم غنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه ـ وفيه أيضاً لحنٌ لإِبراهيم، والشعر لابن أبي عُيَينة ـ:

صـــوت

ضيَّعتِ عهدَ فتى لِعهدكِ حافظٍ ... في حفظه عجبٌ وفي تضييعكِ

إن تقتُليه وتذهبي بفؤاده ... فبِحسن وجهك لا بحسن صنيعكِ

[الكامل]

فطرب محمد بن الحارث ونقَّطها بدنانير مُسيَّفة كانت معه في خريطته، ووجّه غلامه فجاء ببرنيَّة[1] غاليةٍ كبيرة، فغلَّفها منها ووهب لها الباقي. وكان لمحمد بن الحارث أَخٌ طيِّب ظريف يُكنى أبا هارون، فطرب ونعر ونخر، وقال لأخيه: أريد أن أقول لك شيئاً في السرّ. قال: قُلْهُ عَلَانيةً. قال: لا يصلُح. قال: واللَّه ما بيني وبينك شيءٌ أبالي أن تقوله جهراً، فقُله. فقال: أشتهي علِم اللَّه أَن تَسأل أَبا الصالحات أَن يَنيكني، فعسى صوتي أن ينفتح ويطيبَ غِنائي. فضحك أَبو الصالحات وخَجِلت الجارية وغطَّتْ وجهها وقالت: سخِنتْ[2] عينُك! فإِن حديثك يُشبهِ وجهك.

(١) بُرنيَّة: إناء من خزف جمعها براني.

(٢) سَخِنت عينُك: سخون العين نقيض قرّتها، وأرادت بها أبكاك اللَّه.

صـــوت

وأيُّ أخٍ تـــبـــلـــو فـــتـــحـــمـــد أَمـــرَهُ إذا لـــجّ خـــصـــمٌ أو نـــبـــا بـــكَ مـــنـــزلُ
إذا أَنـــتَ لـــم تُـــنـــصـــف أخـــاك وجـــدتَـــه عـــلـــى طـــرفِ الـــهـــجـــران إن كـــان يـــعـــقـــلُ
ســـتـــقـــطـــعُ فـــي الـــدنـــيـــا إذا مـــا قـــطـــعـــتـــنـــي يـــمـــيـــنَـــك فـــانـــظُـــر أي كـــفٍّ تـــبـــدّلُ
إذا انـــصـــرفـــتْ نـــفـــسـي عـــن الـــشـــيء لـــم تـــكَـــدْ إلـــيـــه بـــوجـــهٍ آخـــرَ الـــدهـــرِ تُـــقـــبِـــلُ

[الطويل]

الشِّعر لمعن بن أَوْس المُزنيّ. والغناء لعرِيب خفيفُ رمل بالوسطى.

* * *

أخبار معن بن أوس ونسبه

نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم:

هو مَعن بن أَوس بن نَصر بن زِياد بن أسحم بن زِياد بن أَسعد بن أَسحم بن ربيعة بن عديّ بن ثعلبة بن ذُؤَيب بن عَدّاء بن عثمان بن مُزينة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ. ونُسبوا إلى مُزينة وهي امرأة: مُزَينة بنت كَلب بن وَبرة، وأبوهم عمرو بن أدّ بن طابخة.

أخبرني عبيد اللَّه بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخزاعي وعمي قالوا: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال:

مُزَينة بنت كلب بن وَبرة، تزوّجها عمرو بن أُدّ بن طابخة، فولدت له عثمان وأوساً، فغلبتْ أُمّهما على نسبهما. فعلى هذا القول عدّاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة.

ومعنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فَحل، من مُخضرَمي الجاهلية والإسلام. وله مدائح في جماعةٍ من أصحاب النبي ﷺ ورحمهم، منهم عبدُ اللَّه بن جَحش، وعمر بن أَبي سلمة المخزومي. ووفد إلى عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أمره، وخاطبه بقصيدته التي أوَّلها:

تَـأَوَّبَـه طـيـفٌ بـذاتِ الـجـراثِـم فـنـامَ رفـيـقـاه ولـيـس بـنـائـم

[الطويل]

وعُمِّرِ بعد ذلك إلى أيَّام الفتنة بين عبد اللَّه بن الزبير ومَروان بن الحكم.

أَخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المُنذر الحزاميّ قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد اللَّه بن ثَوبان عن علقمة بن مِحجنٍ الخزاعيّ عن أَبيه قال:

كان مُعاوية يُفضِّل مُزَينة في الشعر، ويقول: كان أشعرُ أَهل الجاهلية منهم وهو زُهير، وكان أشعرُ أهل الإِسلام منهم وهو ابنه كعبٌ، ومعنُ بن أَوس.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني العُتبيّ قال:

كان معن بن أَوس مِئناثاً[١]، وكان يُحسن صُحبة بناته وتربيتهنّ؛ فولد لبعض عشيرته بنتٌ فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك؛ فقال معنٌ:

رأيتُ رجالاً يَكرهون بَناتهم ... وفيهنَّ ـ لا تكذَب ـ نساءٌ صوالحُ
وفيهنّ ـ والأيام تعثر بالفتى ـ ... نَوادِبُ[٢] لا يَملَلنه ونَوائحُ[٣]

[الطويل]

أَخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرَفي قال حدثنا العنزيّ (يعني الحسن بن عُلَيل) قال حدثني أحمد بن عبد اللَّه بن عليّ بن سُوَيد بن مَنجوفٍ عن أبيه قال:

مرّ عُبَيد اللَّه بن العبَّاس بن عبد المطَّلب بمعن بن أوس المُزَنيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له: يا معن، كيف حالك؟ فقال له: ضَعُف بصري وكثر عِيالي وغلبني الدَّين. قال: وكم دَينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فبعث بها إليه. ثم مرّ به من الغد فقال له: كيف أصبحتَ يا مَعن؟ فقال:

أخذتُ بعينِ المالِ حتى نهكتُه ... وبالدَّين حتى ما أَكاد أدانُ
وحتى سأَلتُ القرض عند ذوي الغنى ... ورَدّ فلانٌ حاجتي وفُلان

[الطويل]

فقال له عُبَيد اللَّه: اللَّهُ المستعان، إنَّا بعثنا إليك بالأمس لُقمةً فما لُكتَها[٤] حتى ٱنتزعتْ من يدك، فأيُّ شيءٍ للأهل والقرابة والجيران! وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى. فقال معنٌ يمدحه:

وإنَّك فرعٌ من قُرَيشٍ وإنَّما ... تَمُجُّ الندى منها البحور الفوارعُ
ثَوَوْا قادةً للنَّاس، بَطحاءُ مَكَّةٍ ... لهم وسِقايات الحجيج الدَّوافعُ
فلمَّا دُعُوا للموت لم تَبكِ منهمُ ... على حادثِ الدَّهر العيونُ الدوامعُ

[الطويل]

أَخبرني محمد بن عِمران قال حدثني العنزيّ قال حدثني الفضل بن العبَّاس القُرَشيّ عن سعيد بن عمرو الزبيريّ قال:

---

(١) مئناث: الرجل الذي كثرت بناته. (٢) نوادب: مفردها نادبة وهي التي تكثر النّدب.
(٣) نوائح: مفردها نائحة وهي التي اعتادت النياح.
(٤) لُكتها: مضغتها.

كان لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثَور وكان لها محبّاً، وكانت حضريَّةً نشأت بالشام، وكانت في معنٍ أعرابيةٌ ولوثةٌ[١]، فكانت تضحك من عجرفيَّته[٢]. فسافر إلى الشام في بعض أعوامه، فضلَّت الرُّفقةُ عن الطريق وعدلوا عن الماء، فطوَوْا منزلهم وساروا يومهم وليلتهم، فسقط فرسُ مَعنٍ في وِجار[٣] ضَبٍّ دخلتْ يده فيه، فلم يستطع الفرسُ أَن يقوم من شدَّة العطش حتى حمله أهلُ الرُّفقة حملاً فأنهضوه، وجعل معنٌ يقوده ويقول:

لو شهدتني وجَوادي ثَورُ والرّأسُ فيه مَيلٌ ومَورُ[٤]
لضحكتْ حتى يميل الكَورُ[٥]

[الرجز]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العُتبيّ قال:

قَدِم معنُ بن أَوسٍ مكة على ابن الزبير فأنزله دارَ الضِّيفان، وكان ينزلها الغرباء وأبناءُ السبيل والضِّيفان، فأقام يومه لم يُطعَم شيئاً؛ حتى إذا كان الليلُ جاءهم ابن الزُّبير بتَيسٍ هَرِم هزيلٍ فقال: كلوا من هذا، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً؛ فغضب معنٌ وخرج من عنده، فأتى عُبَيد اللَّه بن العبَّاس فقراه وحمله وكساه، ثم أتى عبدَ اللَّه بنَ جعفر وحدّثه حديثه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثاً ثم رحل. فقال: يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وابنَ عبَّاس رضي اللَّه تعالى عنهم أجمعين:

ظلِلنا بمستنِّ الرّياح[٦] غُدَيَّةً إلى أن تعالى اليومُ في شرِّ محضَرِ
لدى ابن الزُّبير حابسين[٧] بمنزلٍ من الخير والمعروف والرّفد مُقفِرِ[٨]
رمانا أبو بكرٍ وقد طال يومُنا بتَيسٍ من الشَّاء الحجازي أعفَرِ[٩]
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثةٌ وسبعون إنساناً فيا لُؤمَ مَخبَرِ
فقلتُ له لا تَقرِنا[١٠] فأمامَنا جِفانُ ابن عبَّاس العُلا وابنِ جعفرِ

(١) اللوثة: الحمق والغباوة.
(٢) عجرفيّته: العجرفية: الإقدام في هَوَج والخُرق في العمل.
(٣) وجار ضبّ: حجر الضبّ.
(٤) المَوْر: الاضطراب والاهتزار.
(٥) الكَوْر: العمامة التي تكوّر فوق الرأس.
(٦) مُستنّ الرياح: المضطرب منها.
(٧) حابسين: ذوي حبس أي محبوسين.
(٨) مُقفِر: خالي، فارغ.
(٩) أعفَر: لونه فعَفَّر أي ملوث بالتُّراب.
(١٠) تقرِنا: تكرمنا وتضيفنا.

وكُن آمِناً وانعَقْ[١] بتَيسك إنَّه له أَعنُزٌ ينزو عليها وأَبشرِ
[الطويل]

أَخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزي قال حدثنا أَبو عبد اللَّه محمد بن معاوية الأسديّ قال:

قَدِم معن بن أَوس المُزَنيّ البصرة، فقعد يُنشد في المِربد، فوقف عليه الفرزدق فقال: يا مَعنُ مَن الذي يقول:

لَعمرُكَ ما مُزَينةُ رَهطُ مَعنٍ بأَخفاف يَطأْنَ ولا سَنام

فقال معنٌ: أتعرف يا فرزدق الذي يقول:

لعمرُك ما تميمٌ أهلُ فَلجٍ بأَردافِ[٢] الملوكِ ولا كرام
[الوافر]

فقال الفرزدق: حسبك! إنَّما جَرَّبتُك. قال: قد جرَّبتَ وأنت أعلم. فانصرف وتركه.

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي أَبو دُلَف قال حدثنا الرّياشي قال حدثنا الأصمعيّ قال:

دخلتُ خَضراءَ[٣] رَوح، فإذا أَنا برجلٍ من ولَده على فاحشةٍ يوماً، فقلتُ: قَبَّحك اللَّه! هذا موضعٌ كان أَبوك يضرِب فيه الأعناق ويُعطي اللُّها[٤] وأنت تفعل فيه ما أرى! فالتفتَ إليّ من غير أن يزول عنها وقال:

وَرِثنا المجدَ عن آباء صِدقٍ أَسَأْنا في ديارهمُ الصَّنيعَا
إذا الحسَبُ الرّفيعُ تَواكَلَتْه بُناةُ السَّوء أَوشَكَ أَن يضيعَا
[الوافر]

قال: والشِّعر لمعن بن أَوس المُزَنيّ.

أَخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبرَّد قال حدثنا أَحمد بن عُبَيدٍ أَبو عَصيدة عن الحِرمازي قال:

سافر معنُ بن أَوس إلى الشام وخلَّف ابنته ليلى في جوار عُمَر بن أَبي سلمة؛ ـ

(١) انعَق: النعيق هنا: دعاء الراعي لقطيعه بالعودة.
(٢) أرداف الملوك: مفردها رِدف وهو جليس الملك الذي يخلفه في أمور الرعية إذا خرج للغزو.
(٣) خضراء: بستان، أرض مزروعة.
(٤) اللُّها: مفردها لُهوة، وهي العطيّة أو أفضلها وأجزلها (تمّ شرحها سابقاً).

وأُمّه أمّ سلمة أمّ المؤمنين رضي اللَّه تعالى عنها ـ وفي جِوار عاصم بن عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه تعالى عنه. فقال له بعض عشيرته: على مَن خلَّفتَ ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبيَّة ليس لها مَن يكفلها؟ فقال معنٌ رحمه اللَّه تعالى:

لعمرُك ما ليلى بدارِ مَضيعةٍ ... وما شيخها أن غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَين لن يَغدرا بها ... ربيبَ النبيّ وابنَ خَير الخلائف

[الطويل]

أَخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ قال حدثني مسعود بن بِشر عن عبد الملك بن هشام قال:

قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عِدَّةٌ من أَهل بيته وولده: ليَقُل كلُّ واحد منكم أحسن شِعرٍ سمع به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطَرفة فأكثروا حتى أَتوْا على محاسن ما قالوا. فقال عبد الملك: أشعرُهم واللَّه الذي يقول:

وذي رَحمٍ قَلَّمتُ أَظفارَ ضِغنِه ... بحلمي عنه وَهوَ ليس له حِلمُ
إذا سُمتُه وَصلَ القرابة سامَني ... قَطيعتَها، تلك السفاهةُ والظُّلمُ
فأسعى لكَيْ أَبني ويَهدِمُ صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنُه الهَدمُ
يُحاولُ رَغمي لا يحاول غيرَه ... وكالموت عندي أن ينال له رغمُ
فما زِلتُ في ليِنٍ له وتعطُّفٍ ... عليه كما تحنو على الولَدِ الأمُّ
لأستلَّ منه الضِّغنَ حتى سللته ... وإن كان ذا ضِغنٍ يضيقُ به الحِلمُ

[الطويل]

قالوا: ومَن قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: مَعنُ بن أَوسِ المُزَنيّ.

أَخبرني عيسى بن حسين الورَّاق قال حدثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدثني سليمان بن عيَّاش السَّعديّ عن أبيه قال:

خرج معن بن أَوس المُزَنيّ إلى البصرة ليمتارَ منها ويبيع إبلاً له؛ فلمَّا قَدِمها نزل بقوم من عشيرته، فتولَّت ضيافته امرأةٌ منهم يقال لها ليلى، وكانت ذات جمالٍ ويَسارٍ، فخطَبها فأجابته فتزوّجها، وأقام عندها حولاً في أَنعم عيش. فقال لها بعد حَولٍ: يا ابنةَ عمّ، إني قد تركتُ ضَيعةً لي ضائعة، فلو أذِنتِ لي فاطَّلعت[1] طِلعَ أَهلي ورممت[2] من مالي! فقالت: كم تُقيم؟ قال: سنةً، فأذَنت له.

(١) اطّلعت طلع أهلي: عرفت أمورهم.
(٢) رممت مالي: أصلحت شؤوني.

فأتى أهله فأقام فيهم وأَزمن عنها (أي طال مُقامه). فلمَّا أبطأ عليها رحلتْ إلى المدينة فسألتْ عنه، فقيل لها: إنه بعَمْقٍ (وهو ماءٌ لمزَينة). فخرجتْ، حتى إذا كانت قريبةً من عَمقٍ نزلت منزلاً كريماً. وأقبل معن في طلب ذَودٍ له قد أضلَّها وعليه مِدرعةٌ من صوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أخضر ـ قال: والبتُّ: الطَّيلسان ـ وعِمامةٌ غليظةٌ. فلمَّا رُفِع[1] له القوم مال إليهم ليستسقي، ومع ليلى ابن أخٍ لها ومولىً من مواليها جالسٌ أمام خِباءٍ له. فقال له معنٌ: هل من ماءٍ؟ قال: نعم، وإن شئتَ سَويقاً، وإن شِئتَ لبناً؛ فأناخ. وصاح مولى ليلى: يا مُنهلة ـ وكانت مُنهلةُ الوصيفة التي تقوم على مَعنٍ عندهم بالبصرة ـ فلمَّا أتته بالقدَح وعرفها وحسر عن وَجهه ليشرب عرفته وأَثبتته، فتركت القدح في يده وأقبلتْ مسرعةً إلى مَولاتها فقالت: يا مَولاتي. هذا واللَّه معنٌ إلا أنه في جبَّةِ صوفٍ وبَتِّ صوفٍ. فقالت: هو واللَّه عَيشهم، الحَقي مولاي فقولي له: هذا معنٌ، فاْحبسه. فخرجت الوصيفة مُسرعةً فأخبرتْ. فوضع معنٌ القدح وقال له: دَعني حتى ألقاها في غير هذا الزيّ. فقال: لست بارحاً حتى تدخل عليها. فلمَّا رأته قالت: أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا مَعن؟! قال: إي واللَّه يا ابنةَ عمّ! أما إنك لو أقمتِ إلى أيَّام الرَّبيع حتى ينبتَ البلدُ الخُزامى[2] والرُّخامى[3] والسَّخبر[4] والكَمأة، لَأصبتِ عيشاً طيِّباً.

فغسلت رأسه وجسده، وألبسته ثياباً ليِّنة، وطيَّبته، وأقام معها ليلته أجمع يهرُجها[5]، ثم غدا متقدِّماً إلى عَمقٍ حتى أعدّ لها طعاماً ونحر ناقةً وغنماً. وقَدِمتْ على الحيّ، فلم تبقَ فيهم امرأةٌ إلا أتتها وسلَّمت عليها، فلم تدع منهنّ امرأةً حتى وصلتها. وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعمقٍ يقال لها أُمّ حِقَّةَ، فقالت لمعن: هذه واللَّه خيرٌ لك منّي، فطلِّقني، وكانت قد حملتْ فدخله من ذلك وقام.

ثم إنَّ ليلى رحلتْ إلى مكة حاجَّةً ومعنٌ معها. فلمَّا فرغا من حَجِّهما ٱنصرفا، فلمَّا حاذَيا مُنعرَجَ الطريق إلى عَمقٍ قال معن: يا ليلى، كأنَّ فؤادي ينعرج إلى ما هاهنا. فلو أقمتِ سنتنا هذه حتى نحجَّ من قابلٍ ثم نرحل إلى البصرة! فقالت: ما أَنا ببارحةٍ مكاني حتى ترحل معي إلى البصرة أَو تُطلِّقني. فقال: أمَّا إذ ذكرتِ الطلاق

(١) رُفع له: تراءى له عن بعد.
(٢) الخُزامى: نبتة طويلة صغيرة الورق، زهرتها حمراء طيِّبة الريح.
(٣) الرُّخامى: نبتة خضراء ريحها طيب.
(٤) السّخبر: شجر يشبه الإذخيرة، وإذا ارتفع وطال تدلى وانحنى.
(٥) يهرجها: يجامعها.

فأنت طالق. فمضت إلى البصرة، ومضى إلى عَمقٍ. فلمَّا فارقته ندم وتبعتها نفسه؛ فقال في ذلك:

تـوهّـمـتُ رَبـعـاً بـالـمـعَـبّـر واضـحـاً ... أبـتْ قَـرّتـاهُ الـيـومَ إلَّا تَـراوُحَـا
أَرَبَّـتْ عـلـيـه رادةٌ حَـضـرمـيَّـةٌ ... ومُـرتـجـزٌ كـأنَّ فـيـه الـمـصـابـحَـا
إذا هـي حـلَّـت كَـربـلاء فـلَـعـلَـعـاً ... فـجـوّزَ الـعُـذَيـبِ دونـهـا فـالـنَّـوابـحَـا[1]
وبـانـت نـواهـا[2] مـن نـواك وطـاوعـتْ ... مع الشَّـانـئـيـن الـشـامـتـات الـكـواشـحَـا[3]
فـقـولَا لـلـيـلـى هـل تـعـوّضُ نـادمـاً ... لـه رجـعـةٌ قـال الـطـلاق مُـمـازحَـا
فـإن هـي قـالـت لا فـقُـولا لـهـا بَـلـى ... أَلَا تَـتَّـقـيـن الـجـاريـات الـذَّوابـحَـا

[الطويل]

وهي قصيدةٌ طويلة. فلمَّا انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقَّةَ: ما فعلت ليلى؟ قال: طلَّقتها. قالت: واللَّه لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك، فطلِّقني أنا أَيضاً: فقال لها معنٌ:

أَعـاذِلُ أَقـصِـري ودعـي بَـيـاتـي ... فـإنَّـكِ ذاتُ لَـومـاتٍ حُـمـاتِ[4]
فـإنّ الـصُّـبـح مُـنـتـظـرٌ قـريـبٌ ... وإنَّـكِ بـالـمَـلامـة لـن تُـفـاتـي
نـأت لـيـلـى فـلـيـلـى لا تُـواتـي ... وضـنَّـتْ بـالـمـودّة والـبـتـاتِ[5]
وحـلَّـتْ دارُهـا سَـفـوانَ بـعـدي ... فـذا قـارٍ فـمُـنـخـرقَ الـفُـراتِ
تُـراعـي الـريـف دائـبـةً عـلـيـهـا ... ظِـلالُ أَلَـفّ[6] مُـخـتـلـطِ الـنـبـاتِ
فـدَعـهـا أَو تَـنـاوَلـهـا بـعَـنـسٍ[7] ... مـن الـعِـيـديّ فـي قُـلْـص[8] شِـخـاتِ[9]

[الوافر]

وهي قصيدة طويلة. قال: وقال لأمّ حقَّة في مُطالبتها إيَّاه بالطلاق:

كـأنْ لـم يـكـن يـا أُمَّ حِـقَّـة قـبـل ذا ... بـمَـيـطـان[10] مُـصـطـافٌ لـنـا ومَـرابـعُ

---

(١) النّوابح: موضع. (٢) نواها: قصدها ونيتها.
(٣) الكواشح: مفردها الكشح، ما بين الخاصرة إلى الضلع الخَلف.
(٤) حمات: مفردها حمة وهي السُّم. (٥) البتات: الزَّاد، والجهاز، ومتاع جمعها أبتَّة.
(٦) ألَفَّ: خيَّم على المكان. (٧) العنس: القويّة من النّوق.
(٨) قُلْص: مفردها قَلوص وهي الشابة من النوق.
(٩) شِخات: مفردها شخته وشخت وهو الدّقيق الضامر من الإبل.
(١٠) مَيْطان: جبل من جبال المدينة المنوّرة.

وإذ نحن في غُصن الشباب وقد عسا[١] بنا الآن إلّا أن يُعَوَّض جازعُ
فقد أنكرتْه أُمُّ حِقَّةَ حادثاً وأنكرها ما شئتَ والوُدُّ خادعُ
ولو آذنتنا أُمُّ حِقَّةَ إذ بنا شبابٌ وإذ لمَّا تَرُعنا الرَّوائعُ
لَقُلنا لها بِيني بلَيلٍ حميدةً كذاكِ بلا دمٍّ تُؤَدَّى الودائعُ

[الطويل]

صوت

أعابدُ حُيِّيتُمْ على النأي عابدَا سقاكِ الإلٰه المُنشآتِ[٢] الرَّواعدَا[٣]
أعابدَ ما شمسُ النهار إذا بدتْ بأحسنَ مما بين عَينيكِ عابدَا

[الطويل]

ويُروى:

أعابدَ ما شمسُ النهار بدتْ لنا

ويُروى:

أَعابدُ ما الشمسُ التي برزتْ لنا بأحسنَ مما بين ثَوبَيك عابدَا

[الطويل]

الشعر للحسين بن عبد اللَّه بن عُبَيد اللَّه بن العبَّاس بن عبد المطَّلب. والغناء لعطرَّد ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مجنَّس.

(١) عسا: غلظ ويبس.
(٢) المنشآت: السحاب المحمّل بالأمطار.
(٣) الرّواعد: مفردها راعدة وهي السحابة ذات الرّعد.

أخبار الحسين بن عبد اللَّه

شعره في عابدة قبل زواجه بها:

قد تقدَّم نسبه، وهو أشهر من أن يُعاد. ويُكنى أَبا عبد اللَّه. وكان من فِتيان بني هاشم وطُرَفائهم وشعرائهم. وقد روى الحديث وحُمِل عنه، وله شِعرٌ صالح. وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شُعَيب بن محمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وهي أُخت عمرو بن شعَيب الذي يُروى عنه الحديث. وفيها يقول قبل أن يتزوّجها.

صـوت

أعـاذِلُ إنّ الـحُـبّ لا شـكّ قـاتـلـي ... لئن لم تُقارضني[1] هوى النفس عابدَهْ
أَعـابـدُ خـافـي الـلَّـه فـي قـتـلِ مُـسـلِـمٍ ... وجُـودي عـلـيـه مـرَّة قـطُّ واحـدَهْ
فـإن لـم تـريـدي فـيَّ أَجـراً ولا هـوًى ... لـكـم غـيـرَ قـتـلـي يـا عُـبَـيـدُ فـراشِـدَهْ
فـكَـم لـيـلـةٍ قـد بِـتُّ أرعَـى نـجـومَـهـا ... وعَـبـدةُ لا تـدري بـذلـك راقِـدَهْ

[الطويل]

الغناء لحكَم الوادي، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق.

فممَّا حُمِل عنه من الحديث ما حدثني به أحمد بن سَعيد قال حدثني محمد بن عُبيد اللَّه بن المنادي قال حدثني يونس بن محمد قال حدثنا أبو أُوَيس عن حسين بن عبد اللَّه بن عُبَيد اللَّه بن عباس عن عِكرمة عن ابن عبَّاس قال:

مرَّ النبي ﷺ على حسَّان بن ثابت وهو في ظلّ فارعٍ[2] وحوله أصحابه وجاريته سيرينُ تغنِّيه بمزهرها:

هـل عـلـيَّ وَيـحـكـمـا ... إن لـهـوْتُ مـن حَـرَجْ

[المقتضب]

---

(١) تقارضني: تبادلني، ويقال: تقارض الرجلان، أي أقرض كل واحد منهما صاحبه خيراً أو شرّاً.
(٢) فارع: حصن حسان بن ثابت في المدينة.

فضحك النبي ﷺ ثم قال: «**لا حَرَجَ إن شاء اللّه**».

وكانت أُمّ عابدة هذه عمَّة حسين بن عبد اللّه بن عُبَيد اللّه، أُمّها عمرةُ بنت عبيد اللّه بن العبَّاس، تزوّجها شُعَيب فولدت له محمداً وشُعَيباً ابنَي شعيب وعابدة، وكان يقال لها عابدة الحُسن، وعابدة الحسناء.

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العلاء والطوسيّ قالا حدثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدثني محمد بن يحيى قال:

خطب عابدة بنت شعيبٍ بَكَّار بن عبد الملك وحسين بن عبد اللّه، فآمتنعت على بكَّار وتزوّجت الحسين. فقال له بكَّار: كيف تزوّجتك العابدة وآختارتك مع فقرك؟ فقال له الحسين: أَتُعيّرُنا بالفقر وقد نحلَنا اللّه تعالى الكَوثر!

أَخبرني الحرميّ والطوسيّ قالا حدثنا الزُّبير بن بكَّار عن عمه قال:

كان حسين بن عبد اللّه أمُّه أُمُّ ولدٍ[١]، وكان يقول شيئاً من الشعر، وتزوّج عابدة بنت شعيبٍ وولدت منه، وبسببها رُدّت على وَلَد عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العبَّاس. وكان عبد اللّه بن مُعاوية بن عبد اللّه بن جعفر صديقاً له، ثم تنكَّر ما بينهما؛ فقال فيه ابن مُعاوية:

إنَّ ابـــن عـــمـــكَ وابـــنَ أُمّـــ ... ـكَ مُـعـلَـمٌ شـاكـي الـسِّـلاحِ
يَـقِـصُ[٢] الـعـدوَّ ولـيـس يَـر ... ضـى حـيـن يـبـطـش بـالـجِـراحِ
لا تـحـسـبـنَّ أذَى ابـنِ عَـمِّـ ... ـكَ شُـربَ ألـبـان الـلِّـقـاحِ[٣]
بَـل كـالـشَّـجـاةِ[٤] ورا الـلَّـهـا[٥] ... ةِ إذا تُـسَـوَّغُ[٦] بـالـقَـراحِ[٧]
فـآخـتَـرْ لـنـفـسـك مَـن يُـجـيـ ... ـبـك تـحـت أطـراف الـرّمـاحِ
مَـن لا يـزالُ يَـسـوؤُهُ ... بـالـغَـيـب أن يـلـحـاكَ لاحِ

[مجزوء الكامل]

---

(١) أم ولد: أمه.
(٢) يَقِص: يكسر، وهنا يغلِب.
(٣) اللِّقاح: مِفردها لقحة، وهي الناقة التي قَبِلت اللقاح.
(٤) الشَّجاة: ما يعترض في الحلق من عظم وغيره.
(٥) اللَّهاة: اللحمة المشرفة على الحلق.
(٦) تُسَوَّغ: يُسَهَّل مدخلُها.
(٧) القَراح: الماء الخالص العذب الذي لا تشوبه شائبة.

فقال حسين له:

أَبـرِقْ لـمـن يـخـشـى وأَو عِـد غـيـر قَـومـك بـالـسِّـلاحِ
لَـسـنـا نُـقِـرُّ لـقـائـلٍ إلَّا الـمُـقَـرَّط[1] بـالـصَّـلاحِ

[مجزوء الكامل]

قال: ولحسين يقول ابنُ مُعاوية:

قُـلْ لـذي الـوُدّ والـصـفـاءِ حـسـيـنِ أُقـدُرِ الـوُدّ بـيـنـنـا قَـدَرَهْ
لـيـس لِـلَّـدابـغِ[2] الـمـحـلِّـم[3] بُـدٌّ مـن عِـتـاب الأديـم ذي الـبَـشَـرَهْ
لـسـتُ إن راغ[4] ذو إخـاءٍ ووُدٍّ عَـن طَـريـقٍ بـتـابـع أَثَـرَهْ
بَـلْ أقـيـمُ الـقـنـاةَ والـوُدَّ حـتـى يـتـبـع الـحـقَّ بـعـدُ أو يَـذَرَهْ

[الخفيف]

أَخبرني محمد بن مَزيَد قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن محمد بن سلَّام قال:

كان مالك بن أبي السَّمح الطائي المغنّي صديقاً للحسين بن عبد اللَّه بن عُبَيد اللَّه بن العبَّاس ونديماً له، وكان يتغنّى في أشعاره. وله يقول الحسين رحمه اللَّه تعالى:

لا عَـيـشَ إلَّا بـمـالـك بـن أبـي الـسَّـمـ ـحِ فـلا تَـلَـحـنـي[5] ولا تَـلُـمِ
أَبـيـضُ كـالـسـيـف أو كـمـا يـلـمـعُ الـ ـبـارِقُ فـي حِـنـدِسٍ[6] مـن الـظُّـلَـمِ
يُـصـيـبُ مـن لـذَّة الـكـريـم ولا يَـهـتِـكُ حـقَّ الإسـلام والـحُـرَمِ
يـا رُبَّ لـيـلٍ لـنـا كـحـاشـيـة الـ ـبُـرْد ويـوم كـذاك لـم يـدُمِ
قـد كـنـتُ فـيـه ومـالـك بـن أبـي الـسـمـ ـح الـكـريـم الأخـلاقِ والـشِّـيَـمِ
مَـن لـيـس يَـعـصـيـكَ إن رشَـدْتَ ولا يـجـهـلُ آيَ الـتـرخـيـص فـي الـلَّـمَـمِ

[المنسرح]

قال: فقال له مالك: ولا إن غوَيتَ واللَّه بأبي أنت وأمي أَعصيك. قال وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد، فقال له: أخطأ حسين في صفتك، إنما كان ينبغي أن يقول:

---

(١) المُقرَّط: الموسوم.
(٢) الدَّابغ: الذي يقوم بدباغة الجلد.
(٣) المُحَلِّم: الذي ينزع الحلم عن الجِلد.
(٤) راغ: مال وحاد عن الشيء.
(٥) تَلَحني: تَلُمني.
(٦) حِندِس: الليل المظلم، الظُلمة جمعها حَنَادس.

أحـوَلُ كـالـقـردِ أو كـمـا يـخـرُج الـــ ـسَّـارق فـي حـالـكِ مـن الـظُّـلَـم
[المنسرح]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

كان الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العبَّاس إذا صلى العصرَ دخل منزله وسمع الغناء عشيته. فأتاه قومٌ ذات عشيَّةٍ في حاجةٍ لهم فقضاها، ثم جلسوا يحدِّثونه. فلما أطالوا قال لهم: أتأذَنون؟ فقالوا نعم. فقام في أصحاب له وهو يقول:

قُـومُـوا بـنـا نُـدرِكْ مـن الـعـيـش لـذَّةً ولا إثـمَ فـيـهـا لـلـتَّـقـيّ ولا عـارَا
[الطويل]

صـوت

إنَّ حـربـاً وإنَّ صَـخـراً أبـا سُـفـ ـيـانَ حـازا مـجـداً وعِـزّاً تـلـيـدَا[1]
فـهـمـا وارِثـا الـعُـلا عـن جُـدودٍ وَرِثـوهـا آبـاءَهـم والـجُـدودا

الشعر لفضالة بن شريكٍ الأسديّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيد بن مُعاوية. وبعد هذين البيتين يقول:

وحَـوَى إرثَـهـا مُـعـاويـة الـقَـر مُ[2] وأعـطـى صَـفـوَ الـتُّـراثِ يـزيـدَا
[الخفيف]

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيطيّ ثقيلٌ أوَّل بالبنصر عن الهشامي. واللّه أعلم.

* * *

(١) التليد: القديم ويقال: تلد المال كالإبل والغنم وسوى ذلك، أي كان أو ولد في بيتك من قديم.
(٢) القَرم: السيِّد، وجيه القوم.

أخبار فضالة بن شريك ونسبه

هو فَضالةُ بن شَريك بن سَلمان بن خُوَيلد بن سلمة بن عامرٍ مُوقِدِ النار ابن الحَريش بن نُميْر بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أَسَد بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ. وكان شاعراً فاتكاً صُعلوكاً[١] مخضرَماً[٢] أدرك الجاهلية والإسلام. وكان له ابنان شاعران، أحدُهما عبد اللَّه بن فضالة الوافدُ على عبد اللَّه بن الزُّبير والقائل له: إنَّ ناقتي قد نَقِبت[٣] ودبِرتْ[٤]؛ فقال له: ٱرقَعها بجلدٍ وٱخصِفها[٥] بهُلبٍ[٦] وسِر بها البَردَين. فقال له: إني قد جئتك مُستحملاً لا مستشيراً، فلعن اللَّه ناقةً حملتني إليك. فقال له ابن الزبير: إنَّ وراكبها. فٱنصرف من عنده وهو يقول:

أقولُ لغِلمتي شُدّوا ركابي ... أجاوِزْ بَطنَ مكَّة في سَوادِ
فما لي حين أقطع ذات عرقٍ ... إلى ابنِ الكاهليَّة من مَعادِ
سَيُبعدُ بيننا نَصُّ المطايا[٧] ... وتَعليقُ الأداوى[٨] والمَزادِ[٩]
وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلمتهُ ... مَناسمهُنّ[١٠] طَلَّاعِ النِّجادِ[١١]
أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيبٍ ... نَكِدنَ[١٢] ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ
مِنَ الأعياص أو مِن آل حَربٍ ... أَغَرَّ كغُرّة الفرَس الجوادِ

[الوافر]

---

(١) الصعلوك: الفقير أو الضعيف وجمعها صعالك وصعاليك العرب هم أيضاً فُتَّاكُها.
(٢) المخضرم: الشاعر الذي أدرك الجاهلية والإسلام.
(٣) نَقِبَت: نقِبَت الناقة أي حَفِيَت ورقَّت أخفافها.
(٤) دَبِرَت: جُرِحَت في ظهرها، أو دبرها. (٥) أخصفها: أخرزها وألصقها.
(٦) الهُلب: الشعر، أو ما غَلُظ منه.
(٧) المطايا: ما يمتطيه المرء من خيل وغيره. الرِّكاب.
(٨) الأداوى: مفردها إداوة، وهي إناء صغير من جلد.
(٩) المزاد: الموضع الذي تعلَّق فيه الزَّاد.
(١٠) المناسم: مفردها منسم، وهو طرف خف الإبل.
(١١) النِّجاد: مفردها نجد وهو ما ارتفع وعلا من الأرض.
(١٢) نَكِدن: نَكِدَ عيشه أي اشتدّ وعَسُرَ.

حدثنا بذلك محمد بن العبَّاس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائني. فأمَّا فاتك بن فضالة فكان سيِّداً جَواداً. وله يقول الأقيشر يمدحه:

وَفَد الوفود فكنتَ أفضل وافدٍ يا فاتكُ بنَ فَضالةَ بن شَريكِ

[الكامل]

أَخبرني بما أذكر من أخباره هاهنا مجموعاً، عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيدٍ السُّكَّري عن محمد بن حبيب، وما ذكرته متفرّقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذتُه. قال ابن حبيب:

مرّ فضالة بن شريكٍ بعاصم بن عمر بن الخطَّاب ـ رضي اللَّه تعالى عنهما ـ وهو مُتَبَدٍّ[1] بناحية المدينة، فنزل به فلم يَقرِه[2] شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ، وقد عرّفوه مكانهم، فارتحلوا عنه. والتفت فضالةُ إلى مولًى لعاصمٍ فقال له: قُل له: أمَا واللَّه لأطَوّقنَّك طَوقاً لا يُبلى. وقال يهجوه:

ألا أيّها الباغي القِرى لستَ واجداً قِراك إذا ما بتَّ في دار عاصمِ
إذا جئته تبغي القِرى بات نائماً بَطيناً[3] وأمسى ضيفه غير نائم
فدَعْ عاصماً أُفٍّ لأفعال عاصم إذا حُصِّل الأقوام أهل المكارم
فتًى من قُرَيشٍ لا يجود بنائلٍ ويَحسب أنّ البُخلَ ضَربة لازم
ولولا يدُ الفاروق قلَّدتُ عاصماً مُطوِّقةً يُحدى بها في المواسم
فليتك من جَرْمِ بن زبَّان أو بني فُقَيمٍ أَو النَّوكي أَبان بن دارم
أُناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بُيوتهم غَدَا جائعاً عَيمان[4] ليس بغانم

[الطويل]

قال: فلما بلغت أبياته عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ، فهرب فضالة بن شريكٍ فلحق بالشام، وعاذ بيزيد بن مُعاوية وعرَّفه ذَنبه وما تخوَّف من عاصم؛ فأعاذه، وكتب إلى عاصم يُخبره أنَّ فضالة أتاه مستجيراً به، وأنَّه يحبّ أَن يهبه له، ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، ويضمن له ألَّا يعود لهجائه؛ فقبِل ذلك عاصمٌ وشفَّعَ يزيد بن معاوية. فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية.

إذا ما قُرَيشٌ فاخرتْ بقديمها فخرْتَ بمجدٍ يا يزيد تَليدِ

---

(١) المُتَبَدّي: المقيم بالبادية. (٢) يُقرِه: يضيفه.
(٣) البطين: العظيم البطن.
(٤) عيمان: العيم: العطش، وهو عيمان وهي عيمى.

بـمـجـد أمـيـر الـمـؤمـنـيـن ولـم يـزَل ... أبـوك أمـيـنُ الـلَّـه غـيـر بـلـيـدِ
بـه عـصـم الـلَّـه الأنـام مـن الـرَّدى[١] ... وأدرك تَـبـلاً[٢] مـن مَـعـاشـرَ صِـيْـدِ[٣]
ومـجـدِ أبـي سُـفـيـان ذي الـبـاع والـنَّـدى ... وحـربٍ ومـا حـربُ الـعُـلا بـزهـيـدِ
فـمـن ذا الـذي إن عـدَّد الـنـاس مـجـدهـم ... يـجـيء بـمـجـدٍ مـثـل مـجـدِ يـزيـدِ

[الطويل]

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصة بعينها.

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني السكَّري عن ابن حبيب قال:

كان عبد اللَّه بن الزبير قد ولّى عبد اللَّه بن مُطيع بن الأسود بن نَضلة بن عُبَيد بن عَويج بن عديّ بن كعب، الكوفة، فطرده عنها المختار بن أبي عُبيد حين ظهر، فقال فضالة بن شريكٍ يهجو ابن مُطيع:

دعـا ابـنُ مُـطـيـع لـلـبـيـاع فـجـئـتـه ... إلـى بَـيـعـةٍ قـلـبـي بـهـا غـيـرُ عـارفِ
فـقـرَّب لـي خَـشـنـاء لـمَّـا لـمـسـتُـهـا ... بـكَـفٍّـيَ لـم تُـشـبـه أَكُـفَّ الـخـلائـفِ
مـعـوَّدةً حـمـلَ الـهَـراوى[٤] لـقـومـهـا ... فَـرُوراً إذا مـا كـان يـوم الـتـسـايـفِ[٥]
من الشَثنات[٦] الكُزم[٧] أنكرتُ لمسها ... وليست من البِيض السِّياط اللَّطائفِ
ولـم يُـسـم إذ بـايـعـتـه مـن خـلـيـفـتـي ... ولـم يـشـتـرط إلَّا اشـتـراط الـمُـجـازفِ
متى تَلقَ أَهلَ الشام في الخَيل تَلقَني ... على مُقرَبٍ[٨] لا يُزدهى بالمَجاذفِ[٩]
مُـمَـرٍّ كـبُـنـيـان الـعـبـاديِّ مُـخـطَـفٍ[١٠] ... مـن الـضِّـاريـات بـالـدّمـاء الـخَـواطـفِ

[الطويل]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: تزوَّج عامرُ بن مسعود بن أُميَّةَ بن خلفٍ الجُمحيَ امرأةً من بني نصر بن معاوية، وسأل في صَداقها بالكوفة، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سأله درهمين درهمين. فقال له فضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله:

أنـكَـحـتُـمُ يـا بـنـي نَـصـرٍ فَـتـاتَـكُـمُ ... وَجهاً يَشين وُجوه الربَّرب[١١] العِينِ[١٢]

(١) الرَّدى: الهلاك.
(٢) التبل: العداوة والثأر.
(٣) صيد: مفرد أصيد، وهو الذي لا يلتفت من زهوه وكبره.
(٤) الهراوى: مفردها الهِرَاوة وهي العصا.
(٥) التسايف: التضارب بالسيوف.
(٦) الشثنات: الأيدي الخشنة الغليظة.
(٧) الكُزم: شدَّة قِصَر الأصابع.
(٨) المُقرَّب: الخيل الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته.
(٩) المجاذف: ما يدفع به ليمشي.
(١٠) المُخطف: مُنطوي البطن.
(١١) الرَّبرب: القطيع أو الجماعة من البقر.
(١٢) العِين: الواسعة العيون، الواحد أَعْيَن والواحدة عَيْناء.

أنكحتُمُ لا فتى دُنيا يُعاش به ولا شُجاعاً إذا ٱنشقَّتْ عصا الدّينِ
قد كنتُ أرجو أبا حَفصٍ وسُنَّتَه حتى نكحتَ بأرزاق المساكينِ

[البسيط]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: أَودعَ فضالةُ بن شريكٍ رجلاً من بني سُليم يقال له قَيس، ناقةً، فخرج في سفرٍ؛ فلمَّا عاد طلبها منه، فذكر أنَّها سُرِقتْ. فقال فيه:

ولو أنّني يومَ بَطنِ العقيقِ ذكرتُ وذو اللُّبِّ يَسلَى كثيرَا
مُصابَ سُلَيمٍ لِقاح[1] النبيِّ لم أُودِعِ الدَّهر فيهم بعيرَا
وقد فات قيسٌ بِعَيرانةٍ[2] إذا الظِّلُّ كان مَداه قصيرَا
مِن اللَّاعباتِ بفضل الزّمام[3] إذا أقلقَ السَّير فيه الضُّفورا[4]
ومَن يَبكِ منكم بني مُوقدٍ ولم يرهم يَبكِ شجواً[5] كبيرَا
هُمُ العاسفون[6] صِلابُ القَنا إذا الخَيل كانت من الطَّعن زُورَا[7]
وأيسارُ لقمان إذ أمحلوا وعِزٌّ لمن جاءهم مُستجيرَا
فإن أنا لم يُقضَ لي ألقَهم قَرأتُ السلام عليهم كثيرَا

[المتقارب]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أنَّ القصيدة التي ذكرتُها عن المدائني في خبر عبد اللَّه بن فضالة بن شريكٍ مع ابن الزُّبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه، وذكر الأبيات وزاد فيها:

شَكوتُ إليه أن نَقِبتْ قَلوصي فردَّ جوابَ مَشدود الصِّفادِ[8]
يضنُّ بناقةٍ ويروم مُلكاً مُحالٌ ذٰلِكم غيرُ السَّدادِ
وَليتَ إمارةً فبخلتَ لمَّا وَلِيتَهمُ بملكٍ مُستفادِ

(١) اللِّقاح: مفردها لقحة، وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللّبن.
(٢) العيرانة: الناقة التي تشبه العير في قوتها ونشاطها.
(٣) الزِّمام: ما يُزَّم به، جمعها أَزِمَّة.
(٤) الضّفور: مفردها ضَفر، وهو ما يصنع من الشعر المضفور ليشدّ به البعير وغيره.
(٥) الشجو: الحزن والهمّ أو الشوط من البكاء.
(٦) العاسفون: الذين مالوا وعدلوا عن الطريق، وهنا الظالمون لميلهم عن العدل.
(٧) الزور: الكذب والباطل.
(٨) الصِّفاد: القيود التي يوثق بها الأسير وتستعمل للبعير والإبل أيضاً.

فـإن وَلـيـتْ أُمـيَّـةُ أَبـدلـوكـم بـكـلّ سَـمَـيـدعٍ[١] واري الـزّنـادِ
مـن الأعـيـاص أَو مـن آل حَـربٍ أغـرَّ كـغُـرّة الـفـرس الـجَـوادِ
إذا لـم ألـقـهـم بـمـنًـى فـإنّـي بـبـيـتٍ لا يـهـشّ لـه فـؤادي
سـيُـدنـيـنـي لـهـم نـصُّ الـمـطـايـا وتـعـلـيـقُ الأداوى والـمـزادِ
وظَـهـرُ مُـعَـبَّـدٍ قـد أعـمـلـتـه مَـنـاسـمـهـنّ طَـلَّاع الـنِّـجـادِ
رعَـيـنَ الـحَـمـضَ حَـمـضَ خُـنـاصـراتٍ ومـا بـالـعِـرق مـن سَـبَـل[٢] الـغـوادي[٣]
فـهـنَّ خـواضـعُ الأبـدان قُـودُ[٤] كـأنَّ رؤوسـهـنَّ قـبـور عـادِ
كـأنَّ مَـواقـعَ الـغـربـان مـنـهـا مَـنـاراتٌ بُـنـيـنَ عـلـى عِـمـادِ

[الوافر]

قال: فلمَّا وليَ عبد الملك بعث إلى فضالة يطلبه، فوجده قد مات، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقرها بُرّاً وتَمراً. قال: والكاهلية التي ذكرها زُهرة بنتُ خُنثَرٍ امرأةٌ من بني كاهل بن أَسدٍ، وهي أُمُّ خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى.

صـوت

لـقـد طـال عَـهـدي بـالإمـام مـحـمـدٍ وما كـنـتُ أخـشـى أن يـطـول بـه عـهـدي
فـأصـبـحـتُ ذا بُـعـدٍ وداري قـريـبـةٌ فـواعـجـبَـا مـن قُـرب داري ومـن بُـعـدي
فـيـا لـيـتَ أنَّ الـعِـيـدَ لـي عـاد يـومـه فـإنِّـي رأيـت الـعـيـد وَجـهـك لـي يُـبـدي
رأيـتـك فـي بُـردِ الـنـبـيّ مـحـمـدٍ كـبَـدر الـدُّجـى بـيـن الـعـمـامـة والـبُـردِ

[الطويل]

الشعر لأبي السِّمط مروان الأصغر بن أبي الجَنوب بن مَروان الأكبر بن أبي حَفصة. والغناء لِبنانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد. وذكر الصولي أن هذا الشعر ليحيى بن مروان. وهذا غلط قبيح.

* * *

(١) سميدع: السيد الشريف الكريم، والشجاع الباسل.
(٢) سبل: مطر.
(٣) الغوادي: مفردها غادية وهي الغيمة التي تنشأ غدوة.
(٤) قود: مفردها أقود وقوداء، والقود طول الظهر والعنق كأنه مُنقاد.

أخبار مروان الأصغر

كان أهله شعراء وشعره دونهم:

قد مرّ نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتقدِّماً. وكان مروان هذا آخرَ مَن بقي منهم يُعَدّ في الشعراء، وبقي بعده منهم متوَّجٌ. وكان ساقطاً بارد الشِّعر. فذكر لي عن أَبي هِفَّان أنه قال: شِعرُ آل أَبي حفصة بمنزلة الماء الحارّ، ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته، ثم يفتر ثم يبرُد، وكذا كانت أشعارهم، إلَّا أَنّ ذلك الماء لمَّا انتهى إلى متوَّج جَمَد.

وهذا الشعر يقوله مَروان في المنتصر، وكان قد أقصاه وجفاه، وأظهر خلافاً لأبيه في سائر مذاهبه حتى في التشيُّع، فطرد مروان لنصبه، وأخرجه عن جُلسائه. فقال هذه الأبيات وسأل بُنان بن عمرو فغنَّى فيها المنتصر ليستعطفه. وخبرُه في ذلك يُذكر في هذا الموضع من الكتاب.

مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة:

أَخبرني عمي وحبيب بن نَصر المهلَّبي قالا حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدثني حمَّاد بن أحمد بن سليمان الكلبيّ قال حدثني أبو السِّمط مَروان الأصغر قال:

لمَّا دخلتُ إلى المتوكل مدحته ومدحتُ وُلاة العهود الثلاثة وأنشدتُه:

سقى اللَّه نَجداً والسلامُ على نجدِ ... ويا حبَّذا نجدٌ على النأيِ والبُعْدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغداد دونها ... لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
ونجدٌ بها قومٌ هَواهُم زيارتي ... ولا شيءَ أحلى من زيارتهم عندي

[الطويل]

قال: فلمَّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهر فَرَسٍ وبغلةٍ وحِمارٍ، ولم أبرَحْ حتى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول:

تخيّرَ ربُّ الناس للناس جعفرَا ... ومَلَّكه أمرَ العباد تخيُّرَا

فلما صرتُ إلى هذا البيت:

فـأمسِـكْ نَـدَى[١] كـفَّـيـك عـنّـي ولا تـزِد فـقـد كـدتُ أن أطـغـى وأن أتـجـبَّـرَا

[الطويل]

قال لي: لا واللَّه لا أُمسكُ حتى أَغرّقك بجودي.

وحدثني عمي بهذا الخبر قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدثني مروان بن أبي الجنوب، فذكر مثل هذا الخبر سواءً، وقال بعد قوله: «لا واللَّه لا أُمسك حتى أغرّقك». سَلني حاجتك. فقلت: يا أَمير المؤمنين، الضَّيعَة التي أمرتَ أن أُقطَعها باليمامة ـ ذكر ابن المدبّر أنَّها وَقفُ المعتصم على ولده ـ فقال: قد قَبَّلتك[٢] إيَّاها مائة سنة بمائة درهم. فقلت: لا يحسن أَن تُضمَنَ ضيعةٌ بدرهم في السنة. فقال ابن المدبّر: فبألف درهم في كلّ سنة. فقلت: نعم. فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنفَذَ ذلك لي، وقال: ليست هذه حاجةً، هذه قَبالةٌ، فسَلني حاجتك. فقلت ضيعة يقال لها السُّيُوح أمر الواثق بإقطاعي إيَّاها، فمنعَنيها ابنُ الزَّيات؛ فأمر بإمضاء الإِقطاع لي.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عليّ بن يحيى المنجَم قال:

كان عليّ بن الجهم يَطعن على مروان بن أَبي الجَنوب ويَثلُبُه حسداً له على موضعه من المتوكل. فقال له المتوكل يوماً: يا عليّ، أيُّما أشعرُ أَنت أَو مَروان؟ فقال: أَنا يا أَمير المؤمنين. فأقبل على مروان فقال له: قد سمعتَ، فما عندك؟ قال: كلُّ أحدٍ أشعرُ منّي يا أمير المؤمنين، وما أصِفُ نفسي ولا أُزكِّيها. وإذا رضيني أَمير المؤمنين فما أُبالي مَن زيَّفني. فقال له: قد صدَّقتك، عليٌّ يزعمُ سرّاً وجهراً أنه أشعر منك. فالتفت إليه مروان فقال له: يا عليّ! أأنت أشعر منّي؟ فقال: أَوَتَشكُّ في ذاك؟ قال: نعم! أَشُكُّ وأَشُكُّ، وهذا أَمير المؤمنين بيننا. فقال له عليٌّ: إنَّ أمير المؤمنين يُحابيك[٣]. فقال المتوكل: هذا عِيٌّ منك يا عليّ؛ ثم قال لابن حَمدون: احكُم بينهما. فقال: طرَحتَني واللَّه يا أَمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أَسدين. قال: واللَّه لتحكمنّ بينهما. فقال له: أمَّا إذ حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أَعرفهما في الشِّعر. فقال له المتوكل: قد سمعتَ يا عليُّ. قال: قد عرف ميلك إليه فمال معه. فقال: دَعنا منك، هذا كلُّه عِيٌّ[٤]، فإن كنت صادقاً فاَهجُ مروان. قال: قد سكرتُ

(١) ندى كَفَّيْك: ندى الكفّ كناية عن الكرم والجود.

(٢) قبَّلتك إيَّاها: ضمَّنتك إياها.

(٣) يُحابيك: ينصرك ويختصُّك ويميل إليك.

(٤) العِّي: المعاياة: أن تأتي بكلام لا يُهتدى منه.

ولا فضلَ فيّ. فقال المتوكل لمروان: اهجُه أَنت، وبحياتي لا تُبقِ غايةً. فقال مروان:

إِنَّ ابن جهم في المَغيبِ يُعِيبُني ... ويقول لي حسناً إذا لاقاني
صَغُرتْ مَهابته وعُظِّم بَطنه ... فكأَنَّما في بطنه ولدانِ
وَيحَ ابنِ جَهم ليس يَرحمُ أُمَّه ... لو كان يرحمها لمَا عاداني
فإِذا ٱلتقينا ناك شِعري شِعرَه ... ونَزَا على شَيطانه شيطاني

[الكامل]

قال: فضحك المتوكل والجلساء منه، وانخزل ابن الجهم، فلم يكن عنده أكثر من أن قال: جمع حيلة الرّجال وحيلة النساء. فقال له المتوكل: هذا أيضاً من عِيِّك وبَردك، إن كان عندك شيءٌ فهاتِه؛ فلم يأتِ بشيء. فقال لمروان: بحياتي إن حضرك شيء فهاته، ولا تُقصِّر في شتمك. فقال مروان:

لعَمرُك ما الجهم بن بَدرٍ بشاعر ... وهذا عليٌّ بعده يَدَّعي الشِّعرَا
ولكن أَبي قد كان جاراً لأمه ... فلمَّا ٱدّعى الأشعار أوهمني أَمرَا

[الطويل]

قال: فضحك المتوكل وقال: زِده بحياتي. فقال فيه:

يا ابنَ بَدرٍ يا عَليَّهْ ... قُلتِ إنِّي قُرَشِيَّهْ
قلتِ ما ليس بحقٍّ ... فاسكتي يا نَبَطيَّهْ
أسكُتي يا بنت جهم ... أسكتي يا حَلَقيَّهْ[1]

[مجزوء الرمل]

فأخذ عبادة هذه الأبيات فغنَّاه على الطبل وجاوبه مَن كان يُغنّي، والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه، وعليٌّ مُطرقٌ كأنه ميّت، ثم قال: عليَّ بالدواة فأُتيَ بها، فكتب:

بَلاءٌ ليس يُشبِهُه بَلاءٌ ... عَداوةُ غيرِ ذي حسبٍ ودِينِ
يُبيحكَ منه عِرضاً لم يَصُنه ... ويرتَع منك في عِرض مَصونِ

[الوافر]

قال عليّ بن الجهم شعراً في حبسه، فعارضه فلم يطلقوه:

أَخبرني علي بن العباس بن أَبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدثني محمد بن السِّريّ قال:

(١) حلقيَّة: الأتان التي تداولتها الحمر بالجماع حتى أصابها داء في رحمها.

لمَّا مدح عليُّ بن الجهم وهو محبوسٌ المتوكل بقوله:

تـوكَّـلـنـا عـلـى ربِّ الـسـمـاءِ وسَـلَّـمـنـا لأسـبـاب الـقـضـاءِ

[الوافر]

وذكر فيها جميع الندماء وسبعهم[١] وهجاهم، انتدب له مَروان بن أَبي الجَنوب فعارضه فيها، وقد كان المتوكل رقَّ له، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتوَرَته ألسنة الجلساء فثلبوه[٢] واغتابوه وضربوا عليه، فتركه في مَحبسه. والقصيدة:

ألـم تـعـلـم بـأنَّـك يـا ابـنَ جَـهـمٍ دَعِـيٌّ فـي أُنـاسٍ أدعـيـاءِ
أعـبـدَ الـلَّـه تـهـجـو وابـنَ عَـمـرٍ وبَـخـتِـيَـشـوعَ أصـحـاب الـوفـاءِ
هـجـوتَ الأكـرمـيـن وأنـت كـلـبٌ حـقـيـقٌ بـالـشَّـتـيـمـةِ والـهِـجـاءِ
أتـرمـي بـالـزّنـاء بـنـي حَـلالٍ وأنـت زنـيـمُ[٣] أولاد الـزّنـاءِ
أُسـامـةُ مـن جُـدودك يـا ابـنَ جـهـمٍ! كـذبـتَ ومـا بـذلـك مـن خَـفـاءِ

[الوافر]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن الحسن قال:

لمَّا كان من أمر العباس بن المأمون وعُجَيف ما كان، أنشد مروان بن أبي الجَنوب المعتصم قصيدةً أوَّلها:

ألَا يـا دولـة الـمـعـصـوم دُومـي فـإنَّـك قُـلـت لـلـدُّنـيـا اسـتـقـيـمـي

فلما بلغ إلى قوله:

هَـوَى الـعـبـاسُ حـيـن أراد غَـدراً فـوافـى إذ هـوى قَـعـرَ الـجـحـيـمِ
كـذاك هَـوَى كـمـهـواهُ عُـجَـيـفٌ فـأصـبـح فـي سَـواء لـظـى الـحـمـيـمِ

[الوافر]

قال المعتصم: أبعده اللَّه!

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا أَبو العيناء قال:

دخل مَروان الأصغر بن أَبي الجَنوب على أَشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيَّاها، فجعل أَشناس يُحرّك رأسه ويومئ بيديه ويُظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصلةٍ.

(١) سبعه: شتمه ووقع فيه أو في عِرضه. (٢) ثلبوه: لاموه وعابوه.
(٣) الزَّنيم: الدَّعيّ، الذي يلصق بالقوم وليس منهم، هو غير معلوم الأب.

فلما خرج قال له كاتبه: رأيتُ الأمير قد طرب وحرّك رأسه ويديه لِمَا كان يسمعه، فقد فهمه؟ قال: نعم. قال: فأيَّ شيء كان يقول؟ قال: ما زال يقول عليّ رُقية الخُبْزِ حتى حصَّل ما أَراد وانصرف.

هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه:

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجِّم قال: كان المتوكل يُعابثني كثيراً. فقال في يومٍ من الأيام لمروان بن أَبي الجَنوب: اهجُ علي بن يحيى؛ فقال مروان:

أَلَا إنَّ يحيى لا يُقاسُ إلى أبي ... وعِرضُ ابن يحيى لا يُقاسُ إلى عِرضي

وهي أبيات تركت ذكرها صيانةً لعلي بن يحيى. قال: فأجبتُه عنها فقلت:

صدقتَ لعَمري ما يقاسُ إلى أبي ... أبوك، ومَن قاس الشواهقَ بالخَفضِ
وهل لك عِرضٌ طاهرٌ فتقيسه ... إذا قيسَتِ الأعراض يوماً إلى عِرضي
ألستم مَوالي للَّعين ورَهطه ... أَعادي بني العباس ذي الحسب المحضِ
توالون مَن عادى النبيَّ ورَهطه ... فتَرمونَ من والى أُولي الفضل بالرَّفضِ
وليس عجيباً أن أَرى لك مُبغضاً ... لأنك أهلٌ للعداوة والبغضِ

[الطويل]

نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا:

حدثني جَحظة قال حدثني علي بن يحيى قال:

أنشد مروان بن أَبي الجَنوب المتوكل ذات يومٍ:

إنّي نزلتُ بساحة المتوكل ... ونزلتَ في أقصى دِيار المَوصِلِ

[الكامل]

فقال له بعض مَن حضر: فكيف الاتصال بين هؤلاء والمُراسلة؟ فقال أَبو العنبس الصَّيمريّ: كان له حَمامٌ[1] هُدَّى يبعث بها إليه من الموصل حتى يُكاتبه على أجنحتها. فضحك المتوكل حتى استلقى، وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلِّم أَبا العنبس أَبداً، فماتا مُتهاجرَين. كذا أكبر حفظي أنَّ جحظة حدثني به عن علي بن يحيى؛ فإنّي كتبته عن حِفظي.

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبّر قال قرأتُ في كتابٍ قديم:

(١) حمامٌ هُدَّى: نوع من الحمام يُدرب على الطيران من مكان لآخر فيرسل إلى الأمكنة فيذهب حيث أريد منه أن يذهب.

أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة:

قال عوف بن محلِّم لعبد اللَّه بن طاهر في علَّةٍ اعتلَّها:

فإن تكُ حُمَّى[1] الرّبع شفَّك وِردُها ... فعُقباك منها أن يطول لك العُمْرُ

وَقَيناك لو نُعطى المُنى فيك والهوَى ... لكان بنا الشَّكوى وكان لك الأجْرُ

[الطويل]

قال: ثم حُمَّ المتوكل حُمَّى الرّبع، فدخل عليه مروان بن أَبي الجنوب بن مروان بن أَبي حفصة، فأنشده قصيدةً له على هذا الرويّ، وأدخل البيتين فيها، فسُرَّ بها المتوكل. فقال له علي بن الجهم: يا أَمير المؤمنين، هذا شعرٌ مَقولٌ، والتفتَ إليّ وقال: هذا يعلم. فالتفتَ إليّ المتوكل وقال: أَتعرفه؟ فقلتُ: ما سمعته قبل اليوم. فشتم عليَّ بن الجهم وقال له: هذا من حسدك وشرّك وكذبك. فلمَّا خرجنا قال عليُّ بن الجهم: وَيحك! ما لك قد جُنِنْتَ! أَما تعرف هذا الشعر؟ قلتُ: بلى! وأنشدته إيَّاه. فلمَّا عدتُ إلى المتوكل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قد اعترف لي بالشّعر وأنشدنيه. فقال لي: أكذاك هو؟ فقلتُ: كذب يا أَمير المؤمنين! ما سمعتُ به قطُّ، فازداد عليه غيظاً وله شتماً. فلمَّا خرجنا قال لي: ما في الأرض شرٌّ منك. فقلتُ له: أنت أحمقُ، تُريد منّي أَن أَجيء إلى شعرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يحبُّه ويُعجبه شعرُه فأقول له: إنّي أعرفه فأُوقع نفسي وعِرضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويسقط ذاك ويُبغضني أنا.

صـوت

ما لإِبراهيم في العِلـ ... ـم بهذا الشأن ثانِ

إنَّما عُمرُ أَبي إِسـ ... ـحاق زَينٌ للزَّمان

فإذا غنّى أَبو إسحا ... قَ أجابته المثاني

منه يُجنى ثمرُ اللَّهـ ... ـو ورَيحان الجنان

جنَّة الدُّنيا أَبو إِسـ ... ـحاق في كلّ مكان

[مجزوء الرمل]

عروضه من الرَّمل. الشِّعر لابن سَيابة. والغناء لإِبراهيم المَوصليّ خفيف ثقيل بإِطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إِسحاق ابنه.

* * *

(١) حمّى الربع: تصيب المرء يوماً واحداً ثم تذهب لتعود إليه في اليوم الرابع.

أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

جدّه وهو ظريف ويرمى بالأبنة:

إبراهيم بن سَيابة مولى بني هاشم. وكان يقال: إنَّ جدّه حَجَّام أعتقه بعض الهاشميين. وهو من مُقاربي شعراء وقته، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف، وإنما كان يميل بمودّته ومَدحه إلى إبراهيم المَوصلي وابنه إسحاق، فغنَّيا في شعره ورفعا منه، وكانا يذاكرانه للخلفاء والوزراء ويذكِّرانهم به إذا غنَّيا في شعره، فينفعانه بذلك. وكان خليعاً ماجناً، طيِّب النادرة، وكان يُرمى بالأُبنة[1].

شعره في جارية سوداء لامه أهله في عشقه لها:

أَخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أَبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال:

عَشق ابن سيابة جاريةً سوداء، فلامه أهله على ذلك وعاتبوه؛ فقال:

يكون الخالُ في وجهٍ قبيحٍ ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يُلامُ معشوقٌ على مَنٍ ... يراها كلها في العين خالا[2]

[الوافر]

قصته مع ابن سوَّار القاضي ودايته رحاص:

أَخبرني محمد بن مَزيدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

لقيَ إبراهيم بن سيابة وهو سكران ابناً لسوَّار بن عبد اللَّه القاضي أمْرَد، فعانقه وقبَّله، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحاص، فقيل لها: إنه لم يُقَبِّله تقبيل السلام، إنَّما قبَّله قُبلةَ شَهوةٍ. فلحقته الدَّاية فشتمته وأسمعته كلَّ ما يكره، وهجره الغلام بعد ذلك. فقال له:

---

(١) الأُبْنَة: العيب أو الحقد.

(٢) الخالُ: شامة في البدن أي بثرة سوداء ينبت حولها الشَّعر غالباً، ويغلب على شامة الخدّ.

قُـلْ لـلـذي لـيـس لـي مِـن ... يـــدَيْ هَـــواه خـــلاصُ
أأن لـثـمـتُـك[1] سِـرّاً ... فـأبـصـرتـنـي رِحـاصُ
وقـــال فـــي ذاك قـــومٌ ... عـلـى ٱنـتـقـاصـي حِـراصُ
هـجـرتَـنـي وأتـتـنـي ... شـتـيـمـةٌ وانـتـقـاصُ
فـهـاك فـٱقـتـصَّ مـنّـي ... إنَّ الـجـروح قِـصـاصُ

[المجتث]

ويُروى أنَّ رُحاص هذه مغنِّية كان الغلام يحبُّها، وأنه سكِر ونام؛ فقبَّله ابن سيابة. فلمَّا ٱنتبه قال للجارية: ليت شِعري ما كان خبرُك مع ابن سيابة؟ فقالت له: سَلْ عن خبرك أَنت معه، وحدّثته بالقصة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر.

جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنه وهو سكران محمول في طبق:

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهرويه قال حدثنا عليّ بن الصبَّاح قال:

عاتبنا ابن سيابة على مُجونه، فقال: ويلكم! لأن ألقى اللَّه تبارك وتعالى بذُلّ المعاصي فيرحمني، أَحَبُّ إليّ من أن ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيمقُتَني.

قال ورأيت ابن سيابة يوماً وهو سكران وقد حُمل في طبقٍ يَعبُرون به على الجِسر، فسألهم إنسانٌ ما هذا؟ فرفع رأسه من الطبق وقال: هذا بقيَّةٌ ممَّا ترك آلُ موسى وآل هارون تحمله الملائكة يا كشخان[2].

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنا أَبو الشِّبل البرجُمي قال:

وَلِع يوماً أبو الحارث جُمَّيز بابن سيابة حتى أخجله. فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه:

بـنـى أبـو الـحـارث الـجُـمَّـيـز فـي وسـطٍ ... مـن ظـهـره وقـريـبـاً مـن ذراعـيـنِ
دَيـراً لـقـسٍّ إذا مـا جـاء يـدخـلـه ... ألـقـى عـلـى بـاب ديـر الـقـسّ خُـرجَـيـنِ
يـعـدو عـلـى بـطـنـه شـدّاً عـلـى عـجـلٍ ... لا ذو يـدَيـن ولا يـمـشـي بـرجـلـيـنِ

[البسيط]

جوابه لمن اقترض منه فاعتذر:

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إبراهيم تينةُ قال:

(١) لثمتك: قبَّلتُك.
(٢) كشخان: لا يغار على عِرضه، الديّوث

كتب ابن سيابة إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً؛ فكتب إليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله. فكتب إليه: «إن كنت كاذباً فجعلك اللَّه صادقاً، وإن كنت ملوماً فجعلك اللَّه معذوراً».

ضرط في جماعة فكلم إسته:

أَخبرني محمد بن أَبي الأزهر قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه قال:

كان ابن سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنشدنا شيئاً من شِعره، فتحرّك فضرط، فضرب بيده على إسته غير مكترثٍ، ثم قال: إمَّا أن تسكتي حتى أتكلَّم، وإمَّا أَن تتكلَّمي حتى أسكت.

غمز غلاماً أمرد فأجابه:

أَخبرني علي بن صالح بن الهَيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أَبو هِفَّان قال:

غمز ابن سيابة غلاماً أَمرد ذات يوم فأجابه، ومضى به إلى منزله، فأكلا وجلسا يَشربان. فقال له الغلام: أنت ابن سيابة الزّنديق؟ قال: نعم. قال: أُحبّ أَن تعلِّمني الزَّندقة. قال: أفعلُ وكرامةً. ثم بطحه على وجهه، فلمَّا تمكَّن منه أدخل عليه؛ فصاح الغلام أَوَّهْ! أَيشٍ هذا ويحك؟ قال سألتني أن أُعَلِّمك الزَّندقة، وهذا أوَّل بابٍ من شرائعها.

يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة:

أَخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدثني مُحرز بن جعفر الكاتب قال:

قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر: إذا كانت في جيرانك جنازةٌ وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضر الجنازة؛ فإنَّ المُصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك أَولى بالمأتم من بيتهم.

أَخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزيَدٍ قالا حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

سخط الفضل بن الربيع على ابن سَيابة، فسألته أن يرضى عنه فامتنع. فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها:

إن كان جُرمي قد أحاط بحرمتي ... فأَحِط بجرمي عَفوك المأمولا
فكم ٱرتجيتك في التي لا يُرتجى ... في مِثلها أحدٌ فنلت السُّولا[1]
وضللتُ عنك فلم أجِد لي مذهباً ... ووجدتُ حِلمك لي عليك دليلا

(١) السُّول: السؤل أو هو ما يُسأله أو الحاجة.

هَـبـنـي أسـأتُ ومـا أسـأتُ أُقِـرُّ كـي يـزداد عَـفـوك بـعـد طَـولـك[1] طُـولا
فـالـعـفـوُ أجـمـلُ والـتـفـضُّـل بـامـرىءٍ لـم يَـعْـدَمِ الـرَّاجـون مـنـه جـمـيـلا
[الكامل]

فلمَّا قرأها الفضل دمعت عيناه ورضي عن ابن سيابة، وأَوصله إليه وأَمر له بعشرة آلاف درهم.

حواره المقذع مع بشار:

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعتُ ابن عائشة يقول:

جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشَّار فقال له: ما رأيت أعمى قطُّ إلَّا وقد عُوّض من بصره إمَّا الحِفظ والذَّكاء وإمَّا حُسنَ الصوت، فأيَّ شيء عُوّضتَ أنت؟ قال: ألّا أرى ثقيلاً مثلك، ثم قال له: مَن أنت ويحك؟ قال: إبراهيم بن سيابة. فتضاحك ثم قال: لو نُكِح الأسد في استه لذلَّ. وكان إبراهيم يُرمى بذلك. ثم تمثَّل بشَّار:

لـو نُـكـح الـلَّـيـثُ فـي إسـتـه خَـضـعَـا ومـات جـوعـاً ولـم يَـنـل شِـبَـعَـا
كـذلـك الـسـيـفُ عـنـد هِـزَّتـه لـو بـصـق الـنـاس فـيـه مـا قـطـعَـا
[المنسرح]

نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور:

أخبرني حبيب بن نَصر المهلَّبي قال حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدثني عبد اللَّه بن أبي نصر المَروزي قال حدثني محمد بن عبد اللَّه الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيى بن مُعاذ قال:

قدِم إبراهيم بن سيابة نَيسابور فأنزلتُه عليَّ؛ فجاءني ليلةً من اللَّيالي وهو مُهربٌ[2]، فجعل يصيح بي: يا أَبا أَيّوب. فخشيتُ أَن يكون قد غشيَه شيءٌ يؤذيه، فقلت: ما تشاء؟ فقال:

أَعـيـانـيَ الـشـادنُ الـرَّبـيـبُ

فقلتُ بماذا؟ فقال:

أكـتـب أشـكـو فـلا يُـجـيـبُ

[مخلع البسيط]

---

(١) الطَّوْل: القدرة أو الفضل والإنعام.
(٢) مُهرَبٌ: أغرق في الأمر، وجدَّ في الذَّهاب مذعوراً.

قال فقلتُ له: داره وداوه؛ فقال:

مـــن أيـــن أبـــغـــي شـــفـــاء مـــا بـــي وإنّـــمـــا دائـــيَ الـــطَّـــبـــيـــبُ

فقلت: لا دواءَ إذاً إلَّا أَن يُفَرِّج اللَّه تعالى. فقال:

يـــا ربِّ فـــرِّج إذاً وعـــجِّـــل فـــإِنَّـــكِ الـــســـامـــعُ الـــمـــجـــيـــبُ

[الرمل]

ثم ٱنصرف.

في هذا الشعر رملٌ طُنبوريٌّ لجحظة.

من قصيدة أخت الوليد بن ظريف في رثائه:

صـــوت

أيـا شـجـر الـخـابـور مـا لَـكَ مُـورقـاً كـأنَّـك لـم تـحـزَن عـلـى ابـن طَـريـفِ

فـتًـى لا يـحـبُّ الـزاد إلَّا مـن الـتُّـقـى ولا الـمـال إلَّا مـن قَـنـاً وسـيـوفِ

[الطويل]

الشعر لأخت الوليد بن طريفٍ الشاريّ. والغناء لعبد اللَّه بن طاهر ثقيلٌ أوّل بالوسطى، من رواية ابنه عُبَيد اللَّه عنه. وأوَّل هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ عن أحمد بن يحيى ثعلب:

بـتـلٍّ بُـنـاثـا رَسـمُ قَـبـرٍ كـأنَّـه عـلـى عـلـمٍ فـوق الـجـبـالِ مُـنـيـفِ

تـضـمَّـن جُـوداً حـاتـمـيّـاً ونـائـلاً وسَـورة مِـقـدامٍ وقَـلـب حـصـيـفِ[1]

أَلا قـاتـل اللَّـه الـجُـثـا[2] حـيـث أَضـمـرت فـتًـى كـان بـالـمـعـروف غـيـرَ عَـفـيـفِ

فـإِن يَـكُ أَرداهُ يَـزيـد بـن مَـزيَـدٍ فـيـا رُبّ خَـيـلٍ فـضَّـهـا وصـفـوفِ

أَلا يـا لـقـومٍ لـلـنـوائـبِ والـرَّدى ودهـرٍ مُـلِـحٍّ بـالـكـرام عَـنـيـفِ

ولـلـبـدر مـن بـيـن الـكـواكـب إذ هـوى ولـلـشـمـس هَـمَّـتْ بـعـده بـكـسـوفِ

أيـا شـجـر الـخـابـور مـا لـكَ مُـورقـاً كـأنـك لـم تـحـزن عـلـى ابـن طـريـفِ

فـتًـى لا يـحـبّ الـزَّاد إلَّا مـن الـتُّـقـى ولا الـمـال إلَّا مـن قـنـاً وسـيـوفِ

---

(١) حَصيف: إستحكم عقله فهو حصيف.

(٢) الجُثا: مفردها جثوة، وهي ما اجتمع من التراب والحجارة.

ولا الـخَـيـل إلَّا كـلَّ جَـرداء شِـطـبـةٍ وكـلَّ حِـصـانٍ بـالـيـديـن غَـروفِ[١]
فـلا تـجـزَعـا يـا ابـنَـي طـريـفٍ فـإنـنـي أرى الـمـوت نَـزَّالاً بـكـلّ شـريـفِ
فـقـدنـاك فِـقـدان الـرَّبـيـع ولـيـتـنـا فـدَيـنـاك مـن دَهـمـائـنـا[٢] بـأُلـوفِ

[الطويل]

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طريفٍ ترثيه، وكان يزيد بن مَزيَدٍ قتله.

(١) غروف: الغروف من الخيل: التي تغرف الجري غرفاً كأنها تنهب الأرض نهباً في سرعتها.
(٢) الدَّهماء: جماعة الناس.

ذكر الخبر في ذلك

مقتل الوليد بن طريف

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرُّواة قال:

كان الوليد بن طريفٍ الشيبانيُّ رأسَ الخوارج وأشدّهم بأساً وصَولةً وأشجعهم؛ فكان مَن بالشَّمَّاسيَّة لا يأمن طروقه إيَّاه، واشتدت شوكته وطالت أيَّامه. فوجَّه إليه الرشيد، يزيد بن مَزيَدٍ الشيبانيَّ، فجعل يُخاتله ويُماكره. وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مَزيَدٍ، فأغرَوْا به أمير المؤمنين، وقالوا: إنما يتجافى عنه للرَّحم، وإلَّا فشوكة الوليد يسيرة، وهو يُواعده وينتظر ما يكون من أمره. فوجَّه إليه الرشيد كتاب مُغضبٍ يقول فيه: «لو وَجّهتُ بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به، ولكنك مُداهنٌ مُتعصِّب. وأمير المؤمنين يُقسِم باللَّه لئن أَخَّرتَ مُناجزة الوليد ليوَجّهنَّ إليك مَن يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين». فلقيَ الوليد عَشِيَّة خميسٍ في شهر رمضان. فيقال: إنَّ يزيد جُهِد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فِيه، فجعل يلوكه ويقول: اللَّهمَّ إنَّها شِدَّةٌ شديدةٌ فاستُرها. وقال لأصحابه: فداكم أبي وأُمّي، إنما هي الخوارج ولهم حَملةٌ، فاثبتوا لهم تحت التِّراس[1]، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا؛ فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا. فكان كما قال، حملوا حملةً وثبت يزيد ومَن معه من عشيرته وأصحابه، ثم حمل عليهم فانكشفوا.

ويقال: إنَّ أَسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جِدّاً؛ وكان لا يفصل بينهما إلَّا المتأمّل، وكان أكثر ما يُباعده منه ضربةً في وجه يزيد تأخذ من قَصاص شعره ومنحرفةً على جبهته؛ فكان أسدٌ يتمنّى مثلها. فهوت له ضربةٌ فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع. فيقال: إنَّه لو خُطَّت على مثال ضَربة أبيه ما عدا، جاءت كأنها هي. واتّبع يزيد، الوليد بن طريفٍ فلحقه بعد مسافة بعيدةٍ فأخذ رأسه. وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول:

---

(١) التِّراس: جمع تُرس، وهو صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف والسهم وغيره.

أَنـا الـولـيـد بـنُ طـريـف الـشَّـاري[١] قَـسـوَرَةٌ[٢] لا يُـصـطَـلـى بـنـاري
جَـورُكُـمُ أخـرجـنـي مـن داري

[الرجز]

خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد:

فلمَّا وقع فيهم السيف وأُخِذ رأس الوليد، صبَّحتهم أُخته ليلى بنت طريفٍ مستعدَّةً عليها الدّرع والجَوشن، فجعلت تحمل على الناس فعُرفت. فقال يزيد: دعوها، ثم خرج إليها فضرب بالرُّمح قَطاة[٣] فرسها، ثم قال اغرُبي غرّب اللَّه عليك! فقد فضحتِ العشيرة؛ فاستحيَتْ وٱنصرفت وهي تقول:

أَيـا شـجـر الـخـابـور مـا لـكَ مـورقـاً كـأنَّـك لـم تـحـزَن عـلـى ابـن طـريـفِ
فـتًـى لا يـحـبّ الـزَّاد إلَّا مـن الـتُّـقـى ولا الـمـال إلَّا مـن قَـنـاً وسـيـوفِ
ولا الـذُّخـر إلَّا كـلَّ جَـرداءَ صِـلـدمٍ[٤] وكـلَّ رقـيـقِ الـشَّـفـرَتـيـن[٥] خـفـيـفِ

[الطويل]

فلمَّا ٱنصرف يزيد بالظَّفر حُجِب برأي البرامكة، وأظهر الرشيد السخط عليه. فقال: وحقّ أمير المؤمنين لأصيفنّ وأشتوَنّ على فرسي أو أدخل. فارتفع الخبر بذلك فأُذن له فدخل. فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسُرّ وأقبل يصيح: مرحباً بالأعرابي! حتى دخل وأُجلس وأكرم وعُرف بلاؤه ونقاءُ صدره. ومدحه الشعراء بذلك. فكان أحسنهم مدحاً مُسلم بن الوليد؛ فقال فيه قصيدته التي أوَّلها:

من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد:

أُجرِرتُ حَبل خليعٍ[٦] في الصِّبا غَزِل وشـمَّـرتْ هِـمـم الـعـذَّالِ فـي عَـذلـي[٧]
هـاج الـبـكـاءَ عـلـى الـعـين الـطَّـمـوح هـوًى مـفـرَّقٌ بـيـن تـوديـع ومُـحـتـمـلِ
كـيـف الـسُّـلُـوُّ لـقـلـبٍ بـات مُـخـتـبـلاً يَـهـذي بـصـاحـب قـلـبٍ غـيـر مُـخـتـبـلِ

وفيها يقول:

---

(١) الشَّاري: الغاضب.
(٢) قَسْوَرة: العزيز، والأسد.
(٣) قطاة: مقعد الرديف من الفرس.
(٤) صِلدم: الخيل الشديدة الحَافر.
(٥) رقيق الشَّفرتين: كناية عن السيف.
(٦) خليع: من يخلع من منصبه لشَرِّه أو المتهتّك.
(٧) عذلي: ملامتي.

يفترُّ[١] عند افترار[٢] الحرب مبتسماً ... إذا تغيَّر وجه الفارس البطلِ
مُوفٍ على مُهَج في يوم ذي رَهجٍ[٣] ... كأنَّه أَجَلٌ يسعى إلى أَمَلِ
ينال بالرّفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلاً يأتي على مَهَلِ
لا يرحل الناسُ إلا نحوَ حُجرته ... كالبيت يُفضي إليه مُلتقى السُّبُلِ
يَقري المنيَّة أرواح العداة كما ... يقري الضيوف شُحوم الكُوم[٤] والبُزُلِ[٥]
يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ... ويجعل الهامَ تيجان القنا الذُّبلِ
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت في الأبدان والقُلَلِ
لا تكذبنَّ فإنَّ المجد مَعدِنُه ... وِراثةٌ في بني شيبان لم تَزَلِ
إذا الشريكيُّ[٦] لم يفخر على أحدٍ ... تكلَّم الفخر عنه غير مُنتحلِ[٧]
ألزَّائديّون[٨] قوم في رماحهمُ ... خوفُ المخيف وأمنُ الخائف الوجلِ
كبيرُهم لا تقوم الرَّاسيات له ... حِلماً وطِفلهمُ في هَديِ مُكتهلِ
إسلَمْ يزيد فما في المُلك من أوَدٍ ... إذا سَلِمت وَلا في الدّين من خللِ
لولا دفاعك بأسَ الرّوم إذ مَكرت ... عن بَيضة[٩] الدّين لم تأمَن من الثَّكلِ
والمارق ابنُ طريفٍ قد دلفتَ له ... بعارضٍ للمنايا مُسبِلٍ هطلِ[١٠]
لو أنَّ غير شريكيٍّ أطاف به ... فازَ الوليد بقِدحِ الناضل[١١] الخصِلِ[١٢]
ما كان جمعهمُ لمَّا دلفتَ لهم ... إلَّا كمثل جَرادٍ رِيعَ مُنجفلِ[١٣]
كم آمنٍ لك نائي الدَّار ممتنعٍ ... أخرجته من حصون المُلك والخَوَلِ[١٤]
تراه في الأمن في دِرعٍ مُضاعفةٍ ... لا يأمن الدّهر أن يُدعى على عجلِ

---

(١) يفترُّ: يبدي أسنانه عند الضَّحِك.
(٢) إفترار الحرب: إشتدادها وضراوتها.
(٣) الرّهج: الغُبار، والشغب.
(٤) الكوم: النوق العظيمة الأسنمة مفردها كوماء.
(٥) البُزل: هي الإبل التي بلغت التاسعة من سنينها مفردها بَزول.
(٦) الشريكيّ: نسبة إلى شُريك أحد أجداد يزيد بن مَزيد.
(٧) منتحل: مدَّعى للنَّفس وهو للغير.
(٨) الزائديون: نسبة إلى زائدة جد يزيد بن مزيد.
(٩) بيضة الدّين: نقاء الدِّين وأصله.
(١٠) مُسبِل هطل: كثير الهطول.
(١١) الناضِل: قدح المصيب.
(١٢) الخَصِل: قدح من القِداح السبعة التي تستخدم للضرب.
(١٣) منجفِل: إنجفل: هرب مسرعاً.
(١٤) الخَوَل: ما يحوزه المرء من العبيد والإماء والنعم وغيرها.

لا يـعـبـق الـطِّـيـبُ خـدَّيـه ومَـفـرقَـه ولا يـمـسِّـح عـيـنـيـه مـن الـكـحـلِ
يـأبـى لـك الـذَّمَّ فـي يـومَـيـك إن ذكـرا عضبٌ[1] حُسامٌ[2] وعِرضٌ غيرُ مُبتذلِ
فـافـخـر فـمـالـك فـي شَـيـبـان مـن مَـثَـلٍ كـذاك مـا لـبـنـي شـيـبـان مـن مـثـلِ
[البسيط]

وقال محمد بن يزيد: يعني بقوله:

تـراه فـي الأمـن فـي دِرعٍ مُـضـاعـفـةٍ

كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله:

خبر يزيد بن مَزيَدٍ. وذاك أنَّ امرأة معن بن زائدة عاتبت مَعناً في يزيد وقالت: إنك لتقدّمه وتُؤخر بَنيك، وتُشيد بذكره وتخمل ذكرهم، ولو نبَّهتهم لانتبهوا، ولو رفعتهم لارتفعوا. فقال معنٌ: إن يزيد قريبٌ لم تَبعُد رحِمه، وله عليَّ حُكم الولد إذ كنت عمه. وبعد فإنهم ألوَطُّ[3] بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الوِلادة للأبوَّة من تقديمهم، ولكني لا أجدُ عندهم ما أجده عنده. ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً، وفي عدوٍّ لصار حبيباً. وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح به اللَّوم عنّي ويتبيّن به عُذري. يا غلام اذهَب فادْعُ جسَّاساً وزائدة وعبد اللَّه وفلاناً وفلاناً، حتى أتى على أسماء ولده؛ فلم يلبث أن جاؤوا في الغلائل[4] المطيَّبة والنعال[5] السِّنديَّة، وذلك بعد هدأةٍ من الليل، فسلَّموا وجلسوا. ثم قال: يا غلام ادعُ لي يزيد وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عجلاً وعليه السِّلاح كلُّه، فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يُحضِر[6]. فلما رآه معن قال: ما هذه الهيئة أبا الزُّبير؟ ـ وكان يزيد يُكنى أبا الزُّبير وأبا خالد ـ فقال: جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجهٍ، فقلت: إن كان مضيتُ ولم أُعَرّج، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسرُ الخَطب. فقال لهم: انصرفوا في حفظ اللَّه. فقالت المرأة: قد تبيَّن عذرك. فأنشد معنٌ متمثِّلاً:

نـفـسُ عـصـامٍ سـوّدت عـصـامَـا وعـوّدتـه الـكـرّ والإقـدامَـا

(١) العضب: السيف البتار.
(٢) الحُسام: السيف الحاسم القاطع.
(٣) أَلْوَط: أقرب إليَّ، وألصق بي.
(٤) الغلائل: مفردها الغِلالة، وهي شعار تحت الثَّوب.
(٥) النعال السِّندية: مفردها نعل وهو ما ينتعله المرء ليقي قدمه من الأرض، السِّندية المنسوبة للسِّند.
(٦) يُحضر: يسرع في مشيه.

وصـــيَّـــرتـــه مـــلـــكـــاً هُـــمـــامَـــا

[الرجز]

من شعر أخته في رثائه:

وأخبرني محمد بن الحسن الكنديّ قال حدثنا الريَّاشيّ قال: أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه:

ذكـــرتُ الـــولـــيـــد وأيَّـــامـــه ... إذِ الأرض مـن شَـخـصـه بَـلـقَـعُ[1]

فـأقـبـلـتُ أطـلـبـه فـي الـسـمـاء ... كـمـا يـبـتـغـي أنـفـه الأجـدعُ

أضـاعـك قـومـك فـلـيـطـلـبـوا ... إقـادةَ مِـثـل الـذي ضَـيَّـعـوا

لَـوَ انَّ الـسـيـوف الـتـي حَـدُّهـا ... يـصـيـبـك تـعـلَـمُ مـا تـصـنـعُ

نـبـتْ عـنـك أَو جُـعِـلَـتْ هـيـبـةً ... وخـوفـاً لـصَـولـك لا تـقـطـعُ

[المتقارب]

* * *

(١) بلقع: الأرض القَفر جمعها بلاقع.

بعض أَخبار عبد اللَّه بن طاهر

فأَمَّا خبر عبد اللَّه بن طاهر في صنعته هذا الصوت، فإِن عبد اللَّه كان بمحلٍ من عُلُوّ المنزلة وعِظَم القدر ولطف مكان من الخلفاء، يستغني به عن التقريظ له والدّلالة عليه. وأمرُه في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحلّ الذي لا يُدفع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يُقاربه فيه كبير أحدٍ.

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرّد أنَّ المأمون أعطى عبد اللَّه بن طاهر مال مصر لسنة خَراجها وضياعها، فوهبه كلَّه وفرّقه في الناس، ورجع صِفراً من ذلك؛ فغاظ المأمون فِعلُه. فدخل إليه يوم مقدِمه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى، وهي:

نفسي فداؤك والأعناق خاضعةٌ ... للنَّائبات أبِيّاً غير مُهتضَمِ
إليك أقبلت من أرضٍ أقمتُ بها ... حَولَين[1] بعدك في شَوقٍ وفي أَلَمِ
أقفو مَسَاعِيَكَ اللَّاتي خُصِصتَ بها ... حَذوَ الشِّراك على مثلٍ من الأدمِ
فكان فضليَ فيها أنني تَبَعٌ ... لِما سننتَ من الإِنعام والنِّعَمِ
ولو وُكِلتُ إلى نفسي غَنيتُ بها ... لكن بدأتَ فلم أَعجز ولم أُلَمِ

[البسيط]

فضحك المأمون وقال: واللَّه ما نفِستُ عليك مَكرمةً نِلتها ولا أُحدوثةً حسُن عنك ذكرها، ولكن هذا شيءٌ إذا عوَّدَته نفسك افتقرتَ ولم تقدِر على لَمِّ[2] شَعَثِك وإِصلاح حالك. وزال ما كان في نفسه.

أَخبرني وكيعٌ قال حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعدٍ قال حدثني عبد اللَّه بن فَرقدٍ قال أَخبرني محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال:

لمَّا افتتح عبد اللَّه بن طاهر مصر ونحن معه، سوَّغه المأمون خَراجها. فصعد

(١) حولين: عامين.
(٢) لَمّ الشَّعث: أصلح الأحوال.

المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلِّها ثلاثة آلاف ألفِ دينارٍ أو نحوها. فأتاها مُعَلَّى الطائيُّ وقد أعلموه ما قد صنع عبد اللّه بن طاهر بالناس في الجوائز، وكان عليه واجداً[١]، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح اللّه الأمير! أَنا مُعَلَّى الطائيّ، وقد بلغ منّي ما كان منك إليّ من جفاءٍ وغِلَظٍ. فلا يغلظنَّ عليَّ قلبُك، ولا يستخفَّنَّك الذي بلغك، أنا الذي أقول:

يا أَعظم الناس عفواً عند مقدرةٍ ... وأَظلم الناس عند الجود للمالِ
لو أَصبح النِّيل يجري ماؤه ذهباً ... لَمَا أشرتَ إلى خَزنٍ بمثقالِ
تُغلي[٢] بما فيه رِقُّ الحمد تملكه ... وليس شيءٌ أعاضَ الحمد بالغالي
تفُكُّ باليُسر كفَّ العُسر من زمنٍ ... إذا استطال على قوم بإقلالِ
لم تخلُ كفُّك من جُودٍ لمختبطٍ[٣] ... أو مُرهفٍ قاتلٍ في رأس قتَّالِ
وما بثثتَ رعيل الخيل في بلدٍ ... إلَّا عصَفنَ بأرزاقٍ وآجالِ
إن كنتُ منك على بالٍ مَننتَ به ... فإنّ شُكرَك من قلبي على بالِ
ما زِلتُ مُنقضباً لولا مُجاهَرةٌ ... من أَلسنٍ حُضنَ في صَدري بأقوالِ

[البسيط]

قال فضحك عبد اللّه وسُرَّ بما كان منه، وقال: يا أَبا السَّمراء أَقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيتُ أَملكها؛ فأقرضه فدفعها إليه.

أَخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرداذبه قال:

كان موسى بن خاقان مع عبد اللّه بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثراً مقدِّماً؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنيَّة هناك وقبل ذلك. ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر، فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبَّه، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال:

صوت

إن كان عبدُ اللّه خلَّانا ... لا مُبدِئاً عُرفاً وإحسانَا

---

(١) الواجِد: الغاضب.
(٢) تُغلي: تجعله غالياً.
(٣) المختبط: سائل المعروف من دون صلة قربى.

فـحـسـبُـنـا الـلَّـه رضـيـنـا بـه ثـم بـعـبـد الـلَّـه مـولانَـا

[السريع]

يعني بعبد اللَّه الثاني المأمون، وغنَّت فيه جاريته ضَعفُ لحناً من الثقيل الأوّل، وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإيَّاها. فبلغ ذلك عبد اللَّه بن طاهر، فغاظه ذلك وقال: أَجَل! صَنعنا المعروف إلى غير أَهله فضاع.

وكانت ضَعفُ إحدى المحسنات. ومن أَوائل صَنعتها وصدور أَغانيها وما برَّزت فيه وقُدِّمت فاختيرتْ، صنعتها في شعر جميلٍ.

أمِـنـكِ سـرَى يـا بَـثـنُ طَـيـفٌ تـأوَّبـا هُـدوءاً فـهـاج الـقـلـب شـوقـاً وأنـصـبَـا
عـجـبـتُ لـه أن زار فـي الـنـوم مَـضـجـعـي ولـو زارنـي مُـسـتـيـقـظـاً كـان أعـجـبَـا

[الطويل]

الشعر لجميل، والغناء لضعف ثقيلٌ أول بالبنصر.

قصته مع محمد بن يزيد الأموي:

أَخبرني عمي قال حدثني أَبو جعفر بن الدّهقانة النديم قال حدثني العباس بن الفضل الخُراساني، وكان من وجوه قوَّاد طاهر وابنه عبد اللَّه، وكان أَديباً عاقلاً فاضلاً، قال:

لمَّا قال عبد اللَّه بن طاهر قصيدته التي فخر فيها بمآثر أبيه وأَهله ويفخر بقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن يزيد الأمويّ الحِصنيّ، وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك، فأفرط في السَّبّ وتجاوز الحدّ في قُبح الردّ، وتوسّط بين القوم وبين بني هاشم فأَربى في التوسُّط والتعصب. فكان مما قال فيه:

يـا ابـنَ بَـيـتِ الـنـار مـوقـدُهـا مـا لـحـاذَيـهِ سَـراويـلُ
مَـن حُـسَـيـنٌ مَـن أَبـوك ومَـن مُـصـعـبٌ! غـالـتـكـم[1] غـولُ
نـسـبٌ فـي الـفـخـر مُـؤتـشـبٌ[2] وأُبـوّاتٌ أَراذيـلُ
قـاتـلُ الـمـخـلـوعِ مـقـتـولٌ ودمُ الـمـقـتـول مـطـلـولُ

[المديد]

وهي قصيدة طويلة. فلمَّا وُلّي عبد اللَّه مِصرَ ورُدَّ إليه تدبير أَمر الشام، علم الحِصنيُّ أَنَّه لا يُفلت منه إن هَرب، ولا ينجو من يده حيث حلَّ؛ فثبت في موضعه،

(١) غالتكم: أهلَكتكم.
(٢) مؤتَشَب: فيه شائبة، مدنّس.

وأَحرز حُرَمه، وترك أَمواله ودوابَّه وكلَّ ما كان يملكه في موضعه، وفتح باب حِصنه وجلس عليه، ونحن نتوقَّع من عبد اللّه بن طاهر أَن يوقع به. فلما شارفنا بلده وكنَّا على أَن نصبِّحه[١]، دعاني عبد اللّه في الليل فقال لي: بِتْ عندي الليلة، وليكن فرسك مُعَدّاً عندك لا يُرَدُّ، ففعلت:

فلمَّا كان في السّحَر أَمر غِلمانه وأَصحابه أَلَّا يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السَّحَر وأَنا وخمسةٌ من خواصّ غِلمانه معه، فسار حتى صبَّح الحِصنيَّ، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُسترسلاً، فقصده وسلَّم عليه ونزل عنده وقال له: ما أَجلسك هاهنا وحملك على أَن فتحتَ بابك ولم تتحصَّن من هذا الجيش المُقبل ولم تتنحَّ عن عبد اللّه بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك؟ فقال: إنَّ ما قُلتَ لم يذهب عليّ، ولكني تأمّلتُ أَمري وعلِمتُ أَنِّي أخطأتُ خطيئةً حملني عليها نَزَقُ[٢] الشباب وغِرَّة الحداثة، وأَنّي إن هربتُ منه لم أَفُته، فباعدت البنات والحُرَم، واستسلمتُ بنفسي وكل ما أملك؛ فإِنَّا أَهلُ بيتٍ قد أسرع القتل فينا، ولي بمن مضى أُسوةٌ؛ فإِنّي أثِق بأن الرّجل إذا قتلني وأَخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ، ولا يُوجِب جُرمي إليه أكثر مما بذلتُه. قال: فواللّه ما اتّقاه عبد اللّه إلَّا بدموعه تجري على لحيته. ثم قال له: أتعرفني؟ قال: لا واللّه! قال: أَنا عبد اللّه بن طاهر، وقد أَمَّن اللّه تعالى رَوعتك، وحقن دمَك، وصان حُرَمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك. وما تعجَّلتُ إليك وحدي إلَّا لتأمَن من قبل هجوم الجيش، ولئلَّا يُخالط عَفوي عنك روعةٌ تلحقُك.

فبكى الحِصنيُّ وقام فقبَّل رأسه؛ وضمه إليه عبد اللّه وأدناه، ثم قال له: إمَّا لا فلا بدّ من عتاب. يا أَخي جعلني اللّه فداك! قلت شعراً في قومي أَفخر بهم لم أطعَن فيه على حسبك ولا ادّعيت فضلاً عليك. وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإِن كان من قومك، فهم القوم الذين ثَأرُك عندهم؛ فكان يسعك السكوت، أَو إِن لم تسكت لا تُغرِق ولا تُسرِف. فقال: أيها الأمير، قد عفوتَ، فاجعله العفوَ الذي لا يخلطه تثريبٌ، ولا يكدِّره صَفوُ تأنيب. قال: قد فعلتُ، فقُم بنا ندخل إلى منزلك حتى نُوجِبَ عليك حقّاً بالضيافة.

فقام مسروراً فأدخلنا، فأتى بطعام كان قد أعدَّه، فأكلنا وجلسنا نشرب في

(١) نُصبِّحه: نأتيه في الصّباح.
(٢) نَزَق الشَّباب: طيش الشَّباب.

مستشرفٍ له. وأقبل الجيش، فأمرني عبد اللَّه أَن أَتلقَّاهم فأُرَحّلهم، ولا ينزل أَحدٌ منهم إلَّا في المنزل، وهو على ثلاثة فراسخ؛ فنزلت فرحّلتهم. وأقام عنده إلى العصر. ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجه ثلاث سنين، وقال له: إن نشطت لنا فألْحقْ بنا، وإلَّا فأقِم بمكانك. فقال: فأنا أَتجهَّز وألحقُ بالأمير. ففعل فلحق بنا بمصر. ولم يزَلْ مع عبد اللَّه لا يُفارقه حتى رحل إلى العراق فودّعه وأَقام ببلده.

فأمَّا الأصوات التي غنَّى فيها عبد اللَّه بن طاهر فكثيرة. وكان عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه إذا ذكر شيئاً منها قال: الغناء للدَّار الكبيرة، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال: الغناء للدار الصغيرة. فمنها ومن مختارها وصُدورها ومقدِّمها لحنه في شِعر أُخت عمرو بن عاصية ـ وقيل: إنه لأخت مسعود بن شدَّاد ـ فإنه صوتٌ نادر جيِّد. قال أَبو العُبَيس بن حمدون وقد ذكره ففضَّله: جاء به عبد اللَّه بن طاهر صحيح العمل مُزدوج النَّغم بين لينٍ وشدَّةٍ على رَسم الحُذّاق من القدماء، وهو:

صـــوت

هـلَّا سَـقَـيـتـم بـنـي شَـهـم أسـيـركـمُ نَـفـسـي فِـداؤك مـن ذي غُـلَّـةٍ صـادي[1]
ألـطـاعـنُ الـطَّـعـنـة الـنـجـلاء[2] يَـتـبـعـهـا مُـضـرّج بـعـد مـا جـادت بـإِزبـادِ

[البسيط]

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السُّلَمي ترثيه. وكان بنو سَهم، وهم بطنٌ من هُذَيل، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه، فلمَّا عرفوه قتلوه. وكان قد عطش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عطشه. وقيل: إنَّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود بن شدَّاد. ولحن عبد اللَّه بن طاهر خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ابتداؤه استهلال.

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال:

قتلتْ بنو سهم، وهم بطنٌ من هُذَيل، عمرو بن عاصية السُّلميّ، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك، ثم قتلاه. فقالت أخته ترثيه، وتذكر ما صنعوا به:

---

(١) الصادي: العطشان.

(٢) النجلاء: الطويلة، وهنا الطعنة القاتلة.

شبَّت هذَيلٌ وبَهزٌ بينها إرَة[١] فلا تبوخُ ولا يرتدُّ صاليها[٢]

ويروى: «شبت هذيلٌ وسهمٌ»، وهو الصحيح، ولكن كذا قال عمر بن شبَّة.

إنَّ ابنَ عاصية المقتول بينكما خلَّى عليّ فِجاجاً كان يحميها

[البسيط]

وقالت أَيضاً ترثيه:

يا لهف نفسيَ لهفاً دائماً أبداً على ابن عاصية المقتول بالوادي

هلَّا سقيتم بني سهمٍ أسيركمُ نفسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

[البسيط]

قال: فغزا عرعرةُ بن عاصية هُذَيلاً يطلبهم بدم أخيه، فقتل منهم نفراً وسبى امرأةً فجرّدها، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سُلَيم؛ فقالت عند ذلك:

ألامت[٣] سُلَيمٌ في السياق وأَفحشتْ وأفرط في السَّوق العنيف إسارُها

لعلّ فتاةً منهمُ أَن يسوقها فوارسُ منَّا وهي بادٍ شَوارُها[٤]

فإن سبقتْ عُليا سُلَيم بذَحلها[٥] هُذَيلاً فقد باءت فكيف اعتذارُها

أَلا ليت شِعري هل أرى الخيل شُزّباً[٦] تُثير عجاجاً[٧] مستطيراً غُبارُها

فتَرْقا[٨] عيونٌ بعد طول بُكائها ويُغسَل ما قد كان بالأمس عارُها

[الطويل]

هذه رواية عمر بن شبَّة. فأمَّا أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك، وذكر في مقتله، فيما أَخبرني به محمد بن الحسن بن دريد إجازةً عن أَبي حاتم عن أَبي عُبيدة قال:

خرج عمرو بن عاصية السلميّ ثم البهزيّ في جماعةٍ من قومه، فأغاروا على هذَيل بن مُدركة، فصادفوا حيّاً من هذيلٍ يقال لهم بنو سهم بن معاوية. وكانت امرأةٌ

(١) الإرة: الحفرة التي توقد فيها النار، والمراد بها هنا الحرب الضروس.
(٢) الصَّالي: المقاسي حرَّ النَّار.
(٣) ألامت: قامت بعمل تستحق اللوم عليه.
(٤) الشّوار: الحسن والزينة.
(٥) الذّحل: الثأر/العداوة والحقد.
(٦) شُزَّب: ضوامر، مفردها شازب.
(٧) العجاج: الدُّخان، الجلبة، الصياح من كل ذي صوت.
(٨) ترقأ: تهدأ وتكف عن البكاء.

من هذيل تحت رجل من بني بَهزٍ، فقالت لابن لها معه: أَي بُنيَّ انطلق إلى أخوالك فأنذرهم بأنّ ابن عاصية السلميّ قد أمسى يريدهم، وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير إليهم.

فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخواله فأنذرهم، فقال: ابن عاصية السلميّ يريدكم، فخذوا حِذركم؛ فبدر القوم واستعدّوا.

وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ، فنزل فربأ لأصحابه على جبلٍ مشرف على القوم، فإذا هم حذِرون. فقال لأصحابه: أرى القوم حذرين، إنَّ لهم لشأناً، ولقد أنذِروا علينا. فكمن في الجبل يطلب غفلتهم، فأصابه وأصحابه عطشٌ شديد، فقال ابن عاصية لأصحابه: هل فيكم من يرتوي لأصحابه؟ فقال أَصحابه: نخاف القوم، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك. قال: فخرج على فرسٍ له ومعه قِربته. وقد وضعت هُذَيلٌ على الماء رجلاً منهم رصداً، وعلموا أنهم لا بدّ لهم من أَن يرِدوا الماء. فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخٌ وفتيان من هذيل، فلما نظروا إليه همّ الفَتيان أن يثاوراه[1]. فقال الشيخ: مهلاً! فإنه لم يرَكما، فكَفَّا.

فانتهى ابن عاصية إلى البئر، فنظر يميناً وشمالاً فلم يرَ أَحداً والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم. فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب. وأقبل الفتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر، فرفع رأسه فأبصر القوم؛ فقالوا: قد أخزاك اللَّه يا ابن عاصية وأمكن منك! قال: ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه، وشُغِل الفَتيان بنزع السهم من قدَم الشيخ، ووثب ابن عاصية من البئر شدّاً نحو أَصحابه، وأدركه الفتَيان قبل وصوله فأسراه. فقال لهما حين أخذاه: أروِياني من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما. فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه. فقالت أخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها:

يا لهفَ نفسيَ يوماً ضلَّةً جزعاً ... على ابن عاصيةَ المقتول بالوادي
إذ جاء ينفُض عن أصحابه طَفَلاً ... مَشيَ السَّبَنتى أمام الأيكة العادي
هلَّا سقيتم بني سهمٍ أسيركمُ ... نَفسي فداؤك من مستوردٍ صادي

[البسيط]

قال أَبو عبيدة: وآب غزيُّ بني سلَيم بعد مقتل ابن عاصية. قال: فبلغ أخاه

(١) يثاوراه: يواثباه.

عرعرةَ بنَ عاصية قتلُ هُذيلٍ أَخاه وكيف صُنِع به، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارس من بني سُلَيم منهم عبيدة بن حكيم الشَّريديّ وعمرو بن الحارث الشَّريديّ وأبو مالك البهزيّ وقيس بن عمرو أَحد بني مطرود من بني سُلَيم وفوارس من بني رِعلٍ. قال: فسرى إليهم عرعرة، فالتقَوْا بموضع يقال له الجُرْف فاقتتلوا قتالاً شديداً. فظفرت بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً، وأسروا أَسرى، وأصابوا امرأةً من هذَيل فعرَّوها من ثيابها واستاقوها مجرّدةً فأفحشوا في ذلك. وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل:

ألا أبلغْ هُذَيلاً حيث حلَّتْ ... مُغلغلةً تخبُّ مع الشفيقِ
مُقامكمُ غداة الجُرْف لمَّا ... توافقتِ الفوارس بالمضيقِ
غداة رأيتمُ فرسان بَهزٍ ... ورِعلٍ أَلبدتْ[1] فوق الطريقِ
ترامَيتُمْ قليلاً ثم ولَّت ... فوارسكم تَوَقّل[2] كلَّ نِيقِ[3]
بضربٍ تسقط الهاماتُ منه ... وطعنٍ مثل إشعال الحريقِ

[الوافر]

وقال لي: إن هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد اللَّه بن طاهر لمسعود بن شدَّاد يرثي أَخاه، وزعم أَنّ جَرماً كانت قتلته وهو عطشان، فقال:

يا عين جودي لمسعود بن شدّاد ... بكل ذي عبراتٍ شَجوهُ بادي
هلَّا سقيتم بني جَرمٍ أَسيركمُ ... نفسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

[البسيط]

فأنشدنيها بعض أَصحابنا قال أَنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أَبو حاتم عن أَبي عبيدة لفارعة المرّيَّة أُخت مسعود بن شدَّاد ترثيه، فذكر من الأبيات البيت الأوّل، وبعده:

يا من رأى بارقاً قد بتُّ أرمقُه ... جَوداً على الحرّة السوداء بالوادي
أسقي به قبر مَن أَعني وُحبَّ به ... قبراً إليّ ولو لم يَفدِه فادي[4]
شهَّادُ أنديةِ رفَّاع أبنيةٍ ... شدّاد ألويةٍ فتَّاح أسدادِ

(١) ألبدت: أقامت بالمكان ولَزِمته.
(٢) توَقَّل: تتصعّد.
(٣) نيق: أعلى ما في الجبل.
(٤) يفْدِه فادي: يُنْقِذُهُ منقِذٌ.

نـحّـارُ راغـيـةٍ[١] قَـتّـال طـاغـيـةٍ حـلّال رابـيـةٍ فـكّـاك أقـيـادِ
قَـوّال مُـحـكـمـةٍ نَـقّـاض مُـبـرمـةٍ فـرّاج مُـبـهـمـةٍ حـبّـاس أورادِ[٢]
حـلّال مُـمـرعـةٍ[٣] حـمّـال مُـضـلـعـةٍ[٤] قَـرّاع[٥] مُـفـظـعـةٍ طـلّاع أنـجـادِ
جـمّـاع كـلّ خـصـال الـخـيـر قـد عـلـمـوا زَيـنُ الـقـريـن وخَـطـمُ[٦] الـظـالـم الـعـادي
أَبـا زُرارة لا تـبـعـد فـكـلُّ فـتًـى يـومـاً رهـيـنُ صـفـيـحـاتٍ وأعـوادِ

[البسيط]

والغناء في هذا الشعر لعبد اللَّه بن طاهر خفيف ثقيلٍ أَوّل بالبنصر. قال عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر: لمَّا صنع أَبي هذا الصوت لم يحبّ أَن يشيع عنه شيءٌ من هذا ولا يُنسب إليه؛ لأنه كان يترفّع عن الغناء، وما جسَّ بيده وَتَراً قطُّ ولا تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّربة وحُسن الثقافة ما لا يعرفه كبير أحدٍ. وبلغ من عِلم ذلك إلى أَن صنع أصواتاً كثيرة، فألقاها على جواريه، فأخذتها عنه وغنَّين بها، وسمعها الناسُ منهنّ وممن أَخذ عنهنّ. فلما أَن صنع هذا الصوت:

هـلّا سـقـيـتـم بـنـي جَـرمٍ أسـيـركـمُ نـفـسـي فـداؤك مـن ذي غُـلّـةٍ صـادي

نسبة إلى مالك بن أَبي السمح. وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحة، فكانت ترغب إلى عبد اللَّه بن طاهر لمَّا ندبه المأمون إلى مصر في أَن يأخذها معه، وكانت تغنّيه، وأَخذت هذا الصوت عن جواريه، وأَخذه المغنُّون عنها وروَوه لمالك مدَّة. ثم قدِم عبد اللَّه العراقَ فحضر مجلس المأمون، وغُنّي الصوت بحضرته ونُسِب إلى مالك؛ فضحك عبد اللَّه ضحكاً كثيراً. فسئِل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعة الصوت. فكشف المأمون عن ذلك، فلم يزل كلُّ مَن سُئِل عنه يُخبر عمن أَخذه عنه، فتنتهي القصة إلى داحة ثم تقف ولا تعدوها. فأُحضِرتْ داحة وسئلت فأخبرتْ بقصته؛ فعُلِم أَنه من صنعته حينئذٍ بعد أَن جاز على إسحاق وطبقته أَنه لمالك. ويقال: إن إسحاق لم يَعجب من شيء عجبه من عبد اللَّه وحِذقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم.

---

(١) الرَّاغية: الناقة.
(٢) أوراد: مفردها وِرد، وهو الجماعة من الناس أو الإبل ترِد الماء.
(٣) ممرّعة: خصبة.
(٤) مضلعة: الناقة التي لا تقوى على الحمل.
(٥) قرَّاع: الغالب بالقرعة.
(٦) خطمُ الظالم: ضرب أنف الظالم، كناية عن إذلاله وإرغامه على الكفّ من الظلم.

قال: ومن غنائه أَيضاً:

صــوت

راح صَــحــبــي وعــاود الــقــلــب داءُ مــن حــبــيــبٍ طِــلابُــه لــي عَــنــاءُ
حَــسَــنُ الــرأي والــمــواعــيــدِ لا يُــلــ ـفــى لــشــيءٍ مــمــا يــقــول وفــاءُ
مَــن تــعــزَّى عــمــن يــحــبُّ فــإنّــي لــيــس لــي مــا حَــيِــيــتُ عــنــه عَــزاءُ

[الخفيف]

الغناء لابن طُنبورة خفيف ثقيلٍ أَوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى. ولحن عبد اللّه بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

ومنها:

فــمــنْ يَــفــرحْ بــبــيــنــهــمُ فــغــيــري إذ غــدَوْا فــرِحَــا

[مجزوء الوافر]

شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه:

صــوت

يــا خــلــيــلــيَّ قــد مَــلِــلــتُ ثَــوائــي بــالــمُــصــلَّــى وقــد شَــنِــئــتُ الــبــقــيــعــا
بَــلِّــغــانــي ديــارَ هــنــدٍ وسَــلــمــى وارْجــعــا بــي فــقــد هــويــتُ الــرجــوعــا

[الخفيف]

الشعر لعمر بن أَبي ربيعة. والغناء للغريض خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن إِسحاق، وذكر الهشامي أَنه لابن سريج. وذكر حبشٌ أَن فيه رملاً بالبنصر لإِبراهيم. وفيه لحنٌ لمعبدٍ ذكره حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه ولم يُجَنِّسْهُ.

أَخبرني خبر عمر بن أَبي ربيعة في هذا الشعر وقَوله إِيَّاه الحَرميُّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكَّار قال حدثنا سليمان بن عيَّاش السعديّ قال أَخبرني السائب بن ذكوان راوية كثيِّر قال: قَدِم عمر بن أَبي ربيعة المدينة، وأَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أَبيه عن عثمان بن حفص قال، وأَخبرني عليّ بن صالح عن أَبي هفَّان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبيريّ والمسيَّبي، وأَخبرني به أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة موقوفاً عليه. وجمعتُ رواياتهم، وأكثرُ اللَّفظ للزبير بن بكار وخبرُه أتمّ:

أن عمر بن أَبي ربيعة قَدِم المدينة؛ فزعموا أنَّه قَدِمها من أَجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً: فذلك قوله:

يـا خـلـيـلـيَّ قـد مَـلِـلـتُ ثَـوائـي بـالـمُـصـلَّـى وقـد شَـنِـئـتُ الـبـقـيـعـا

[الخفيف]

قال: ثم خرج إلى مكة، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا.

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثيِّرٍ إنه قال: لمَّا مرَّا بالرَّوحاء استتلياني[١] فخرجت أَتلوهما، حتى لحقتهما بالعَرج عند رواحهما. فخرجنا جميعاً حتى ورَدنا ودَّان، فحبسهما النُّصَيب وذبح لهما وأكرمهما؛ وخرجنا وخرج معنا النُّصَيب. فلمَّا جئنا كُلَيَّةَ عدلنا جميعاً إلى منزل كثيِّر، فقيل لنا: هَبط قُدَيداً، فذُكر لنا أنه في خيمةٍ من خيامها. فقال لي ابن أَبي ربيعة: اذهب فادعُه لي. فقال النُّصَيب: هو أحمق وأَشدُّ كبراً من أَن يأتيك. فقال لي عمر: اذهب كما أَقول لك فادعُه لي. فجئته، فهشّ لي وقال: «اذكر غائباً تَرَه»، لقد جئتَ وأَنا أذكرك. فأبلغته رسالة عمر؛ فحدّد إليَّ نظرةً وقال: أَما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة! قلت: بلى واللَّه! ولكني سترتُ عليك فأبى اللَّه إلَّا أَن يهتك سترك. فقال لي: إنَّك واللَّه يا ابنَ ذكوان ما أَنت من شكلي؛ فقل لابن أَبي ربيعة: إن كنت قرَشيّاً فأنا قرشيٌّ. فقلت له: لا تترك هذا التلصُّق وأَنت تُقرَف عنهم كما تُقرف الصَّمغة! فقال: واللَّه لأنا أثبتُ فيهم منك في سَدوس. ثم قال: وقل له: إن كنت شاعراً فأنا أَشعر منك. فقلت له: هذا إذا كان الحُكم إليك. فقال: والى مَن هو ومَن أَولى بالحكم منّي! وبعد هذا يا ابن ذكوان فاْحمدِ اللَّه على لومك؛ فقد منعك منّي اليوم؟

فرجعتُ إلى عمر، فقال: ما وراءك؟ فقلتُ: ما قال لك نُصَيبٌ. فقال: وإنْ. فأخبرته فضحك وضحك صاحباه ظَهراً لبطنٍ، ثم نهضوا معي إليه. فدخلنا عليه في خيمةٍ، فوجدناه جالساً على جلد كبشٍ، فواللَّه ما أوسع للقرَشيّ. فلمَّا تحدّثوا مليّاً فأفاضوا في ذكر الشعر، أقبل على عمرَ فقال له: أَنت تنعت المرأة فتنسب بها ثم تدَعُها وتنسب بنفسك. أخبرني يا هذا عن قولك:

قـالـت تـصـدَّيْ لـه لـيـعـرفـنـا ثـم اغـمـزيـه يـا أُخـت فـي خَـفَـرِ[٢]

قـالـت لـهـا قـد غـمـزتـه فـأبـى ثـم اسـبَـطَـرَّت[٣] تـشـتـدُّ فـي أَثَـري

(١) استتلياني: طلبا مني أن أتبعهما.
(٢) الخفر: شدَّه الحياء.
(٣) إسبطرَّت: أسرعت في المسير.

وقَولها والدموعُ تسبقها لنُفسِدنَّ الطَّواف في عمرِ
[المنسرح]

أتُراكَ لو وصفتَ بهذا هرَّةَ أهلك ألم تكن قد قبَّحت وأسأت وقُلت الهُجرَ! إنما توصَف الحُرّة بالحياء والإِباء والالتواء والبخل والامتناع، كما قال هذا ـ وأشار إلى الأحوص ـ:

أدور ولولا أَن أَرى أُمّ جعفرٍ بأبياتكم ما دُرتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوَّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يزُرْ لا بدّ أَن سيزورُ
لقد منعتْ معروفَها أُمّ جعفرٍ وإِني إلى معروفها لفقيرُ
[الطويل]

قال: فدخلتِ الأحوص أُبَّهةٌ وعُرِفتِ الخُيَلاء فيه. فلما استبان كثيِّر ذلك فيه قال: أبطل آخِرُك أوّلك. أَخبرني عن قولك:

فإِن تَصِلي أصِلكِ وإِن تَبيني بصُرمك[1] بعد وصَلك لا أُبالي
ولا ألفى كمن إن سِيمَ صُرماً تعرّض كي يُرَدّ إلى الوِصالِ
[الوافر]

أمَا واللّه لو كنتَ فحلاً لباليتَ ولو كسرت أنفك. ألا قلت كما قال هذا الأسود ـ وأشار إلى نُصيب ـ:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الرَّكبُ وقُل إن تملِّينا فما ملَّكِ القلبُ
[الطويل]

قال: فانكسر الأحوص، ودخلتِ النُّصَيب أُبّهةٌ. فلما نظر أَنّ الكبرياء قد دخلته، قال له: يا ابن السَّوداء، فأخبرني عن قولك:

أَهيمُ بدَعدٍ ما حييتُ فإِن أمُتْ فواكَبدي مَن ذا يهيمُ بها بعدي
[الطويل]

أَهَمَّك مَن ينيكها بعدك! فقال نُصيب: استوتِ القِوَقُ[2]، قال: وهي لعبةٌ مثل المنقلة. ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقين. قال سائب: فلما أمسك كُثيِّر أقبل عليه عمر فقال له: قد أَنصتنا لك فاسمع يا مذبوب[3] إليَّ!

(١) الصُّرم: الهجر أو القطع.
(٢) القِوَق: مفردها القاق وهو الفاحش الطول، أو الأحمق الطائش من الرجال.
(٣) مذبوب: الذي ذُبَّ عقله، المجنون.

أَخبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لمن تحبّ حيث تقول:

أَلا لـيـتـنـا يـا عَـزَّ كـنَّـا لـذي غِـنًـى ... بـعـيـرَيـن نـرعـى فـي الـخـلاء ونَـعـزُبُ
كِـلانـا بـه عَـرٌّ فـمـن يَـرَنـا يَـقُـلْ ... عـلـى حـسـنـهـا جَـربـاء تُـعـدي وأَجـربُ
إذا مـا وَرَدنـا مَـنـهـلاً صـاح أهـلـه ... عـلـيـنـا فـمـا نـنـفـكُّ نُـرمـى ونُـضـرَبُ
وَدِدتُ وبَـيـتِ الـلَّـه أنّـك بَـكـرةٌ ... هِـجـانٌ وأنـي مُـصـعـبٌ ثـم نـهـرُبُ
نـكـون بـعـيـرَيْ ذي غِـنًـى فـيُـضِـيـعـنـا ... فـلا هـو يـرعـانـا ولا نـحـن نُـطـلـبُ

[الطويل]

وقال: تمنَّيت لها ولنفسك الرُّقَّ والجَرَبَ والرَّميَ والطَّرد والمسخ، فأيَّ مكروهٍ لم تمنَّ لها ولنفسك! لقد أصابها منك قول القائل: «مُعاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمق». قال: فجعل يختلج[1] جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إليَّ يا ابن استها أخبرك بخبرك وتعرُّضك للشرّ وعجزك عنه وإِهدافك[2] لمن رماك. أخبرني عن قولك:

وقُـلـنَ ـ وقـد يَـكـذِبـنَ ـ فـيـك تـعـيُّـفٌ[3] ... وشُـؤمٌ إذا مـا لـم تُـطَـع صـاح نـاعـقُـهْ
وأَعـيَـيـتـنـا لا راضـيـاً بـكـرامـةٍ ... ولا تـاركـاً شَـكـوى الـذي أنـت صـادقُـهْ
فـأدركـتَ صَـفـوَ الـوُدّ مـنَّـا فـلُـمـتـنـا ... ولـيـس لـنـا ذنـبٌ فـنـحـن مَـواذقُـهْ[4]
وألـفـيـتـنـا سِـلـمـاً فـصـدَّعـتَ بـيـنـنـا[5] ... كـمـا صـدَّعـتْ بـيـن الأديـم خَـوالِـقُـهْ[6]

[الطويل]

واللَّه لوِ احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤتَ به على نفسك. قال: فخفق كما يخفق الطائر. ثم أقبل عليه النُّصَيب فقال: أقبل عليَّ يا زُبَّ الذُّباب! فقد تمنَّيت معرفة غائبٍ عندي علمه فيك حيث تقول:

وَدِدتُ ـ ومـا تُـغـنـي الـوَدادةُ ـ أَنّـنـي ... بـمـا فـي ضـمـيـر الـحـاجـبـيَّـة عـالـمُ
فـإن كـان خـيـراً سـرَّنـي وعـلـمـتـه ... وإن كـان شـرّاً لـم تَـلـمـنـي الـلَّـوائـمُ

[الطويل]

أنظر في مِرآتك واطّلع في جَيبك واعرف صورة وجهك، تعرف ما عندها لك.

---

(١) يختلج: يضطرب ويرتجف. (٢) إهدافك: إصابتك الهدف.
(٣) تَعيُّف: عاف الطعام: كرهه وتركه. والتعيُّف الكراهة للشيء.
(٤) المواذق: مفردها ماذق وماذقة، وهو من لم يخلص الود.
(٥) البين: هنا بمعنى، الوصل. (٦) خوالق الأديم: صنّاع الجِلد.

فاضطرب اضطراب العصفور، وقام القومُ يضحكون. وجلست عنده؛ فلمَّا هدأ شأوُه[١] قال لي: أَرضيتك فيهم؟ فقلت له: أمَّا في نفسك فنعم! فقد نحس[٢] يومك معهم، وقد بقيت أَنا عليك. فما عُذرُك ـ ولا عُذر لك ـ في قولك:

سقى دِمنتين[٣] لم نجد لهما أهلَا ... بحقلٍ لكم يا عزَّ قد رابنا حَقلَا
نجاءُ الثريّا كلَّ آخر ليلةٍ ... يجودُهما جَوداً ويُتبعه وبَلَا

ثم قلتَ في آخرها:

وما حَسِبتْ ضمريَّةٌ حدريَّةٌ ... سوى التَّيس ذي القَرنين أنْ لها بعلَا

[الطويل]

أهكذا يقول الناس ويحك! ثم تظنّ أنَّ ذلك قد خفيَ ولم يعلم به أحدٌ، فتسُبّ الرجال وتعيبهم! فقال: وما أَنت وهذا وما عِلمك بمعنى ما أردت؟ فقلت:

هذا أعجب من ذاك. أتذكر امرأةً تَنسبُ بها في شِعرك وتستغزر لها الغيث في أوّل شعرك، وتحمل عليها التيس في آخره! قال: فأطرق وذلَّ وسكن. فعُدتُ إلى أَصحابي فأعلمتهم ما كان من خبره بعدهم. فقالوا: ما أنت بأهون حجارته التي رُمي بها اليوم منَّا. قال فقلت لهم: إنه لم يَتِرْني[٤] فأطلبَه بذَحلٍ، ولكني نصحته لئلَّا يُخلَّ هذا الإِخلال الشديد، ويركب هذه العروض التي ركب في الطَّعن على الأحرار والعَيب لهم.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعيدي عن سهل بن بركة وكان يحمل عود بن سُرَيج قال:

كان على مكَّة نافع بن علقمة الكناني، فشدّد في الغناء والمغنِّين والنبيذ، ونادى في المخنَّثين. فخرج فتيةٌ من قُرَيش إلى بطن مُحسِّرٍ وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفي. فلما شرِبوا وطربوا قالوا: لو كان معنا ابن سرَيج تمَّ سرورنا. فقلت: هو عليَّ لكم. فقال لي بعضهم: دونك تلك البغلة فاركبها وامضِ إليه. فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إيَّاه. فقال لي: ويحك! وكيف لي بذاك مع شدَّة السلطان في الغناء وندائه فيه؟ فقلت له: أفتردُّهم؟ قال: لا واللَّه! فكيف لي بالعود؟ فقلت له: أَنا أَخبَؤه[٥] لك فشأنك. فركب وسترتُ العود وأردفني. فلما كنَّا ببعض

(١) الشَّأو: الهِمَّة.
(٢) نَحِس اليوم: تَعِسَ اليوم.
(٣) دِمنتين: مثنّى دِمنة، وهي آثار الدار.
(٤) لم يَتِرْني: لم يصبني بأذى أو ظلم.
(٥) أخبؤه: أستره.

الطريق إذا أَنا بنافع بن علقمة قد أَقبل، فقال لي: يا ابنَ بركة هذا الأمير! فقلت: لا بأسَ عليك، أَرسِل عِنان البغلة وامض ولا تخف، ففعل. فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج، فقال لي يا ابنَ بركة: مَن هذا أمامك؟ فقلت: ومَن ينبغي أَن يكون! هذا ابن سُرَيج. فتبسم ابن علقمة ثم تمثَّل:

فإِن تنجُ منها يا أَبانُ مُسلَّماً فقد أفلت الحَجَّاج خيلَ شبيبِ

[الطويل]

ثم مضى ومضينا. فلما كنَّا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح، فقلت له: غنِّ مرتجلاً؛ فرفع صوته فخُيِّل إليّ أن الشجرة تنطق معه، فغنّى:

صوت

كيف الثَّواءُ[1] ببطن مكَّة بعد ما هَمَّ الذين تحبّ بالإِنجادِ

أمْ كيف قلبك إذا ثَوَيت مُخمَّراً سَقِماً خِلافهم وكربُك بادي

هل أَنت إن ظعن الأحبَّة غادي أم قبلَ ذلك مُدلجٌ بسوادِ

[الكامل]

ـ الشعر للعرجيّ. وذكر إسحاق في مجرَّده أن الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وحكى حمَّاد ابنه عنه أنَّ اللحن لابن سُرَيج ـ قال سهل: فقلت: أحسنتَ والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة، ولو أنَّ كنانة كلَّها سمعَتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة! المغرورُ مَن غرَّه نافع. ثم قلت: زِدني وإن كان القوم متعلِّقةً قلوبهم بك. فغنّى وتناول عوداً من الشجرة فأَوقع به على الشجرة؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بُطون[2] الضأن على العيدان إذا أخذتها قُضبان الدِّفلى[3]. قال: والصوت الذي غنَّى:

صوت

لا تجمعي هَجراً عليّ وغُربةً فالهَجر في تَلَف الغريب سريعُ

(١) الثَّواء: الإقامة.

(٢) بطون الضّأن: أراد الأوتار التي تتخذ من أمعاء الضّأن.

(٣) الدُّفلى: نبت مُرّ، فارسيته خر زهرة، فتّال زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخرنوب نافع للجرب والحِكة والطِّلاء.

مَـن ذا ـ فـديـتُـكِ ـ يـسـتـطـيـع لـحـبِّـه دفـعـاً إذا ٱشـتـمـلـتْ عـلـيـه ضُـلـوعُ
[الكامل]

فقلت: بنفسي أنت واللَّه مَن لا يملُّ ولا يُكَدُّ، واللَّه ما جهِل مَن فهِمَك! ٱركب ـ فدتك نفسي ـ بنا. فقال: أَمهِلني كما أمهلتك اقضِ بعض شأني. فقلت: وهل عما تُريد مدفعٌ! فقام فصلَّى ركعتين، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال: أَشهَد أَن لا إِلٰه إلَّا اللَّه وأشهد أَن محمداً عبده ورسوله، ثم قال: يا حبيبتي إذا شَهِدتِ بذاك الشيء فٱشهدي بهذا. ثم مضينا والقوم متشوّقون. فلما دَنونا أحسَّت الدوابّ بالبغلة فصهلت، وشحجتِ[1] البغلة، وإذا الغريض يغنِّيهم لحنه:

مِـن خَـيـلِ حَـيٍّ مـا تـزالُ مُـغـيـرةً سـمـعـتْ عـلـى شـرَفٍ صـهـيـلَ حـصـانِ
[الكامل]

فبكى ابن سُرَيج حتى ظننتُ أَنَّ نفسه قد خرجتْ، فقلت: ما يُبكيك يا أَبا يحيى؟ جُعِلت فداك! لا يسوؤك اللَّه ولا يريك سوءاً! قال: أبكاني هذا المخنَّث بحسن غنائه وشجا صوته؛ واللَّه ما ينبغي لأحدٍ أن يغنّي وهذا الصبيّ حيّ. ثم نزل فٱستراح وركب. فلما سار هنيهةً ٱندفع الغريضُ فغنَّاهم لحنه:

يـا خـلـيـلـيّ قـد مَـلِـلـتُ ثَـوائـي بـالـمُـصـلّـى وقـد شـنـئـتُ الـبَـقـيـعـا
[الخفيف]

قال؛ ولصوته دويٌّ في تلك الجبال. فقال ابن سُرَيج: ويلك يا ابنَ بركة! أسمعتَ أحسن من هذا الغناء والشعر قطُّ؟ قال: ونظروا إلينا فأقبلوا نَشاوى[2] يسحبون أعطافهم، وجعلوا يُقبِّلون وجه ابن سُرَيج. فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطق بحرف واحد، وأَخذوا في شرابهم وقالوا: يا حبيبَ النفس وشقيقها أَعطِها بعض مُناها؛ فضرب بيده إلى جَيبه فأخرج منه مِضراباً، ثم أخذه بيده ووضع العود في حِجره، فما رأيت يداً أحسن من يده، ولا خشبةً تخيَّلت إليَّ أنها جوهرةٌ إلَّا هي، ثم ضرب فلقد سبَّح القومُ جميعاً، ثم غنَّى فكلٌّ قال: لبَّيك لبَّيك! فكان ممَّا غنَّى فيه ـ واللحن له هزج ـ:

صـــوت

لـبَّـيـكِ يـا سـيِّـدتـي لـبَّـيـكِ ألـفـاً عَـدَدَا
لـبَّـيـكِ مـن ظـالـمـةٍ أحـبـبـتـهـا مُـجـتـهـدَا

(١) شحجت: صَوَّتت.
(٢) نشاوى: مفردها نَشوان، وهو السّكران البيِّن النشوة.

قُـومُـوا إلـى مَـلـعـبِـنـا نَـحـكِ الـجـواري الـخُـرّدَا[1]
وَضْـعَ يـدٍ فـوق يـدٍ تـرفَـعـهـا يـداً يَـدَا

[مجزوء الرجز]

فكلٌّ قال: نفعل ذاك. فلقد رأيتنا نستبق أيُّنا تقع يدُه على يده. ثم غنَّى:

صـوت

مـا هـاج شـوقَـكَ بـالـصَّـرائـم ربَـعٌ أحـالَ لأمّ عـاصـمْ
ربَـعٌ تـقـادمَ عـهـده هـاجَ الـمـحـبّ عـلـى الـتَّـقـادمْ
فـيـه الـنَّـواعـمُ والـشـبـا بُ الـنـاعـمـون مـع الـنَّـواعـمْ
مِـن كـلّ واضـحـة الـجَـبـيـ ـن عـمـيـمةٍ[2] رَيَّـا[3] الـمـعـاصـمْ

[مجزوء الكامل]

ثم إنه غنَّى:

صـوت

شجاني مَغاني الحيّ وٱنشقَّتِ العصا وصاح غرابُ البين أنت مريضُ
ففاضتْ دموعي عند ذاك صبابةً وفيهنّ خَودٌ كالمهاةِ غَضيضُ[4]
وولَّيتُ محزونَ الفؤاد مُرَوَّعاً كئيباً ودمعي في الرّداءِ يفيضُ

[الطويل]

ـ الغناء لابن مُحرز خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن جُندَب ـ قال: فلقد رأيت جماعة طيرٍ وقعن بقربنا وما نحسُّ قبل ذلك منها شيئاً؛ فقالت الجماعة: يا تمام السرور وكمال المجلس! لقد سعِد من أخذ بحظه منك، وخاب من حُرِمَك، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا اللَّه فداءك! غنِّنا؛ فغنَّى واللحنُ له:

صـوت

يـا هـنـد إنـك لـو عَـلِـمـ ـتِ بـعـاذلَـيـنِ تَـتـابـعـا

[مجزوء الكامل]

(١) الخُرّد: مفردها خَرُود، وهي البِكْر لم تمسّ قطّ، أو الحييَّة الطويلة السكوت الخافضة الصوت.
(٢) عميمة: المرأة التامَّة الخَلق والقِوام، طويلة.
(٣) ريَّا المعاصم: حسنتها. (٤) الغضيض: الطريّ الناعم.

ـ وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأن فيه طولاً ـ فبدرت من بينهم فقبَّلت بين عينيه، فتهافتَ القوم عليه يقبِّلونه؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه.

ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان:

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثيِّر وعمر ونُصَيبٌ والأحوص أغان.

منها:

صـــوت

أبـصـرتُـهـا لـيـلـةً ونـسـوَتَـهـا ... يـمـشـيـن بـيـن الـمـقـام والـحـجـرِ

مـا إن طـمِـعـنـا بـهـا ولا طـمِـعـتْ ... حـتـى الـتـقـيـنـا لـيـلاً عـلـى قَـدَرِ

بـيـضـاً حِـسـانـاً خـرائـداً[١] قُـطُـفـاً[٢] ... يـمـشـيـن هَـونـاً كـمـشـيـةِ الـبـقـرِ

[المنسرح]

الشعر لعمر. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي وحبش. وذكر عمرو أنَّ فيه لابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر. ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل، وقيل: إنه لسنان الكاتب. ومن هذه القصيدة أيضاً، وهذا أولها:

صـــوت

يـا مَـن لـقـلـبٍ مـتـيَّـم كـمِـدٍ ... يَـهـذي بـخَـوْدٍ مـريـضـة الـنَّـظـرِ

تـمـشـي رويـداً إذا مـشـتْ فُـضُـلاً[٣] ... وهـيَ كـمـثـل الـعُـسـلـوج[٤] مِ الـبُـسُـر[٥]

مـا زال طَـرفـي يَـحـارُ إذ بـرزت ... حـتـى عـرفـتُ الـنُّـقـصـان فـي بـصـري

[المنسرح]

غنَّاه ابن محرزٍ، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ومنها:

---

(١) الخرائد: مفردها خَرود، وهي البكر التي لم تُمسّ قطّ... (تم شرحها في الصفحة السابقة).

(٢) القُطُف: مفردها قَطوف، وهي البطيئة في السَّير.

(٣) مشت فُضُلاً: مشت مختالةً بنفسها تجرُّ ثوبها فضلاً.

(٤) العُسلوج: القضبان الخضراء اللَّيّنة.

(٥) البُسُر: التمر قبل تحوّله إلى رطب.

صـوت

قـالـت لـتِـرْبٍ لـهـا تـحـدِّثـهـا ... لـنُـفـسـدنّ الـطَّـواف فـي عُـمـرِ
قـالـت تـصـدَّيْ لـه لـيـعـرفَـنـا ... ثـمّ ٱغـمـزيـه يـا أُخـت فـي خَـفَـرِ
قـالـت لـهـا قـد غـمـزتُـه فـأبـى ... ثـم ٱسـتـطـيـرتْ[1] تـشـتـدّ فـي أَثَـري

[المنسرح]

غنَّاه يونس خفيف ثقيلٍ أَوّل بالبنصر عن حبشٍ. وقيل: إنّ فيه لعبد اللَّه بن العبَّاس لحناً جيِّداً.

ومنها ما لم يمض ذكره في الكتاب:

صـوت

أَلَا لـيـتـنـا يـا عَـزَّ مـن غـيـر بِـغـضـةٍ ... بـعـيـرَيـن نَـرعـى فـي الـخـلاء ونـعـزُبُ
كـلانـا بـه عَـرٌّ[2] فـمـن يَـرَنـا يَـقُـلْ ... عـلـى حُـسـنِـهـا جَـربـاءُ تُـعـدي وأجـربُ
إذا مـا وردنـا مَـنـهـلاً صـاح أهـلـه ... عـلـيـنـا فـمـا نـنـفـكُّ نُـرمـى ونُـضـرَبُ

[الطويل]

الغناء لإبراهيم، رملٌ بالوسطى عن حبشٍ.

أَخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن أَبي عبيدة عن عَوانة وعيسى بن يزيد:

أنَّ كثيِّراً دخل على عزّة ذات يوم، فقالت له: ما ينبغي لنا أَن نأذن لك في الجلوس. قال: ولِمَ؟ قالت: لأني رأيتُ الأحوص أليَنَ جانباً في شعره منك في شِعرك وأضرع خدّاً للنساء، وإنه لأشعرُ منك حين يقول:

يـا أيُّـهـا الـلَّائـمـي فـيـهـا لأصـرِمِـهـا ... أكـثـرتَ لـو كـان يُـغـنـى مـنـك إِكـثـارُ
إرجـعْ فـلـسـتَ مـطـاعـاً إِذا وَشَـيـتَ بـهـا ... لا الـقـلـبُ سـالٍ ولا فـي حـبّـهـا عـارُ

وإِني ٱسترققت قوله:

ومـا كـنـت زوَّاراً ولـكـنّ ذا الـهـوى ... إذا لـم يَـزُر لا بـدّ أَن سـيـزُورُ

[البسيط]

---

(١) إستطيرت: خافت ورعبت وذُعرت.
(٢) العَرّ: الجَرَب.

وأعجبني قوله:

كم من دنيٍّ[١] لها قد صِرتُ أتبعه ... ولو صحا القلبُ عنها كان لي تَبَعا
وزادني كلَفاً بالحبّ أن منعتْ ... أَحَبُّ شيءٍ إلى الإِنسان ما مُنعا

وقوله أَيضاً:

وما العَيش إلَّا ما تلذّ وتشتهي ... وإِن لام فيه ذو الشُّنان[٢] وفَنَّدَا

[الطويل]

فقال كثيِّر: قد واللَّه أجاد! فما الذي ٱستجفيتِ من قولي؟ قالت: أخزاك اللَّه! أمَا ٱستحييتَ حين تقول:

يُحاذِرنَ منّي غيرةً قد عَرَفنها ... لديَّ فما يضحَكنَ إلَّا تبسُّمَا

[الطويل]

فقال كُثَيِّر:

وَدِدتُ وبيتِ اللَّهِ أَنَّكِ بكرةٌ ... هِجانٌ وأني مُصعَبٌ ثم نهرُبُ
كلانا به عَرٌّ فمن يرَنا يَقُلْ ... على حُسنها جَرباءُ تُعدي وأَجرَبُ
نكون لذي مالٍ كثيرٍ مغفَّلٍ ... فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلَبُ

[الطويل]

فقالت لي: ويحك! لقد أردت بي الشقاء الطويل، ومن المُنى ما هو أعفى من هذا وأطيبُ.

أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانه:

صوت

قد كنتَ في مَنظرٍ ومُستمعٍ ... عن نصر بَهراءَ[٣] غير ذي فَرَسِ
لا ترةٌ عندهم فتطلبها ... ولا همُ نُهزَةٌ لمختلسِ
يكفّ حَرَّان ثائرٍ بدَم ... طلَّاب وِترٍ في الموت مُنغمسِ
إمَّا تقارَشْ[٤] بك الرماح فلا ... أبكيك إلَّا للدَّلوِ والمَرَسِ[٥]

(١) الدَنيّ: الخسيس.
(٢) ذو الشُّنان: ذو البغض، الكاره.
(٣) بهراء: اسم قبيلة.
(٤) تقارش: تقاطع.
(٥) المَرَس: الحبل الذي يربط به الدلو.

تَـذُبُّ عـنـه كـفٌّ بـهـا رمـقٌ طـيـراً عُـكـوفـاً كَـزُوّر الـعُـرُسِ
عـمـا قـلـيـلٍ يَـصـبـحـنَ مُـهـجـتـه فـهـنَّ مـن والـغٍ[1] ومُـنـتـهـسِ[2]

[المنسرح]

الشعر لأبي زُبيد الطائي. والغناء لابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيل الأوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنَّ في الأربعة الأوَل خفيفيْ ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمعبد وابن محرز، ووافقه الهشامي في لحن معبدٍ في الأول والثاني وذكر أَنه بالوسطى. وفي كتاب ابن مِسجحٍ عن حمَّاد له؛ فيه لحنٌ يقال إنه لابن مُحرز. ولابن سُرَيج في الأولِ والخامس والسادس والسابع رملٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر لنا حبشٌ أَنَّ الرمل لمبعد، وذكر إسحاق أَنه لابن سرَيج أيضاً، وأوَّله:

تَـذُبُّ عـنـه كـفٌّ بـهـا رمـقٌ

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيفُ ثقيل آخر. وفيه لابن عائشة رملٌ. وفيه لحُنَينٍ ثاني ثقيل. هذه الحكايات الثلاث عن يونس، وطرائقُها عن الهشامي. ولمخارقٍ في الرابع والأول خفيف رملٍ. ولمتيَّم في الأول والثاني خفيف رملٍ آخر. وذكر حبشٌ أنَّ لإبراهيم في الأول والثاني ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن مسجحٍ خفيف ثقيل بالوسطى.

* * *

(١) الوالغ: الشارب بأطراف لسانه، أو الذي يدخل لسانه في الشراب فيحرّكه.
(٢) المنتهِس: الذي يأخذ اللحم وينتفه بمقدّم أسنانه.

أخبار أبي زبيد ونسبه

كان نصرانيّاً ومخضرماً:

هو حرملة بن المنذر، وقيل المنذر بن حرملة. والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعدِ يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حيَّة بن سَعنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنئ بن عمرو بن الغوث بن طيِّء بن أُدَدِ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. وكان أَبو زبَيدٍ نصرانيّاً وعلى دينه مات. وهو ممن أدرك الجاهلية والإِسلام فعُدّ في المخضرمين. وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإِسلاميِّين، وهم العُجَير السَّلولي وذووه. وقد مضى أَكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عُقبة بن أَبي مُعَيط.

أَخبرني أَبو خليفة الفضل بن الحُباب الجمحيّ إجازةً قال: حدثني محمد بن سلَّام الجمحيّ قال حدثني أَبو الغرّاف قال:

كان أَبو زُبَيدٍ الطائي من زُوَّار الملوك وخاصةً ملوك العجم، وكان عالماً بسيَرهم. وكان عثمان بن عفَّان رضي اللَّه تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدني مجلسه، وكان نصرانيّاً. فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار، فتذاكروا مآثر العربِ وأشعارها. قال: فالتفت عثمان إلى أبي زبَيد وقال: يا أخا تُبَّعِ المسيح أَسمعنا بعض قولك؛ فقد أُنبئتُ أَنَّك تجيد. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

مَن مُبلغٌ قومنا النائين إذ شحطوا[1] أن الفؤاد إليهم شَيِّقٌ[2] وَلِعُ[3]

[البسيط]

ووصف فيها الأسد. فقال عثمان رضي اللَّه تعالى عنه: تاللَّه تفتأ تذكر الأسد ما حَييتَ. واللَّه إنِّي لأحسبك جَباناً هِداناً[4]. قال: كلَّا يا أَمير المؤمنين، ولكني رأيتُ منه منظراً وشهدتُ منه مشهداً لا يبرح ذِكره يتجدّد ويتردد في قلبي، ومعذورٌ أَنا يا أَمير المؤمنين غير مَلوم. فقال له عثمان رضي اللَّه عنه: وأَنَّى كان ذلك؟ قال:

---

(١) شحطوا: بعدوا.
(٢) الشيِّق: شدَّة حركة الهوى.
(٣) الوَلِع: المولع به.
(٤) الهِدان: الأحمق.

خرجتُ في صُيَّابة[١] أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ، ترتمي بنا المهاري[٢] بأكسائها[٣]، ونحن نريد الحارث بن أَبي شمرٍ الغسَّاني ملك الشام؛ فأخرَوَّط[٤] بنا السير في حَمارَّة[٥] القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه[٦]، وذبلت[٧] الشِّفاه، وشالتِ المياه[٨]، وأَذكت الجَوزاءُ[٩] المَعزاءَ[١٠]، وذاب الصَّيْهَد[١١]، وصرَّ[١٢] الجُندُب[١٣]، وضاف العصفور الضبَّ وجاوره في جُحره، قال قائل: أيها الرّكب غَوّروا[١٤] بنا في ضَوج[١٥] هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدَّغل[١٦]، دائم الغَلَل[١٧]؛ شجراؤه مغِنَّةٌ، وأطياره مُرنّة[١٨]. فحططنا رِحالنا بأُصول دَوحاتٍ[١٩] كَنَهبلاتٍ[٢٠]، فأصبنا من فضلات الزاد وأَتبعناها الماءَ البارد.

فإنَّا لنصف حرّ يومنا ومماطلته، إذ صرَّ أقصى الخيل أُذنَيه[٢١]، وفحص الأرض بيديه. فواللَّه ما لبث أن جال، ثم حمحم[٢٢] فبال، ثم فعل فعله الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت[٢٣] الإبل، وتقهقرت[٢٤] البغال، فمنْ نافرٍ بشكاله[٢٥]، وناهضٍ بعقاله؛ فعلمنا أَن قد أُتينا وأنَّه السَّبُع؛ ففزع كلُّ رجلٍ منَّا إلى سيفه فأستلَّه من جُربَّانه[٢٦]، ثم وقفنا له رَزدقاً (أَي صفّاً). وأقبل أَبو الحارث من

(١) الصُيَّابة: السيِّد، وجيه القوم. (٢) المهاري: مفردها مهريّة وهي الإبل النجائب.
(٣) الأكساء: مفردها كُسى، وهو مؤخر العَجُز.
(٤) اخروّط: طال كثيراً. (٥) حمَّارة القيظ: شدَّة الحرّ.
(٦) عصبت الأفواه: أقفلت الأفواه، كناية عن جفافها.
(٧) ذبلت الشفاه: أصابها الجفاف. (٨) شالتِ المياه: قلَّت المياه.
(٩) الجوزاء: برجٌ في السَّماء.
(١٠) المعزاء: الأرض الكثيرة الحصى، الشديدة الصَّلَابة.
(١١) الصَّيهَد: السّراب. (١٢) صرَّ: صوت.
(١٣) الجندب: الصغير من الجراد.
(١٤) غوِّروا: أدخلوا الغور، وهو ما انحدر من الأرض.
(١٥) الضوج: ما انعطف من الوادي. (١٦) الدَّغل: الشجر الملتف من كثرته.
(١٧) الغَلَل: الماء الذي يجري بين الأشجار. (١٨) مُرِنَّة: تُصدر رنيناً.
(١٩) دوحات: مفردها دوحة، وهي الشجرة العظيمة.
(٢٠) كنهبلات: أشجار عظام. (٢١) صرَّ أذنيه: نصبهما للإستماع.
(٢٢) حمحم: أصدرت الخيل صوتاً دون الصهيل.
(٢٣) تكعكعت الإبل: حُبست عن وجهها. (٢٤) تقهقرت البِغال: تأخّرت إلى الخلف.
(٢٥) الشِّكال: الحبل الذي تُشَدُّ به قوائم الدوَابّ.
(٢٦) الجُربَّان: الغمد للسيف.

أَجمته يتظالع[١] في مشيته من نعته كأنَّه مجنوبٌ[٢]، أَو في هِجارٍ[٣] معصوب؛ لصدره نحيطٌ[٤]، ولبلاعمه غطيطٌ[٥]، ولطرفه وَميضٌ، ولأرساغه نقيضٌ[٦]؛ كأنما يخبط[٧] هشيماً، أَو يَطَأُ صريماً[٨]؛ وإذا هامةٌ كالمِجَنّ[٩]، وخَذٌّ كالمِسَنّ[١٠]، وعَينان سَجرَاوان[١١]، كأنَّهما سراجان يَقِدان[١٢]، وقصرةٌ رِبلة[١٣]، ولِهزِمةٌ رِهلةٌ[١٤]، وكتدٌ مُغبطٌ[١٥]، وزَورٌ مُفرط[١٦]؛ وساعدٌ مجدول[١٧]، وعَضْدٌ مفتول[١٨]؛ وكفٌّ شثنة البراثن[١٩]، إلى مخالب كالمحاجن[٢٠]. فضرب بيده فأَرهَج[٢١]، وكشَّر فأفرج عن أَنياب كالمعاول[٢٢] مصقولة، غير مفلولة[٢٣]؛ وفَم أشدق[٢٤]، كالغار الأخرق؛ ثم تمطَّى فأسرع بيديه، وحفز[٢٥] وَرِكَيْه برجليه، حتى صار ظِلُّه[٢٦] مِثلَيه؛ ثم أَقعى فاقشعرّ[٢٧]، ثم مثل فاكفهرّ[٢٨]، ثم تجهَّم فازبأَرَّ[٢٩]. فلا وذو[٣٠] بيته في السماء ما اتَّقيناه إلا بأوَّل أخٍ لنا من فَزارة، كان ضخم الجزارة[٣١]، فوقصه[٣٢] ثم نفضه نفضةً

(١) يتظالع: يغمز أو يعرج في مشيه.
(٢) مجنوب: مصاب بذات الجنب، وهي قروح تصيب جنب المرء تمنعه من الحركة.
(٣) الهِجار: الحبل الذي يشدُّ في رسغ رجل البعير ثم يربط بحقوه.
(٤) النحيط: صوت الصدر خلال التنفُّس المتواصل.
(٥) الغطيط: صوت البعير وهو الهدير. (٦) نقيض: صوت الأرساغ.
(٧) الهشيم: النبات اليابس المتكسر. (٨) الصريم: الحب المحصود من الزرع/ المقطوع.
(٩) المِجَنّ: صفحة دائرية تستخدم للوقاية من ضربات السيوف.
(١٠) المِسَنّ: الحجر الذي يسَنُّ به.
(١١) سجر العين: هو أن يخالط بياض العين حمرة بيّنة.
(١٢) يقِدان: يشعلان. (١٣) الربلة: اللحمة الغليظة.
(١٤) الرهلة: الرخوة.
(١٥) كتدٌ مُغبط: الكتد هو ما بين الكاهل والظهر ومغبط مرتفع.
(١٦) زَورٌ مفرط: صدر ضخم الحجم. (١٧) ساعد مجدول: ساعد مكتنز.
(١٨) عضدٌ مفتول: عضد ضخم. (١٩) شثنةُ البراثِن: خشنة الأصابع ضخمتها.
(٢٠) مخالب كالمحاجن: أظافر طويلة منعطفة. (٢١) أرهج: أثار الغبار وهيَّجه.
(٢٢) المعاول: مفردها معول وهو الفأس العظيمة التي تفتت بها الصخور.
(٢٣) غير مفلولة: غير مكسورة. (٢٤) فم أشدَق: واسع الشفتين.
(٢٥) حفز وركيه: دفعهما. (٢٦) ظِلُّهُ: أي طُولُهُ.
(٢٧) أقعى فاقشعر: أقعى جلس على مؤخرته واقشعر: وقف شعر جسده.
(٢٨) إكفهرّ: كشَّر وغضب وتغيّرت ملامحه.
(٢٩) تجهَّم فازبأر: تغيَّر وجهه فتنفَّش حتى ظهرت أصول وبر شعره.
(٣٠) ذو: تأتي بمعنى الذي. (٣١) ضخم الجزارة: عظيم الجسم.
(٣٢) وَقَصَه: قتله، دقّ عنقه.

فقضقض متنيه[١]، فجعل يَلَغُ[٢] في دمه.

فذمرتُ أصحابي[٣]، فبعد لأيٍ ما استقدموا. فهجهجنا[٤] به، فكرَّ مقشعرّاً بزُبرته[٥]، كأن به شَيهماً حَوليّاً[٦]، فاختلج[٧] رجلاً أَعجر[٨] ذا حوايا[٩]، فنفضه نفضةً تزايلت[١٠] منها مفاصله، ثم نهم ففرفر[١١]، ثم زفر فبربر[١٢]، ثم زأر فجرجر[١٣]، ثم لحظ[١٤]، فواللَّه لخلتُ البرق يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه. فأُرعشتْ الأيدي، واصطكَّت[١٥] الأرجل، وأَطّت الأضلاع[١٦]، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحققت الظنون، وانخزلت[١٧] المتون. فقال له عثمان: اسكُت قطع اللَّه لسانك! فقد أرعبت قلوب المسلمين.

خوفه من الأسد:

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أَسد قال حدثني العمَري قال حدثني شُعبة قال:

قلت للطرمَّاح بن حكيم: ما شأن أَبي زبَيدٍ وشأنُ الأسد؟ فقال: إنه لقيه بالنَّجف، فلما رآه سلح من فرَقه ـ وقال مرَّة أُخرى: فسلَّحه ـ فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت.

---

(١) قضقض متنيه: كسر متني ظهره.
(٢) يَلَغ في دمه: يشرب بأطراف لسانه.
(٣) ذمرت أصحابي: لُمتُهم وذجرتهم.
(٤) هجهجنا به: صرخنا به وزجرناه ليكف عن القيام بأمر ما.
(٥) الزُّبرة: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.
(٦) الشيهم الحولي: الشيهم: الشوكة العظيمة من ذكور القنافذ. الحولي: الذي مرّ عليه عام.
(٧) اختلج: انتزع.
(٨) الرجل الأعجَر: الرجل عظيم البطن.
(٩) ذو حوايا: الحوايا: الأمعاء.
(١٠) تزايلت منها المفاصل: ارتجت منها المفاصل.
(١١) نهم ففَرفَر: صوَّت وصاح.
(١٢) زفر فبَربَر: الزفير هو إخراج النفس من الصدر وبربر أصدر صوتاً مع زفيره.
(١٣) زأر فجرجَر: أصدر صوتاً مع ترديده في حنجرته.
(١٤) لحظ: نظر بمؤخر عينه غاضباً.
(١٥) اصطكّت: ارتجفت واهتزّت.
(١٦) أطّت الأضلاع: أصدرت صوتاً كالأطيط.
(١٧) انخزلت المتون: انخزلت مشت في تثاقل وتباطؤ. والمتون: الأجساد.

شعره في ضربة المكاء:

أَخبرني أَبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أَبي عمن يثق به أَن رجلاً من طيِّءٍ من بني حيَّة نزل به رجلٌ من بني الحارث بن ذُهلٍ بن شيبان يقال له المكَّاء، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سكر الطائي قال: هلمَّ أُفاخرك: أبنو حيَّة أكرم أم بنو شيبان؟ فقال له الشيباني: حديثٌ حسن، ومنادمةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة. فقال الطائي: واللَّه ما مدّ رجلٌ قطُّ يداً أطول من يدي. فقال الشيباني: واللَّه لئن أعدتَها لأخضبنَّها من كوعها. فرفع الطائي يده، فضربها الشيباني بسيفه فقطعها. فقال أَبو زبَيدٍ في ذلك:

خبَرَتنا الرُّكبان[١] أن قد فخرتم ... وفرحتم بضربة المكَّاءِ
ولعمري لعارُها كان أدنى ... لكمُ من تُقًى وحقّ وفاءِ
ظلّ ضيفاً أَخوكم لأخينا ... في صَبوح[٢] ونعمةٍ[٣] وشِواءِ[٤]
ثم لما رآه رانت[٥] به الخمـ ... ـر وأَن لا يريبه باتّقاءِ
لم يهب حُرمة النديم[٦] وحُقَّت ... يا لقومٍ للسَّوءة[٧] السوءاءِ[٨]

[الخفيف]

ما قاله في كلبه حين لقيه الأسد فقتله:

أَخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد اللَّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يقال له أكدر، وكان له سلاح يُلبسه إيَّاه، فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أَن يلبسه سلاحه، فلقيه الأسد فقتله، ويقال: أخذه فأفلت منه، فقال عند ذلك أبو زبيد:

أحال أَكدرُ مُختالاً كعادته ... حتى إذا كان بين البئر والعطنِ[٩]

---

(١) الرُّكبان: مفردها رَكْب، وهم العشرة فما فوق من الإبل المحمَّلة خلال السفر.
(٢) الصَّبوح: طعام الصباح وشرابه.
(٣) النعمة: النعيم.
(٤) الشِّواء: ما يهيأ للشوي من اللّحم.
(٥) رانت الخمر: غلبت.
(٦) النديم: الشريك في شرب الخمر.
(٧) السَّوءة: ما يقبح ويحرم كشفه، ويقال أيضاً العورة.
(٨) السوءاء: الخصلة القبيحة.
(٩) العَطَن: المكان الذي تبرك فيه الإبل حول الماء.

لاقى لدى ثُلَل[١] الأطواء[٢] داهيةً أسرَتْ[٣] وأكدر تحت الليل في قَرَنِ[٤]
حطّت به شيمةٌ[٥] وَرهاءُ[٦] تطرده حتى تناهى إلى الحولات[٧] في السَّنَنِ
إلى مُقابل خَطو الساعدَين له فوق السَّراة كذِفرى[٨] الفالج[٩] القَمِنِ[١٠]
رئبالِ[١١] غابٍ فلا قَحمٌ[١٢] ولا ضرعٌ كالبغل يحتطم العِلجين في شطَنِ[١٣]

[البسيط]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. فلامه قومه على كثرة وصفه للأَسد، وقالوا له: قد خِفنا أَن تسُبَّنا العربُ بوصفك له. قال: لو رأيتم منه ما رأيت أَو لقيكم ما لقي أكدر لما لمتموني. ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات.

أَخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أَبو سعيدٍ السكَّري قال حدثني هارون بن مُسلم بن سَعدان أَبو القاسم قال حدثنا هشامُ بن الكلبيّ قال: كان الأجلح الكنديُّ يحدّث عن عمارة بن قابوس قال:

لقيتُ أَبا زُبَيد الطائي فقلت له: يا أَبا زبيد هل أَتيت النعمان بن المنذر؟ قال إي واللَّه لقد أتيته وجالسته. قال: قلت: فصِفه لي. فقال: كان أَحمر أزرق أبرَش قصيراً. فقلت له: باللَّه أخبرني أيَسرُّك أنه سمع مقالتك هذه وأَنَّ لك حُمرَ النَّعَم؟ قال: لا واللَّه ولا سودَها؛ فقد رأيت ملوك حِمير في مُلكها، ورأيتُ ملوك غسَّان في ملكها، فما رأيت أَحداً قط كان أَشدَّ عزّاً منه. وكان ظهرُ الكوفة يُنبت الشقائق، فحمى ذلك المكان فنُسب إليه فقيل: «شقائق النعمان».

فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطَّير، وكأنه باز. فقام رجل من الناس فقال له: أبيت اللعن! أعطني فإني مُحتاج. فتأمّله طويلاً ثم أمر به

---

(١) الثُّلَل: مفردها ثلّة، وهو ما يخرج من تراب البِئر.
(٢) الأطواء: مفردها الطويّ، وهو البئر المغطّاة بالحجارة والتراب.
(٣) أسرَت: سارت في الليل.
(٤) القَرَن: الحبل الذي يقرن به بعيران في آنٍ معاً.
(٥) الشيمة: الطبيعة والعادة.
(٦) الورهاء: الحمقاء.
(٧) الحولات: مفردها حُولة وهي الداهية.
(٨) الذِّفرى: العظم الذي خلف الأذن وهو أوّل ما يعرق من البعير.
(٩) الفالج: البعير ذو السنامين.
(١٠) القَمِن: الشديد السرعة في العدو.
(١١) الرِّئبال: الأسد، والذئب.
(١٢) القَحم: الذي يرمي بنفسه في الأمر فجأة بلا رويّة.
(١٣) الشَّطَن: الحبل الطويل. جمعها أشطان.

فأُدني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص[١] فجعل يَجأُ[٢] بها في وجهه حتى سمعنا قرعَ العظام، وخُضبت لحيته وصدره بالدم، ثم أمر به فنُحِّي. ومكثنا مليّاً.

ثم نهض آخر فقال له: أبيت اللَّعن! أعطني. فتأمّله ساعةً ثم قال: أَعطوه ألف درهم، فأخذها وانطلق.

ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه، فقال: ما قولكم في رجلٍ أَزرقَ أَحمر يُذبح على هذه الأكَمَة، أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أَنت ـ أَبيتَ اللَّعن ـ أعلى برأيك عَيناً. فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذُبح.

ثم قال: أَلا تسألوني عما صنعتُ؟ فقلنا: ومن يسألك ـ أبيتَ اللعن ـ عن أمرك وما تصنع؟ فقال:

أَمَّا الأوّل فإِني خرجتُ مع أبي نتصيّد، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن، فتناولته لأشرب منه، فثار إليَّ فهراق الإِناء فملأ وجهي وصدري، فأعطيتُ اللَّه عهداً لئن أمكنني منه لأخضبنَّ لحيته وصدره من دم وجهه.

وأما الآخر فكانت له عندي يدٌ كافأته بها ولم أكن أُثبته[٣]، فتأمّلته حتى عرفته.

وأَمَّا الذي ذبحته فإِنّ عيناً لي بالشام كتب إليّ: إِنَّ جبلة بن الأيهم قد بعث إليك برجل صِفته كذا وكذا ليغتالك. فطلبته أياماً فلم أقدِر عليه، حتى كان اليوم.

مات نديم في غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره:

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال:

كان لأبي زبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة، فغاب أَبو زبيد غيبةً، ثم رجع فأخبر بوفاته، فعدل إلى قبره قبل دخوله منزله، فوقف عليه ثم قال:

يا هاجري إذ جئتُ زائرَهُ ... ما كان من عاداتك الهجرُ

يا صاحب القبر السلام على ... مَن حال دون لقائه القبرُ

[الكامل]

ثم انصرف. وكان بعد ذلك يجيءُ إلى قبره فيشرب عنده ويصبُّ الشراب على قبره.

---

(١) المشاقِص: مفردها مِشقص، وهو النَّصل العريض.

(٢) يجأ: يضرب ويلطم.

(٣) أُثبتُ: أعرف حق المعرفة.

والأَبيات التي فيها الغناءُ المذكور يقولها في غلامٍ له قتلته تغلب، وكان مُجاوراً فيهم، فدلّ بَهراء على عورتهم وقاتلهم معهم فقُتِل.

أَخبرني بخبره أَبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام. وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد اللَّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان أخوال أبي زبيد بني تغلب، وكان يقيم فيهم أكثر أَيامه، وكان له غلام يرعى إبله، فغزتْ بَهراء بني تغلب، فمرّوا بغلامه، فدفع إليهم إبلَ أَبي زبيد وقال: انطلقوا أَدُلّكم على عَورة القوم وأقاتل معكم. ففعلوا، والتَقوْا، فهُزمت بهراءُ وقُتِل الغلام، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي:

هل كنتَ في منظرٍ ومُستمع ... عن نَصر بَهراء غير ذي فرَسِ
تسمى إلى فتية الأراقم واسـ ... ـتعجلت قبل الجمان والقبس
في عارضٍ من جبال بهرائها الـ ... ـأولىٰ مرَين[1] الحروب عن دُرَسٍ[2]
فبهرةٌ مَن لَقُوا حسِبتَهمُ ... أحلى وأشهى من بارد الدِّبس[3]
لا تِرة[4] عندهم فتطلبها ... ولا هُمُ نُهزة لمختلس
جُودٌ كرام إذا هُم نُدِبوا ... غيرُ لئامٍ ضُجرٍ ولا كُسُسِ[5]
صُمتٌ عظامُ الحلوم إن قعدوا ... عن غير عِيٍّ بهم ولا خرَس
تَقود أَفراسهم نساؤهُمُ ... يُزُجون أجمالهم مع الغلس[6]
صادفتَ لمَّا خرجتَ مُنطلقاً ... جَهمَ المُحيَّا كباسلٍ شرس
تخالُ في كفِّه مثقَّفةً ... تلمع فيها كشعلة القبس
بكفّ حرَّان ثائرٍ بدمٍ ... طلَّاب وِترٍ في الموت مُنغمس
إمَّا تقارَن بك الرماح فلا ... أبكيك إلَّا للدَّلو والمرس
حَمِدتَ أَمري ولمت أمرك إذ ... أمك جَلزُ السِّنان بالنفَس

---

(١) مَرَين الحروب: حلبنها، وهذا كناية عن أنهم تمرّسوا بالحرب وكيفية خوضها.
(٢) دُرَس: مفردها دُرسة، وهي التدرُّب والرِّياضة.
(٣) الدِّبس: عصارة التمر وخلاصته.
(٤) التِّرة: الأذى أو الظلم.
(٥) كُسس: مفردها أَكَسّ، وهو الخارج الأسنان السفلى على الحنك الأسفل.
(٦) الغَلَس: ظلمة آخر اللّيل.

وقد تصلَّيتَ حَرّ نارهم كما تصلَّى المقرور[١] من قرَس[٢]
تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمق طيراً عكوفاً كزُوَّر[٣] العُرُس[٤]
عما قليلٍ علون جُثَّته فهنّ من والغ[٥] ومنتهس[٦]
[المنسرح]

فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدِية غلامه وما ذهب من إبله، فقال في ذلك:

أَلا أبلغ بني عمرٍو رسولاً فإنّي في مودّتكم نَفيسُ
[الوافر]

هكذا ذكر ابن سلَّام في خبره، والقصيدة لا تدُلُّ على أنها قِيلت فيمن أحسن إليه وودَى غلامه وردّ عليه ماله. وفي رواية ابن حبيب:

ألا أبلغ بني نصر بن عمرٍو

وقوله أيضاً فيها:

فما أَنا بالضعيف فتظلموني ولا جافي اللقاء ولا خسيسُ[٧]
أفي حقٍّ مواساتي أخاكم بمالي ثم يظلمني السريسُ[٨]
[الوافر]

ـ السريس: الضعيف الذي لا ولد له ـ وهذا ليس من ذلك الجنس. ولعل ابن سلَّام وهِم.

وأبو زبيد أَحد المعمَّرين، ذكر ابن الكلبيّ أَنه عمّر مائة وخمسين سنة.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أَبيه عن ابن الكلبيّ عن أَبيه قال: كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبراً.

كان يدخل مكة متنكراً لجماله:

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد اللَّه بن عمَّار قالا حدثنا

(١) المقرور: المصاب بالقرّ، وهو شدة البرد أي الذي أصابه البَرد.
(٢) القَرَس: البرد الشديد. (٣) الزُوَّر: مفردها زائر.
(٤) العُرُس: طعام الوليمة.
(٥) الوالغ: الشارب بطرف لسانه، أو هو الذي يلعق الماء بلسانه فيحركه.
(٦) المُنتهِس: الذي ينتهس اللحم وينتفه بأطراف أسنانه.
(٧) خسيس: دنيء حقير. (٨) السريس: العنِّين، الذي لا يأتي النِّساء.

محمد بن عبد اللَّه العبديُّ أبو بكرة قال حدثني أَبو مِسعرٍ الجُشَميّ عن ابن الكلبيّ قال: كان أَبو زبيد الطائي ممَّن إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله.

وأَخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن مسلم قال:

لما صار الوليد بن عقبة إلى الرَّقَّة واْعتزل عليّاً عليه السلام ومعاوية. صار أَبو زبيد إليه، فكان ينادمه، وكان يُحمل في كل أَحدٍ إلى البِيعة مع النصارى. فبينا هو يوم أَحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال:

إذا جعل المرءُ الذي كان حازماً ... يحلُّ به حلَّ الحُوار[1] ويحملُ
فليس له في العيش خيرٌ يريده ... وتكفينُه مَيتاً أعفُّ وأجملُ

[الطويل]

دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه:

ومات فدفن هناك على البليخ[2]. فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أَن يدفن إلى جنب أبي زبيد. وقد قيل: إن أَبا زبيد مات بعد الوليد؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد.

قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه:

هرب أَبو زبيد من الإِسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإِبله فكان يقبِّله[3] حلب الجُمان والقبس، وهما ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أَجيرُ أَبي زبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، فمرّ أَبو زبيد به وهو يجود بنفسه، فقال فيه هذه القصيدة.

أَخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن علي الأبوابيُّ المدائنيّ قالا حدثنا عقبة المِطرفيُّ قال:

كنَّا في الحمام ومعي ابن السعديّ وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرُّواسي فغنَّى:

قد كنت في منظرٍ ومستمعٍ ... عن نصر بهراء غير ذي فرس

[المنسرح]

---

(١) الحوار: هو ولد النَّاقة قبل أن يفصل عنها.
(٢) البليخ: نهر تجتمع فيه المياه من عِدَّة عيون.
(٣) يقبِّله: يكفِّلُه، يوكل إليه.

فقال ابن السعدي: أسكت أسكت! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث.

أَخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثني العمري قال حدثني أحمد بن حاتم قال حدثني محمد بن عمرو الجمَّاز قال حدثني أَبو عبيدة عن يونس وأبي الخطَّاب النحوي: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زبيد بما يصلحه في فصحه وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك. فقال أهله وبنوه لأبي زبيد: قد علمت أَنه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقِّك، فقدِّره لنفسك ما شئت أَن تعيش، وقوّم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أَبو زبيد ذلك، وقبله منهم.

* * *

صـــوت

هَـل تـعـرف الـدار مـن عـامـيـن أو عـامِ ... دارٌ لـهـنـدٍ بـجـزع الـحُـرج فـالـدّامِ

تـحـنـو لأطـلائـهـا عِـيـنٌ مـلـمَّـعـةٌ ... سُـفـعُ الـحـدود بـعـيـدات مـن الـرامـي

[البسيط]

الحرج والدام: موضعان، ويروى «مذ عامين». وهذا الأجود، وكلاهما رُوي، وعِين: بقر. وأطلاؤها: أولادها، واحدها طلا. ويروى: «بعيدات من الذام» هو الذي يذم.

الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق:

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعريّ لما ولَّاه عمرُ بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه العراق. والغناء لمالك، خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر أَنّ فيه لابن جامع أيضاً صنعةً.

قال محمد بن حبيب: أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه، فأخبره أن العدّة قد تمت، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها، وأوَّلها:

هـل تـعـرف الـدار مـن عـامـيـن أو عـامِ ... دار لـهـنـد بـجـزع الـحـرج فـالـدّامِ

وفيها يقول:

وجـحـفـلٍ كـسـواد الـلـيـل مـنـتـجـعٍ ... أرض الـعـدوّ بـبـوسٍ بـعـد إنـعـامِ

جـمـعـتَ مـن عـامـرٍ فـيـه ومـن أسـدٍ ... ومـن تـمـيـم ومـن حـاء ومـن حـامِ

ـ حاء من مذحج، وحام من خثعم ـ

وما رضيتَ لهم حتى رفدتهم ... من وائل رهطِ بسطامٍ بأصرامِ
فيه الرماح وفيه كلّ سابغة ... جدلاءَ مُحكمةٍ من نسج سلَّامِ

ـ يعني سليمان النبي ـ

وكلّ أجرَد كالسرحان أضمره ... مسحُ الأكفّ وسقيٌّ بعد إطعامِ
مستحقباتٍ[1] رواياها حجافلها ... يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ

ـ الروايا: الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم، وتجنب الخيل إليها فتضع جحافلها[2] على أعجاز الإبل ـ

لا يزجُر الطَّيرَ إن مرَّت به سُنُحاً[3] ... ولا يفيض على قِدحٍ بأزلامِ[4]

[البسيط]

وقال المدائني: لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي اللَّه عنه بهذه القصيدة وصله أَبو موسى ـ وقد كان كتب من أراد وكملت العدَّة ـ فبلغ ذلك عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه فكتب يلومه، فكتب إليه: إني اشتريت منه عِرضي، فكتب إليه: أحسنتَ. قال: وزاد فيه حمَّاد الراوية أَنه ـ يعني نفسه ـ أنشدها بلالَ بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله.

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلَّام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال:

قدِم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُردة وهو عليها فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حمَّاد! فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى، فقال له ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أَذِعها تذهب في الناس.

وكانت ولاية أَبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها. وتحالفوا ألَّا يُوَلُّوا عليها إلا من يريدون.

أَخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدثني عمر بن شبَّة قال حدثنا المدائني عن أَبي مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال:

---

(١) مستحقبات: جعله كالحقيبة، أي مشدودات في مؤخر الرّحل وجعله على ظهره.
(٢) الجحافل: مفردها جحفلة، وهي بمنزلة الشّفة للخيل والبِغال والحمير.
(٣) السُّنُح: اليُمن والبَرَكَة.
(٤) الأزلام: مفردها زلم، وهو القدح الذي يُعَدُّ للاستقسام.

كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه، فتذاكروا يوماً السهل والجبل، فقال حسان بن محدوج: سهلنا خير من جبلنا: أكثر بُرّاً وشعيراً، فيه أنهارٌ مطَّردة، ونخل باسقات[1]، وقلَّت فاكهةٌ يُنبتها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم، ودِدت أنه للأمير وأنَّ لكم أفضل منه. فقال الأشتر: تمنّ للأمير أفضل ولا تتقرّب إليه بأموالنا، فقال: ما ضرَّك ذلك. واللَّه لو يشاء أن يكون له لكان. قال: كذبت واللَّه لو أراد ذلك ما قدر عليه. فقال سعيد: واللَّه ما السواد إلا بستانٌ لقريش، ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركنا. فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أصلحك اللَّه وهذا من مركز رماحنا وفيئنا! ثم ضربوا عبد الرحمن بن حبيش حتى سقط.

قال المدائني فحدّثني عليّ بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبيّ قال: بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزبداً إذ قال سعيد: السواد بستان قريش، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا. فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدق الأمير. فوثب عليه القرّاء فضربوه، وقالوا له: يا عدوّ اللَّه، يقول الباطل وتصدقه! فقال سعيد: اخرجوا من داري، فخرجوا، فلما أصبحوا أتوا المسجد فداروا على الحِلَق فقالوا: إن أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا، فواللَّه ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا.

فكتب سعيد إلى عثمان رضي اللَّه عنه: إنَّ قِبَلي قوماً يُدعَون القرَّاء وهم السفهاء، وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واْستخفوا بي. منهم عمرو بن زرارة، وكُتيل بن زياد، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة، وشريح بن أوفى، ويزيد بن المكفَّف، وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجُندب بن عبد اللَّه.

فكتب إليهم عثمان رضي اللَّه عنه يأمرهم أَن يخرجوا إلى الشام ويغزوا مغزيَهم. وكتب إلى سعيد: قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإِني أراهم لا يخالفون إن شاء اللَّه؛ واتق اللَّه جلّ وعز وأحسن السيرة.

فأقرأهم الكتاب، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال: إنكم قدِمتم بلداً لا يعرف أهله إلا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكّ قلوبهم. فقال له الأشتر: إن اللَّه جل وعزّ قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبينوه للناس

(١) باسِقَات: طويلات.

ولا يكتموه. فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه. فقال: قد خفت أَن تكونوا مُرصدين للفتنة، فاتقوا اللَّه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. فقال عمرو بن زرارة: نحن الذين هدى اللَّه. فأمر معاوية بحبسهم. فقال له زيد بن صُوحان: إن الذين أشخصونا إليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا. فأحسنوا جِوارنا، وإن كنا ظالمين فنستغفر اللَّه، وإن كنا مظلومين فنسأل اللَّه العافية. فقال له معاوية: إني لا أرى حبسك أمراً صالحاً، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت. قال: حسبي أن تأذن لي وتكتب إلى سعيد. فكتب إليه، فأذن له، فلما أراد زيد الشخوص كلَّمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما. وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه؛ ثم أشخصهم معاوية إلى حِمص، فكانوا بها، حتى أجمع أهل الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا.

قال أبو زيد قال المدائني حدثني الوقاصي عن الزُّهري:

إن أَهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم: أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه. ففعل، فلم يحققوا عليه شيئاً إلا قوله: «السواد بستان قريش»، وأثنى الآخرون عليه. فقال عثمان: أرى أصحابكم يسألون إقراره، ولم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة، لم ينتهك بها لأحد حرمةً. ولا أرى عزله إلا أَن تُثبتوا عليه ما لا يحلّ لأحد تركه معه. فانصرفوا إلى مصركم. فرجع سعيدٌ والفريقان معه، وتقدّمهم عليّ بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال: يا أهل الكوفة إنا أَتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا، فردّه إلينا وهو يزعم أَن السواد بستان له. وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم. فقالوا: لا نرضى.

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي اللَّه عنهما، وذكر عثمان رضي اللَّه عنه، فحرّض عليه ثم قال: من كان يرى أَن للَّه جل وعز حقّاً فليصبح بالجرَعة، ثم قال لكمَيل بن زياد: انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطيم، فأخرجه. واستعمل أهلُ الكوفة أَبا موسى الأشعري.

أَخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عفَّان قال حدثنا أَبو مِحصَنٍ قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جُهَيمٌ قال:

أنا شاهد للأمر، قالوا لعثمان: إنك استعملت أقاربك. قال: فليقم أهلُ كلّ

مصر فليسلموا صاحبهم. فقام أهل الكوفة فقالوا: اعزل عنا سعيداً واستعمل علينا أَبا موسى الأشعري. ففعل.

قال أَبو زيدٍ: وكان سعيدٌ قد أَبغضه أَهل الكوفة لأمور: منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطَّه سعيد إلى مائة مائة. فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيداً وتثني على سعد بن أَبي وقَّاص:

فليتَ أبا إسحاق كان أميرَنا ... وليت سعيداً كان أولَ هالكِ
يُحطِّطُ أشراف النساء ويتقي ... بأبنائهنّ مُرهَفات النَّيازكِ[1]

[الطويل]

حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالا حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأَخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا أَبو داود قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أَبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيش قال: بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين. قال: فأتيت عليّاً فأخبرته، فقال: لشدّ ما تحظُر بنو أمية تراث محمد ﷺ. أَما واللَّه لئن وليتها لأنفضنَّها نفض القصَّاب[2] لتراب الوذَمة[3].

قال أَبو جعفر: هذا غلط إنما هو لِوذام التربة.

قال أبو زيد وحدثني عبد اللَّه بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال: بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ إلى علي بن أَبي طالب عليه السلام؛ فقال: واللَّه لا يزال غلامٌ من غِلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاءَ اللَّه على رسوله بمثل قوت الأرملة، واللَّهِ لئن بقيتُ لأنفضنَّها نفضَ القصَّاب لوذام التربة. هكذا في هذه الرواية.

صوت

رُبَّ وَعدٍ منكِ لا أَنساه لي ... أَوجَب الشكر وإن لم تفعلي

(١) النَّيازك: مفردها نَيْزك وهو الرمح القصير.
(٢) القصَّاب: الجزّار، والنافخ في القَصَب.
(٣) الوذمة: المِعَى والكَرِش، جمعها وِذام.

أَقـطـعُ الـدَّهـر بـظـنٍّ حـسـنٍ وأُجَـلِّـي غـمـرةً مـا تـنـجـلـي
كـلَّـمـا أَمّـلـتُ يـومـاً صـالـحـاً عـرَض الـمـكـروه لـي فـي أَمـلـي
وأَرى الأيـام لا تُـدنـي الـذي أَرتـجـي مـنـك وتُـدنـي أَجَـلـي

[الرمل]

عروضه من الرمل؛ الشعر لمحمد بن أمية، والغناء لأبي حشيشة، رملٌ طنبوري وفيه لحن لحسين بن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن أَبي عبد اللَّه الهشامي.

أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يغنّى فيه من شعرهما

نسب محمد بن أمية:

سألتُ أحمد بن جعفرٍ جحظة عن نسبه قلتُ له: إنَّ الناس يقولون ابن أميَّة وابنُ أَبي أمية؛ فقال: هو محمد بن أمية بن أبي أمية.

منادمته إبراهيم بن المهدي:

قال: وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً، وكان يُنادم إبراهيم بن المهدي، وربما عاشر علي بن هشام، إلَّا أَنَّ ٱنقطاعه كان إلى إبراهيم، وربما كتب بين يديه. وكان حسن الخط والبيان. وكان أمية بن أبي أمية يكتب للمهدي على بيت المال. وكان إليه ختم الكتب بحضرته، وكان يأنس به لأدبه وفضله، ومكانه من ولائه، فزامله أربع دفعاتٍ حجها في ابتدائه ورجوعه.

قال جحظة: وحدثني بذلك أَبو حشيشة.

وحدثني جحظة أَيضاً قال حدثني أَبو حشيشة عن محمد بن علي بن أمية قال حدثني عمي محمد بن أمية قال:

كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي فدخل إليه أَبو العتاهية وقد تنسّك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلَّا في الزُّهد، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به، وأقبل عليه بوجهه وحديثه؛ فقال له أَبو العتاهية؛ أيُّها الأمير بلغني خبرُ فتًى في ناحيتك ومن مواليك يُعرَف بابن أمية يقول الشعر، وأنشدتُ له شعراً أعجبني، فما فعل؟ قال: فضحك إبراهيم ثم قال: لعله أقربُ الحاضرين مجلساً منك. فالتفت إليّ فقال لي: أنت هو فديَتك؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له: أنا محمد بن أمية جُعلت فداءك! وأمَّا الشعر فإنما أَنا شابٌّ أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ؛ فقال لي: فديتك، ذلك واللَّه زمان الشعر وإبَّانه، وما قيل فيه فهو غُرره وعيونه، وما قَصُر من

(١) تشوَّرت: إستحييت.

الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ إليه أبلغ وأَملح. وما زال ينشِّطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنِست به، ثم قال لإِبراهيم بن المهدي: إن رأى الأمير ـ أكرمه اللَّه ـ أَن يأمره بإِنشادي ما حضر من الشعر. فقال لي إبراهيم: بحياتي يا محمد أنشده. فأنشدته:

رُبَّ وعـد مـنـك لا أَنـسـاه لـي ... أوجـب الـشـكـر وإن لـم تـفـعـلـي

[الرمل]

وذكر الأبيات الأربعة. قال: فبكى أَبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يردّد البيت الأخير منها وينتحب، وقام فخرج وهو يردّده ويبكي حتى خرج إلى الباب.

أشعاره بخداع جارية خال المعتصم:

أَخبرني عمي قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثنا محمد بن علي بن أمية قال:

كان عمي محمد بن أمية يهوى جاريةً مغنِّية يقال لها خِداع كانت لبعض جواري خال المعتصم، فكان يدعوها، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها اتّباعاً لمسرّته. وأراد المعتصم الخروج والتأهُّب للغزو، وأَمر الناس جميعاً بالخروج والتأهُّب، فدعاه بعض إخوانه قبل خروجهم بيوم، فلما أَضحى النهار جاء من المطر أَمرٌ عظيم لم يقدر معه أَحد أَن يُطلعَ رأسه من داره، فكاد محمد أَن يموت غمّاً، فكتب إلى صديقه الذي دعاه وقد كان ركب إليه ثم رجع لشدّة المطر، ولم يقدِر على لقائه:

تـمـادى الـقـطـر وانـقـطـع الـسـبـيـل ... مـن الإِلـفـيـن إذ جـرت الـسـيـولُ

عـلـى أَنـي ركـبـتُ إلـيـك شـوقـاً ... ووجـه الأرض أوديـةٌ تـجـولُ

وكـان الـشـوقُ يـقـدُمُـنـي دلـيـلاً ... ولـلـمـشـتـاق مـعـتـزِمـاً دلـيـلُ

فـلـم أَجـد الـسـبـيـل إلـى حـبـيـبٍ ... أودِّعـه وقـد أَفِـد[1] الـرحـيـلُ

وأَرسـلـتُ الـرسـول فـغـاب عـنـي ... فـيـالَـلَّـهِ مـا فـعـل الـرسـولُ!

[الوافر]

وقال في ذلك أَيضاً:

مـجـلـس يُـشـفـى بـه الـوطـرُ ... عـاق عـنـه الـغـيـمُ والـمـطـرُ

(١) أفِدَ الرحيل: أزِفَ أي دنا.

رَبِّ خذلي منهما فهما رحمةٌ عمت ولي ضررُ
ما على مولايَ مَعتبةٌ[١] عذره بادٍ ومستترُ
شُغِلتْ عيني بعبرتها واستمالت قلبيَ الفِكَرُ
[المديد]

قال: ثم بيعت خِداع هذه فٱشتراها بعض ولد المهدي وكان ينزل شارع الميدان، فحجبت عنه وٱنقطع ما بينهما إلّا مكاتبةً ومُراسلةً.

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها:

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ هِجنَ شوقي لا دارساتُ[٢] الطُّلولِ[٣]
حُجِبتْ أَن تُرى فلستُ أَراها وأَرى أَهلها بكل سبيلِ
وإذا جاءها الرسولُ رآها ليتَ عيني مكان عين الرسولِ
قد أَتاك الرسول ينعتُ ما بي فاسمعي منه ما يقول وقولي
[الخفيف]

وقال فيها أيضاً:

بناحية الميدان دربٌ لو ٱنَّني أسمِّيه لم أرشد وإن كان مُفسدي
أَخاف على سكانه قول حاسدٍ يشير إليهم بالجفون وباليدِ
وصائفُ[٤] أَبكارٌ وعُونٌ[٥] نواطقٌ بألسنةٍ تشفي جوى[٦] الهائم الصَّدي
يُقاربن أَهلَ الودّ بالقول في الهوى وما النجم من معروفهن بأَبعدِ
يزِدنا أَخا الدنيا مُجوناً وفتنة ويَشغفن قلب الناسك المتعبِّدِ
وليلة وافى النوم طيف سَرَى به إليَّ الهوى منهنّ بعد تجرُّدِ
فقاسمته الأشجان نِصفين بيننا وأوردته من لوعة الحبّ مَوردي
ونِلتُ الذي أمَّلتُ بعد تمنُّع وعاهدته عهد امرئ متوكِّدِ
فلما ٱفترقنا خاس بالعهد[٧] بيننا وأَعرضَ إعراض العروس من الغدِ

(١) مَعتَبة: السخط والموجدة وعدم الرضا.
(٢) دارسات: باليات.
(٣) الطُّلول: مفردها الطّلَل، وهو الشاخص من آثار الدار.
(٤) الوصائف: مفردها وصيفة، وهي الجارية دون سن المراهقة.
(٥) العون: مفردها عِوان، وهي المرأة النصف.
(٦) الجوى: الهوى الباطن/ الحزن والحُرقة. (٧) خاس بالعهد: أخلفه وخانه.

فـوا نـدمـاً أَلا أَكـون ٱرتـهـنـتـه لأخـبـره فـي حـفـظ عـهـدٍ ومـوعـدِ
[الطويل]

إعجاب أبي العتاهية بشعره:

أَخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال: قال لي محمد بن أَبي العتاهية:

سمع أَبي يوماً مخارقاً يغنّي:

أحـبُّـكِ حُـبّـاً لـو يُـفَـضُّ يـسـيـرُهُ على الخَلق مات الخلقُ من شدَّة الحبِّ
وأَعـلـم أنّـي بـعـد ذاك مـقـصِّـرٌ لأنَّـكِ فـي أعـلـى الـمـراتـب مـن قـلـبـي
[الطويل]

فطرب ثم قال له: من يقول هذا يا أَبا المُهنأ؟ قال: فتى من الكتَّاب يخدم الأمير إبراهيم بن المهدي. فقال: تعني محمد بن أمية؟ قال: نعم. قال: أَحسن واللَّه، وما يزال يأتي بالشيء المليح يبدو له.

أَخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أَبي طاهرٍ قال حدثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال:

مزاحه مع مسلم بن الوليد:

لقي أخي محمد بن أُمية مُسلمَ بن الوليد وهو يمشي وطويلته[١] مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له: قد حضرني شيءٌ؛ فقال: هاته؛ فقال: على أنه مِزاح لا يُغضبُ منه؛ قال: هاته ولو أنه شتم. فقال:

مَـن رأى فـيـمـا خـلَا رجُـلاً تِـيـهـه يُـربـي عـلـى جِـدَتِـهْ[٢]
يَـتـبـاهـى راجـلاً ولـه شـاكـريٌّ[٣] فـي قُـلَـنـسـيَـتِـهْ[٤]
[المديد]

فسكت عنه مسلمٌ ولم يجبه، وضحك منه محمدٌ وافترقا.

مداعبة مسلم له حين نفق برذونه:

قال: وكان لمحمد بن أُمية بِرذَون يركبه، فلقيه مسلم وهو راجلٌ فقال: ما فعل

---

(١) الطويلة: القلنسوة، سمَّاها بصفتها لأنها بيّنة واضحة.
(٢) الجِدة: الاستغناء. (٣) الشاكري: المستخدم والأجير.
(٤) قلنسيته: القلنسوة والقلنسية ما يوضع على الرأس فيغطيه.

بِرذَونك؟ قال: نفق. قال: الحمد للَّه، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا. ثم قال مسلم:

قل لابن ميٍّ لا تكن جازعاً ... لن يرجع البرذون باللَّيتِ[1]
طامَنَ[2] أحشاءَك فِقدانُه ... وكنت فيه عاليَ الصَّوتِ
وكنت لا تنزل عن ظهره ... ولو من الحُشّ[3] إلى البيتِ
ما مات من حتف ولكنه ... مات من الشوق إلى الموتِ

[السريع]

تعلقه بإحدى الجواري:

أَخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال حدثني حسين بن الضحَّاك قال:

دخلت أنا ومحمد بن أُمية منزل نخَّاس بالرَّقة أَيام الرشيد وعنده جاريةٌ تغنّي فوقعت عينها على محمد، ووقعت عينه عليها، فقال لها: يا جارية، أتغنِّين هذا الصوت:

خبّريني مَنِ الرسول إليكِ ... وأجعليه من لا ينمُّ عليكِ
وأشيري إليّ من هو باللَّحـ ... ـظ ليخفى على الذين لديكِ
وأقلّي المُزاح في المجلس اليو ... م فإن المزاح بين يديكِ

[الخفيف]

فقالت له: ما أعرفه، وأشارت إلى خادم كان على رأسها واقفاً. فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما. قال: والشعر لمحمد بن أمية.

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامكة قال:

كنت عند إبراهيم بن المهدي، وقد اصطحبنا[4] وعنده عمرو بن بانة، وعبيد اللَّه بن أَبي غسَّان، ومحمد بن عمرو الرومي، وعمرو الغزَّال، ونحن في أطيب ما كنا عليه إذ غنَّى عمرو الغزَّال، وكان إبراهيم بن المهدي يستثقله، إلا أَنه كان

(١) اللَّيت: قول ليت، كناية عن التمني. (٢) طامَنَ: سكَّن.
(٣) الحُشّ: يكنى به عن بيت الخلاء، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، جمعها: حشوش وحُشُون.
(٤) إصطبحنا: أكلنا طعام الصباح وشربنا الصبوح.

يتخفَّف بين يديه ويقصده، ويبلغه عنه تقديمٌ له وعصبيَّة، فكان يحتمل ذاك منه، فاندفع عمرٌو الغزال، فتغنَّى في شعر محمد بن أمية:

ما تمّ لي يوم سرورٍ بمنْ أهواه مُذ كنتُ إلى اللَّيلِ
أغبط ما كنت بما نلته منه أتتني الرسل بالويلِ
لا والذي يعلم كل الذي أقول ذي العزَّة والطَّولِ
ما رُمتُ مذ كنت لكم سخطة بالغيب في فعل ولا قَولِ

[السريع]

قال: فتطيّر إبراهيم، ووضع القدح من يده، وقال: أعوذ باللَّه من شر ما قلت. فواللَّه ما سكت ـ وأَخذنا نتلافى إبراهيم ـ إذ أَتى حاجبه يعدو فقال: ما لك؟ فقال: خرج الساعة مسرورٌ من دار أَمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى، فلم يلبث أَن خرج ورأسه بين يديه وقبض على أَبيه وإخوته. فقال إبراهيم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ارفع يا غلام ارفع. فرفع ما كان بين أيدينا، وتفرقنا فما رأيت عمراً بعدها في داره.

كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب:

أَخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى بن بُسخنّر قال:

كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرَّقة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أمية في يوم من حزيران، فلما هممنا بذلك هبَّت الجَنوب، وتلطَّخت السماء بغيم، وتكدّر ذلك اليوم، فترك إبراهيم بن المهدي الشُّربَ ولحقه صُداع، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب، فٱفترقنا؛ فقال لي محمد بن أمية: ما أَحَبَّ إليَّ ما كرِهتموه من الجنوب! فإِن أَنشدتُك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم؟ قلت: نعم. فأنشدني:

إنَّ الجنوب[1] إذا هبَّت وجدت لها طيباً يذكِّرني الفردوس إن نفحَا
لمَّا أَتَتْ بنسيم منكِ أعرفه شوقاً تنفَّستُ وٱستقبلتها فرِحَا

[البسيط]

فٱنصرفت معه إلى منزله، وغنَّيت في هذين البيتين وشرِبنا عليهما بقيَّة يومنا.

(١) الجنوب: الريح الآتية من جهة الجنوب.

ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع:

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسنادٍ: أهدَتْ جاريةٌ يقال لها خداع إلى محمد بن أُمية ـ وكان يهواها ـ تفاحةً مُفَلَّجة[1] منقوشةً مطيَّبةً حسنةً، فكتب إليها محمد:

خِداع أهديتِ لنا خُدعةً ... تُفَّاحةً طيبة النَّشرِ
ما زلتُ أرجوك وأخشى الهوى ... مُعتصماً باللَّه والصبرِ
حتى أتتني منك في ساعةٍ ... زحزحتِ الأحزان عن صدري
حشوتِها مِسكاً ونَقَّشتها ... ونَقشُ كفيكِ من السِّحرِ
سَقياً لها تفاحةً أُهدِيَت ... لو لم تكن من خُدَع الدهرِ

[السريع]

التقى بجارية يهواها:

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد اللَّه بن جعفر اليقطيني قال حدثني أَبي جعفر بن علي بن يقطين قال:

كنت أَسير أَنا ومحمد بن أمية في شارع المَيدان، فاستقبلتنا جاريةٌ ـ كان محمدٌ يهواها ثم بيعتْ ـ وهي راكبةٌ، فكلَّمها، فأجابته بجواب أخفَته فلم يفهمه، فأقبل عليّ وقد تغيَّر لونه فقال:

يا جعفر بن علي وابن يقطينِ ... أليس دون الذي لاقيت يكفيني
هذا الذي لم تزل نفسي تخوّفني ... منها فأين الذي كانت تُمنِّيني
خاطرتُ إذ أقبلتْ نحوي وقلت لها ... تفديكِ نفسي فداءً غير ممنونِ
فخاطبتني بما أخفته فانصرفت ... نفسي بظنَّين مخشيٍّ ومأمونِ

[البسيط]

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثني أَبي قال:

كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رُقعة لا أعلم ممن هي، فقرأها وتبسَّم ثم إنه أقبل عليَّ وأنشد:

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ ... وفِطنةُ شاعرٍ عند الجوابِ

[الوافر]

---

(١) مُفَلَّجه: مقسَّمة إلى أجزاء.

ثم أقبل عليّ فقال: من يقول هذا يا يزيد؟ فقلت: محمد بن أمية يا أَمير المؤمنين. فضحك وقال: كأنه واللَّه يصفُ ما في هذه الرُّقعة.

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال:

كنت أَنا وابن قنبر عند محمد بن أُميَّة بعقِب بَيع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحقه عليها ولَهٌ[1] كالجنون، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه عليّ بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال:

لو كنتَ جرَّبت الهوى يا ابن قَنبرٍ ... كوصفك إياه لألهاك عن عذْلي
أَنا وأَخي الأدنى وأَنت لها الفدا ... وإن لم تكونا في مودّتها مثلي
أأن حُجبتْ عني أجود لغيرها ... بودّي وهل يُغري المحبَّ سوى البخلِ
أسَرّ بأن قالوا تضنّ بودّها ... عليك ومن ذا سُرّ بالبخل من قبلي

[الطويل]

قال: فضحك ابن قنبر، وقال: إذا كان الأمر هكذا فكن أَنت الفداء لها، وإن ساعدك أخوك فاتَّفقا على ذلك، وأما أَنا فلست أنشط لأن أساعدك على هذا. وٱفترقنا.

قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً:

أَخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزَوَّر لمحمد بن أمية في جارية كان يهواها، وقطع الصوم بينهما، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خُرَيمٍ المرّيَّ:

قفا فابكيا إن كنتما تجدانِ ... كوجدي وإن لم تبكيا فدَعاني
ففي الدَّمع ما تُضمر النفس راحةٌ ... إذا لم أطِق إظهاره بلساني
أَغَصُّ بأسراري إذا ما لقيتها ... فأُبْهَتُ مشدوهاً أعضُّ بناني
فيا ابن خُرَيم يا أخي دون إخوتي ... ومن هو لي مثلي بكل مكانِ
تأمّل أحظِّي من خداع وحُبِّها ... سوى خُدَع تُذكي الهوى وأماني
وأصبح شهر الصوم قد حال بيننا ... فيا ليت شوَّالاً أتى بزمانِ

[الطويل]

(١) الوَلَه: ذهاب العقل حُزناً.

شعر له فيها استحسنه ابن المعتز :

أَنشدني جعفر بن قُدامة قال أنشدني عبد اللَّه بن المعتز قال أَنشدني أَبو عبد اللَّه الهشاميُّ لمحمد بن أمية، وفيه غناء لمتيّم، قال واستحسنه عبد اللَّه:

صـــوت

عـجـبـاً عـجـبـتُ لـمـذنـبٍ مـتـغـضِّـبِ ... لـولا قـبـيـحُ فَـعـالـه لـم أعـجـبِ
أَخِـداعُ، طـال عـلـى الـفـراش تـقـلُّـبـي ... وإلـيـكِ طـول تـشـوّقـي وتـطـرّبـي
لـهـفـي عـلـيـكِ ومـا يـردّ تـلـهـفـي ... قـصـرت يـداي وعـزَّ وجـه الـمـطـلـبِ

[الكامل]

الغناء لمتيّم، فيه لحنان: رملٌ عن ابن المعتز، وخفيف رمل عن الهشامي. وهذا من شِعر محمد فيها بعد أَن بيعت. قال: وغنتنا هَزارُ هذا الصوت يومئذٍ.

حدثني عمي قال حدثنا أَحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني شيبة بن هشام قال:

دعانا محمد بن أُمية يوماً ووجَّه إلى جاريةٍ كان يحبها فدعاها، وبعث إلى مولاها يُحدِرها[1] مع رسوله، فأبطأ الرسول حتى ٱنتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال: أخذوا مني الدراهم ثم ردوها عليّ، ورأيتهم مُختلطين، ولهم قصة لم يعرّفونيها، وقالوا: ليست هاهنا فإن عادت بعثنا بها إليكم، فتنغَّص عليه يومه وتغيّر وجهه وتجمَّل لنا؛ ثم بكرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت، فوجم[2] طويلاً، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً. فما أنسى حُرقة بكائه وهو ينشدني:

تـخـطَّـى إلـيَّ الـدهـر مـن بـيـن مـن أرى ... وسـوءُ مـقـاديـرٍ لـهـنَّ شـؤونُ
فـشـتَّـت شـمـلـي دون كـلّ أخـي هـوًى ... وأقـصـدنـي[3] بـل كـلَّـهـم سَـيَـبـيـنُ
ومـهـمـا تـكـن مـن ضـحـكـة بـعـد فـقـدهـا ... فـإنـي وإن أظـهـرتُـهـا لـحـزيـنُ
سـلامٌ عـلـى أيَّـامـنـا قـبـل هـذه ... إذِ الـدار دارٌ والـسـرور فـنـونُ

[الطويل]

(١) يُحدِر: يسرع بالأمر، وهنا يسرع بإرسالها.
(٢) وَجَم طويلاً: سكت على غيظٍ.
(٣) أَقصَدَني: طعنني وأصابني ولم يخطئ التصويب.

قال: ومضتْ على ذلك مدَّةٌ. ثم أَخبرني أَنه ٱجتاز بها، وهي تنظر من وراء شبَّاك، فسلَّم عليها فأومأت بالسلام إليه ودخلت، فقال:

تُطالعني على وجلٍ خِداعُ ... من الشَّبَكِ التي عُملت حديدَا
مطالعتي، قِفي باللَّه حتى ... أزوِّد مقلتي نظراً جديدَا
فقالتْ إن سَها الواشون عنَّا ... رجَونا أن تَعود وأن نعودَا

[الوافر]

وأنشدني أَيضاً في ذلك:

صوت

يا صاحبَ الشَّبَكِ الذي اسـ ... ـتخفى، مكانك غير خافِ
أفما رأيتَ تلدُّدي[1] ... بفِناء قَصرك وٱختلافي
أو ما رحمتَ تخشُّعي[2] ... وتلفُّتي بعد ٱنصرافي

[مجزوء الكامل]

صوت

إنَّ الرجال لهم إليك وسيلةٌ ... إن يأخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبي
وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عَنوةً ... أُقرن إلى سَير الركاب وأُجنَب
ويكون مركبك القعود وجِدجَه ... وابن النعامة يوم ذلك مركبي

[الكامل]

عروضه من الكامل. قال ابن الأعرابي في تفسير قوله:

وابن النعامة يوم ذلك مركبي

ابن النعامة: ظِلّ الإنسان أو الفرس أو غيره. قال جرير:

إذ ظَلّ يحسبُ كلَّ شيءٍ فارساً ... ويرى نعامة ظِلِّه فيحولُ

[الكامل]

يعني بنعامة ظلِّه جسده. وقال أَبو عمرو الشيباني: النعامة ما يلي الأصابع في مقدِّم الرِّجل. يقول: مركبي يومئذٍ رِجلي. وقال الجاحظ: ذكر علماؤنا البصريون: أنَّ

(١) التلدُّد: التحيُّر والتلبُّث في المكان. (٢) التخشُّع: التضرُّع والخضوع.

النعامة اسمُ فرسه. يقول: إني أُشدُّ على ركابي السرج فإذا صار للفرس ـ وهو الذي يُسمَّى النعامة ـ ظلٌّ وأَنا مقرونٌ إليه صار ظله تحتي فكنت راكباً له. وجعل ظلها هاهنا ابنها.

الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة. وقال ابن سلَّام: لخزَزَ بن لوذان. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عنترة، وذلك خطأ. وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلي. والغناء لعزة المَيلاء. وأوَّل لحنها:

لمن الديار عرفتها بالشّربُبِ ذهب الذين بها ولمَّا تذهبِ

[الكامل]

وبعده «إن الرجال».

وطريقته من خفيف الثقيل الأول بالبنصر من روايتي حمَّادٍ وابن المكيّ. وفيه للهذيل خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي. وفيه لعريب خفيف رمل. وفيه لعزَّة المرزوقيَّة لحن. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات. هذا اللّحن لريّق، سلخت لحن «ومخنث شهد الزفاف وقبله» فجعلته لهذا، وهو لحنٌ محرَّك يشبه صنعة ابن سُرَيج وصنعة حكم في محركاتهما، فمن هنا يغلط فيه ويظن أنه قديم الصنعة.

ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء:

أَخبرني الحسين بن يحيى عن جمَّاد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال:

كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثير الزيارة لها، وكان يختار عليها قوله:

لمن الديار عرفتها بالشُّربُبِ

فسألها يوماً زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن ٱستقرّ بها المجلس: يا عزة، أحبُّ أن تغنيني صوتي الذي أَنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرب كل الطرب وسر غاية السرور.

وكانت له جارية، وكان فتى من أَهل المدينة كثيراً ما يعبث بها؛ فأعلمت ابن أَبي عتيق بذلك؛ فقال لها: قولي له: وأنا أُحبُّكَ؛ فإذا قال لك: وكيف لي بك؟ فقولي له: مولاي يخرج غداً إلى مال له، فإذا خرج أدخلتك المنزل. وجمع ابن أَبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء، وأدخلت الجارية الرجل.

وقال لعزة: غني فأعادت الصوت وخرجت الجارية فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها: تعاليْ. فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها فٱعتلَّت[١]، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[٢]، فوثب ابن أَبي عتيق عليه هو وأصحابُه، فقال لهم وهو غير مكترث: يا فسَّاق ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنية!

فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له: ٱستر علينا ستر اللَّه تعالى عليك. فقالت له عزَّة: يا ابن الصدِّيق، ما أظرف هذا لولا فسقه! فاستحيا الرجل فخرج، وبلغه أن ابن أَبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أَن يصير به إلى السلطان. فأقبل يعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها، فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك! قالت: لا. قال: فهيِّئي الرحى وهيئي من الطعام طحين ليلةٍ إلى الغداة. فقالت: أفعلُ يا مولاي. فهيَّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها: عدِيه الليلة فإذا جاء فقولي له: إِن وظيفتي الليلة طحن هذا البر كلِّه ثم ٱخرجي من البيت وٱتركيه. ففعلت، فلما دخل طحنت الجارية قليلاً، ثم قالت له: إِن كفَّتْ الرحى فإِن مولاي جاءٍ إليّ أَو بعض من وكله بي، فاطحن حتى تأمَن أن يجيئنا أحدٌ، ثم أصير إلى قضاء حاجتك.

ففعل الفتى ومضتْ الجارية إلى مولاها وتركته. وقد أمر ابن أَبي عتيق عِدَّة من مولياته أَن يتراوحن على سهر ليلتهنّ ويتفقَّدن أَمر الطحين ويحثثن الفتى عليه كلما أمسك؛ ففعلن وجعلن ينادينه كلما كفَّ: يا فلانة إِن مولاك مستيقظ؛ والساعة يعلم أنك كففتِ عن الطحن، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفَّت عن الطحن. فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهد وتقول: قد استيقظ مولاي. والساعة ينام فأصير إلى ما تحب. فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح. فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت: قد أصبحت فانج بنفسك. فقال: أوقد فعلتها يا عدوّة اللَّه! فخرج تعباً نصباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد اللَّه تعالى ألَّا يعود إلى كلامها، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً يُنكر.

صـــوت

أجَـدَّ الـيـوم جـيـرتُـك ٱحـتـمـالا وحـثَّ حُـداتُـهـم[٣] بـهـمُ عِـجـالَا

(١) اعتلَّت: تَلَهَّت.
(٢) الحَجَلة: بيتٌ يزيّن بالثّياب والأسِرَّة والستور.
(٣) الحُداة: مفردها الحادي، وهو زاجر الإبل وسائقها.

وفـي الأظـعـان[١] آنـسـة لـعـوب[٢] تـرى قـتـلـي بـغـيـر دمٍ حـلالَا

[الوافر]

عروضه من الوافر. الشعر للمتوكل الليثيّ، والغناء لابن مُحرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن مِسجحٍ ثاني ثقيل آخرُ بالخنصر في مجرى البنصر عنه. وذكر حبشٌ أَن هذا اللحن لابن سريجٍ، وفيه لإِسحاق هزج.

* * *

(١) الأظعان: مفردها ظعينة وهي المرأة في الهودج.

(٢) اللَّعوب: المرأة الحسَنَة الدَّل.

نسب المتوكل الليثي وأخباره

هو المتوكل بن عبد اللَّه بن نهشل بن مُسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عَوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزَيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار. من شعراء الإسلام، وهو من أَهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أَبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والقٍ، ويقال عند عكرمة بن رِبعي الذي يقال له الفيَّاض، فقدمه الأخطل.

وهذه القصيدة التي أوَّلها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبعيّ وخبره معه يذكر بعد.

أَخبرني بذلك الحسن بن علي عن أَحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكَّار عن عمه.

تناشد هو والأخطل الشعر:

وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أَخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العمريَّ عن لقيط بن بُكَير المحاربي قال:

قدِم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق، فقال المتوكل بن عبد اللَّه الليثيّ لرجل من قومه: انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشدنا يا أَبا مالك. فقال: إني لخاثر[1] يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيها الرجل، فواللَّه لا تُنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أَشعر منها من شعري. قال: ومن أنت؟ قال: أَنا المتوكل. قال: أنشدني ويحك من شعرك! فأنشده:

لـلـغـانـيـاتِ بـذي الـمـجـاز رسـومُ فـبـبـطـن مـكـة عـهـدهُـنّ قـديـمُ
فـبِـمَـنـحـر الـبُـدنِ الـمـقـلَّـد مـن منًـى حِـلَـلٌ تـلـوح كـأنـهـنّ نـجـومُ

(١) خاثر: خبيث وثقيل ومختلط.

لا تـنـهَ عـن خـلـقٍ وتـأتـي مـثـلـه ... عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـمُ
والـهـمُّ إن لـم تُـمـضِـه لـسـبـيـلـه ... داءٌ تـضـمَّـنـه الـضـلـوع مـقـيـمُ
[الكامل]

غنى في هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حماد عن أبيه ولم يجنسه.

قال وأنشده أَيضاً:

ألـشِّـعـر لـبُّ الـمـرءِ يـعـرضـه ... والـقـولُ مـثـل مـواقـع الـنَّـبـلِ
مـنـهـا الـمـقـصِّـرُ عـن رمِـيَّـتـه ... ونـوافـذٌ يـذهـبـن بـالـخَـصـلِ[1]
[الكامل]

قال وأنشده أَيضاً:

إنَّـنـا مـعـشـرٌ خُـلِـقـنـا صُـدورا ... مـن يـسـوّي الـصـدور بـالأذنـابِ
[الخفيف]

ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق:

فقال له الأخطل: ويحك يا متوكل! لو نبحت[2] الخمر في جوفك كنت أشعر الناس. قال الطوسي قال الأصمعي: كانت للمتوكل بن عبد اللَّه الكناني امرأة يقال لها رُهَيمة ـ ويقال أمَيمة ـ وتُكنى أمَّ بكرٍ، فأقعدت، فسألته الطلاق، فقال: ليس هذا حين طلاق. فأبت عليه، فطلقها، ثم إنها برِئت بعد الطلاق، فقال في ذلك:

طـربـتُ وشـاقـنـي يـا أمَّ بـكـرٍ ... دعـاءُ حـمـامـةٍ تـدعـو حَـمـامَـا
فـبـتُّ وبـات هـمـي لـي نـجـيّـاً[3] ... أُعَـزّي عـنـكِ قـلـبـاً مُـسـتـهـامَـا
إذا ذُكـرتْ لـقـلـبـك أمُّ بـكـرٍ ... يـبـيـت كـأنـمـا ٱغـتـبـق الـمُـدامَـا
خَـدَلَّـجـة[4] تـرِفُّ غُـروب فـيـهـا ... وتـكـسـو الـمـتـن ذا خُـصَـلٍ سُـخـامَـا[5]
أبـى قـلـبـي فـمـا يـهـوى سِـواهـا ... وإن كـانـت مـودّتـهـا غـرامَـا[6]
يـنـام الـلـيـلَ كـلّ خـلـيّ هـمٍّ ... وتـأبـى الـعـيـن مـنـي أن تـنـامَـا
أُراعـي الـتـالـيـات مـن الـثـريّـا ... ودمـعُ الـعـيـن مـنـحـدِرٌ سِـجـامَـا[7]

---

(١) الخصل: الخطر.
(٢) نبحت: صوَّتت، أي انتشرت.
(٣) النجيّ: المخصوص بالمناجاة، أو كاتم السِّر.
(٤) خَدَلّجة: الممتلئة الذراعين والفخذين.
(٥) السُّخام: الفحم والسواد.
(٦) الغرام: العذاب والهجر.
(٧) سِجام: منهمر بغزارة.

عـلـى حـيـن ٱرعـويـت وكـان رأسـي ... كـأنَّ عـلـى مـفـارقـه ثَـغـامَـا[١]
سـعـى الـواشـون حـتـى أزعـجـوهـا ... ورثَّ الـحـبـل فـٱنـجـذم ٱنـجـذامَـا
فـلـسـتُ بـزائـلٍ مـا دمـت حـيّـاً ... مُـسِـرّاً مـن تـذكُّـرهـا هُـيـامَـا
تـرَجـيـهـا وقـد شـحـطـت نـواهـا ... ومـنَّـتـك الـمُـنـى عـامـاً فـعـامَـا
خـدَلَـجـة لـهـا كـفـلٌ وثِـيـر ... يـنـوءُ بـهـا إذا قـامـت قِـيـامَـا
مـخـضَّـرةٌ تـرى فـي الـكـشـح مـنـهـا ... عـلـى تـثـقـيـل أسـفـلـهـا ٱنـهـضـامَـا
إذا ابـتـسـمـت تـلألأ ضـوءُ بـرق ... تـهـلَّـل فـي الـدُجُـنَّـة ثـم دامَـا
وإن قـامـت تـأمّـل رائـيـاهـا ... غـمـامـة صـيِّـفٍ ولـجـت غـمـامَـا
إذا نـمـشـي تـقـول دبـيـبُ أَيـم[٢] ... تـعـرّج سـاعـةً ثـم ٱسـتـقـامَـا
وإن جـلـسـت فـدُمـيـةُ بـيـتِ عـيـدٍ ... تُـصـان ولا تُـرى إلا لـمـامَـا
فـلـو أشـكـو الـذي أشـكـو إلـيـهـا ... إلـى حـجـرٍ لـراجـعـنـي الـكـلامَـا
أحِـبُّ دنـوّهـا وتـحـبُّ نـأيـي ... وتـعـتـام[٣] الـتـنـائـيَ لـي ٱعـتـيـامَـا
كـأنـي مـن تَـذكُّـر أم بـكـرٍ ... جـريـح أسـنَّـةٍ يـشـكـو كـلامَـا[٤]
تـسـاقـطُ أَنـفـسـاً نـفـسـي عـلـيـهـا ... إذا شـحـطـت[٥] وتـغـتّـم ٱغـتـمـامَـا
غـشـيـتُ لـهـا مـنـازل مـقـفـراتٍ ... عـفَـتْ إلا الأيـاصِـرَ[٦] والـثّـمـامَـا[٧]
ونـؤيـاً[٨] قـد تـهـدَّم جـانـبـاه ... ومـبـنـاهـا بـذي سـلـم خِـيـامَـا
صِـلـيـنـي وٱعـلـمـي أنـي كـريـمٌ ... وأنَّ حَـلاوتـي خُـلِـطـت عُـرامَـا[٩]
وأنـي ذو مُـجـامـحـةٍ[١٠] صَـلـيـبٌ ... خُـلِـقـت لـمـن يـمـاكـسـنـي[١١] لـجـامَـا
فـلا وأبـيـكِ لا أنـسـاكِ حـتـى ... تُـجـاوبَ هـامـتـي[١٢] فـي الـقـبـر هـامَـا[١٣]

[الوافر]

---

(١) الثغام: نبات أبيض، وأراد شيب شعر رأسه.
(٢) الأيم: الحيَّة أو ذكر الأفعى.
(٣) تعتام: تختار وتنتقي.
(٤) الكِلام: مفردها كَلْم، وهو الجرح.
(٥) شحطت: بعدت ونأت.
(٦) الأياصر: مفردها أيصر، أي وتد الطنب.
(٧) الثِّمام: نبت ضعيف يحشى به خِصاص البيوت.
(٨) النؤي: الحفر حَول الخيمة يمنع السيول.
(٩) العُرام: الأذى.
(١٠) المُجاجة: ما يمجّه المرء من فمه.
(١١) ماكَسَ: شاكس وعارض.
(١٢) الهامة: الرأس، أو هو أعلى كل شيء.
(١٣) الهام: مفردها هامة، وهو طائر يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل مطالباً الأخذ بثأره.

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكل يقولها أَيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حَوشَبا الشيباني، ويقول فيها:

إذا وعدتْك معروفاً لوتْه ... وعجَّلت التَّجرّم[١] والمِطالَا[٢]
لها بشر نقيّ اللون صافٍ ... ومتنٌ حُطَّ فاْعتدل اْعتدالا
إذا تمشي تأوّد[٣] جانباها ... وكاد الخصر ينخزل[٤] اْنخزالا
تنوء بها روادفها إذا ما ... وِشاحاها[٥] على المتنين جالا
فإن تصبح أميمة قد تولَّت ... وعاد الوصل صرماً واعتلالا
فقد تدنو النوى[٦] بعد اغتراب ... بها وتفرّقُ الحيَّ الجِلالا[٧]
تُعَبِّسُ لي أميمة بعد أُنس ... فما أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مصافٍ[٨] ... رزئتُ[٩] وما أحِبُّ به بِدالا
أصرمٌ منكِ هذا أم دلال ... فقد عنّى[١٠] الدلال إذاً وطالا
أم استبدلت بي ومللت وصلي ... فبوحي لي به ودعي المِحالا[١١]
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلاً ... أقاتله على وصلي قتالا
وكم من كاشح يا أُمَّ بكرٍ ... من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبستُ على قناعٍ من أذاه ... ولولا اللَّه كنت له نَكالا

[الوافر]

ومما يغنى به من القصيدة قوله:

صوت

أنا الصقر الذي حُدّثتَ عنه ... عِتاق الطير تندخل اندخالا
رأيت الغانيات صدفن لما ... رأين الشيب قد شمل القَذَالا[١٢]

(١) التجرّم: إدعاء الجرم على الغير.
(٢) المِطال: الإمهال.
(٣) تأوّد: مال وانعطف.
(٤) ينخزل: ينقطع.
(٥) الوِشاح: هو ما يصنع من الأديم ويرصع بالجواهر فتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها.
(٦) النوى: البعد والنأي.
(٧) الجِلال: القوم الذين يحلّون في موضع ما.
(٨) المُصافي: الذي صفت أخلاقه فأخلص.
(٩) رُزئتُ: أصبت منه بخير.
(١٠) عنَّى: أتعبَ وأهمَّ.
(١١) المِحال: الكيد.
(١٢) القذال: ما بين الأذنين من مُؤخّر الرأس.

فـلـم يُـلـووا إذا رحـلـوا ولـكـن تـولَّـت عِـيـرُهـم بـهـم عِـجـالا

[الوافر]

غنَّى فيه عمر الواديُّ خفيف رمل عن الهشامي. وذكر حبش أَنَّ فيه لابن مُحرز ثاني ثقيل بالوسطى، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أَوّل القصيدة.

وقال الطوسي قال أبو عمرو الشيباني:

هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر:

هجا معن بن حمل بن جعونة بن وهب، أَحد بني لقيط بن يَعمر المتوكل بن عبد اللَّه الليثي؛ وبلغ ذلك المتوكل، فترفع عن أَن يجيبه، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه. ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الدليل هجاء قَذِعاً استحيا منه وندم، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية:

خـلـيـلـيَّ عُـوجـا الـيـوم وانـتـظـراني فـإن الـهـوى والـهـمَّ أمُّ أبـانِ

هـي الـشـمـس يـدنـو لـي قـريـباً بـعـيـدُهـا أَرى الـشـمـس مـا أسـطـيـعـهـا وتـرانـي

نـأت بـعـد قـربٍ دارهـا وتـبـدّلـت بـنـا بـدلاً والـدهـر ذو حـدَثـانِ

فـهـاج الـهـوى والـشـوق لـي ذكـر حُـرَّةٍ مـن الـمـرجـحـنَّـات[1] الـثـقـال حَـصـانِ[2]

[الطويل]

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنسه:

سـيـعـلـم قـومـي أَنـنـي كـنـتُ سُـورةً مـن الـمـجـد إن داعـي الـمـنـون دعـانـي

أَلا ربّ مـسـرورٍ بـمـوتـيَ لـو أتـى وآخـرَ لـو أُنـعـى لـه لـبـكـانـي

خـلـيـلـيّ مـا لام امـرأً مـثـل نـفـسـه إذا هـي لامـت فـاْربـعـا ودعـانـي

نـدمـتُ عـلـى شـتـمـي الـعـشـيـرة بـعـد مـا تـغـنَّـى بـهـا غَـوري وحـنّ يـمـانـي

قـلـبـت لـهـم ظـهـر الـمـجـنّ ولـيـتـنـي رجـعـتُ بـفـضـلٍ مـن يـدي ولـسـانـي

عـلـى أنـنـي لـم أرمِ فـي الـشـعـر مـسـلـمـاً ولـم أهـجُ إلا مـن روى وهـجـانـي

هُـمُ بَـطـروا الـحـلـم الـذي مـن سـجـيَّـتـي فـبـدَّلـت قـومـي شـدَّةً بـلـيـانِ[3]

ولـو شـئـتـمُ أولاد وهـبٍ نـزعـتـمُ ونـحـن جـمـيـعٌ شـمـلـنـا أَخَـوانِ

(١) المرجحنَّات: مفردها مرجحنّة وهي المرأة السمينة.

(٢) حَصان: العفيفة، المحصنة.

(٣) ليان: اللين والمدونة.

نهيتم أخاكم عن هجائي وقد مضى ... له بعد حول كامل سنتانِ
فلجَّ ومنَّاه رجالٌ رأيتهم ... إذا قارنوني يكرهون قِراني
وكنتُ امرأً يأبى ليَ الضيمَ أنني ... صَرومٌ إذا الأمر المهمُّ عناني
وَصولٌ صرومٌ لا أقول لمدبر ... هلمَّ إذا ما اغتشَني وعَصاني
خليليّ لو كنت امرأ بيَ سقطةٌ ... تضعضعت[1] أو زلَّت بيَ القدمانِ
أعيش على بغي العداة ورغمهم ... وآتي الذي أَهوى على الشنآنِ
ولكنني ثَبتُ المريرة حازمٌ ... إذا صاح طُلَّابي ملأت عِناني[2]
خليليّ كم من كاشح[3] قد رميته ... بقافِيةٍ مشهورةٍ ورماني
فكان كذات الحَيض لم تُبق ماءها ... ولم تُنقِ عنها غُسلها لأوانِ

[الطويل]

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية:

أبا خالدٍ حنَّت إليك مطيَّتي ... على بعد مُنتاب وهَول جَنانِ
أبا خالد في الأرض نأيٌ ومَفسح ... لذي مِرَّة يُرمى به الرَّجَوانِ
فكيف ينام الليل حرٌّ عطاؤه ... ثلاثٌ لرأس الحول أو مائتانِ
تناهتْ قُلوصي بعد إسآدي السُّرى ... إلى ملكٍ جزلِ العطاء هِجانِ[4]
ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه ... لبكرٍ من الحاجات أو لعوانِ

[الطويل]

فأجابه معن بن حملٍ فقال:

ندِمتَ كذاك العبد يندم بعد ما ... غُلِبتَ وسار الشعر كلَّ مكانِ
ولاقيت قَرماً[5] في أَرومة[6] ماجدٍ ... كريماً عزيزاً دائمَ الخطرانِ[7]
أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي ... أَعفُّ وتحميني يدي ولساني
وأغلب من هاجيت عفواً وأنتمي ... إلى معشرٍ بيضِ الوجوه حِسانِ
فهات إذاً يا ابن الأتان كصاحب الـ ... ـمملوك أبي، أسيِّد كمُهانِ!

(١) تضعضعت: خضعت وذلَّت وافتقرت.
(٢) العِنان: ما يلجم به الفرس.
(٣) الكاشح: المُعادي.
(٤) الهِجان: الرجل الأصيل الحسيب.
(٥) القَرم: السيد المعظّم من الرِّجال.
(٦) الأَرومة: الأصل من كل شيء.
(٧) الخطران: الضرب يميناً وشمالاً.

فـهـات كـزيـدٍ أَو كـسـحـبـان لا تـجـد لـهـم كـفـواً أَو يُـبـعـثَ الـثـقـلانِ
[الطويل]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العتبي عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال:

أتى المتوكل الليثي عِكرمةَ بن ربعي الذي يقال له الفياض، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفته. فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أَن يقبلها وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليَّ سرّاً.

فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمِد رمَداً شديداً، فمرّ به قسٌّ منهم فقال: ما لك؟ قال: رمِدت. قال: أنا أعالجك. قال: فافعل. فذرّهُ[1]، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره، يفكر في هجاء عِكرمة ـ وذلك غير مطَّردٍ له ولا القول في معناه ـ إذ أَتاه غلام له فقال: بالباب امرأة تدعوك. فمسح عينيه وخرج إليها، فسفرت عن وجهها فإِذا الشمس طالعةً حُسناً، فقال لها: ما اسمك؟ قالت أُمية. قال: فممن أَنت؟ فلم تخبره. قال: فما حاجتك؟ قالت: بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك. فقال: أسفري. ففعلت فكرَّ طرفه في وجهها مُصعِّداً ومصوّباً، ثم تلثَّمت وولَّت عنه، فاطّرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وٱفتتحه بالنسيب فقال:

أَجـدَّ الـيـوم جـيـرتُـك ٱحـتـمـالا وحـثَّ حُـداتُـهـم بـهـمُ الـجِـمـالا
وفـي الأظـعـان آنـسـةٌ لـعـوبٌ تـرى قـتـلـي بـغـيـر دمٍ حـلالا
أُمَـيَّـةُ يـوم دَيـرِ الـقـسّ ضـنَّـت عـلـيـنـا أن تـنـوّلـنـا نَـوالا
أَبـيـنـي لـي فـربَّ أخٍ مـصـافٍ رُزِئـت ومـا أحـبّ بـه بـدالا
[الوافر]

وقال فيها يهجو عكرمة:

أقـلـنـي يـا ابـن رِبـعـيّ ثـنـائـي وهـبْـهـا مـدحـة ذهـبـت ضـلالا
وهـبـهـا مـدحـة لـم تُـغـنِ شـيـئـاً وقَـولاً عـاد أكـثـره وبَـالا
وجـدنـا الـعـزَّ مـن أَولاد بـكـرٍ إلـى الـذُّهـلـيـن يـرجـع والـفـعـالا
أَعـكـرمَ كـنـتُ كـالـمـبـتـاع داراً رأَى بـيـع الـنـدامـة فـٱسـتـقـالا

(١) الذرّ: ذرَّه أي جعل داخل عينيه كحلاً ونحوه.

بـنـو شـيـبـان أكـرمُ آل بـكـرٍ وأمـتـنـهـم إذا عـقـدوا حِـبـالا
رجـال أعـطـيـتْ أحـلامَ عـادٍ إذا نـطـقـوا وأيـديَـهـا الـطـوالا
وتـيـمُ الـلَّـه حـيٌّ حـيُّ صِـدقٍ ولـكـنّ الـرَّحـى تـعـلـو الـثِّـفـالا[1]

[الوافر]

صـوت

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلَا بحقلٍ لكم يا عزَّ قد رابني حَقلا
فيا عزَّ إن واشٍ وشى بيّ عندكم فلا تُكرميه أن تقولي له مهلا
كما نحن لو واشٍ وشى بكِ عندنا لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سهلا
ألم يأن لي يا قلب أَن أَترك الجهلا وأن يُحدي الشيب الملمُّ ليَ العقلا
على حين صار الرأس مني كأنما علت فوقه ندَّافة العطب الغزلا

[الوافر]

عروضه من الطويل. الدّمن: آثار الديار، واحدتها دمنة. والحقل: الأرض التي يزرع فيها. والعطب هو القطن.

الشعر لكثيِّر كلُّه إلا البيت الأول فإنه ٱنتحله، وهو للأفوه الأوديّ. والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأوَل متوالية. وذكر حبش أَنه لمعبد. وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ثقيل أَوّل بالبنصر؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد، وذكر الهشامي أَنه من منحول يحيى المكيّ.

* * *

(١) الثِّفال: ما توقى به الرحى من الأرض.

نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره

الأفوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبِّه بن أَود بن الصعب بن سعد العشيرة. وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء؛ وفي ذلك يقول الأفوه:

أبى فارسُ الشوهاء[١] عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدِّ عاثرُ

[الطويل]

كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم:

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال:

كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدُرون عن رأيه. والعرب تعدّه من حكمائها. وتعدّ داليَّته:

معاشر ما بنوا مجداً لقومهمُ وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها. فأمَّا البيت الذي أخذه كثيِّر من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها:

نُقاتل أقواماً فنسبي نساءهم ولم يرَ ذو عزٍ لنسوتنا حِجلا[٢]
نقود ونأبى أن نُقاد ولا نرى لقومٍ علينا في مُكارمةٍ فضلا
وإنّا بطاء المشي عند نسائنا كما قيَّدت بالصيف نجديّةٌ بُزلا[٣]
نظل غيارى عند كل ستيرةٍ[٤] نُقلِّب جيداً واضحاً وشوًى[٥] عبلا[٦]
وإنا لنعطي المال دون دمائنا ونأبى فما نستام[٧] دون دمٍ عقلا[٨]

[الطويل]

---

(١) الشوهاء: الطويلة الجميلة من الخيل. (٢) الحجل: الخلخال جمعها حِجال.
(٣) البزل: الجمل أو الناقة في سنتهما التاسعة. (٤) الستيرة: المرأة المستورة ستراً كاملاً.
(٥) الشوى: اليدان، الذراعان. (٦) العبل: الممتلئ التام.
(٧) نستام: نساوم، نأخذ بدلاً.
(٨) العقل: الديّة وهي ما يدفع من أهل القاتل لأهل المقتول.

قال أَبو عمرو الشيباني: قال الأفوه الأوديّ هذه الأبيات يفخر بها على قوم من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم دِيات مَن قتِل فضلاً على قتلى قومه، فقبلوه وصالحوه.

وقال أَبو عمرو: أغارت بنو أود ـ وقد جمعها الأفوه ـ على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود ـ وقد أصابوا منهم رجلين ـ: لا واللَّه حتى نأخذ بطائلتنا[١]. فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، واللَّه لتأخذنّ بطائلتي أو لأنتحينّ[٢] على سيفي. فاقتتلت أود وبنو عامر، فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً. فقال الأفوه في ذلك:

صوت

ألا يا لهف لو شهدتْ قناتي ... قبائل عامرٍ يوم الصبيبِ
غداة تجمعت كعبٌ إلينا ... حلائب[٣] بين أفناء[٤] الحروبِ
فلمَّا أن رأونا في وَغاها ... كآساد الغريفة[٥] والحجيبِ[٦]
تداعوْا ثم مالوا عن ذراها ... كفعل الخامعات[٧] من الوجيبِ[٨]
وطاروا كالنعام ببطن قَوٍّ ... مُواءلة[٩] على حذر الرقيبِ

[الوافر]

صوت

كأن لم تريْ قبلي أسيراً مكبَّلاً ... ولا رجلاً يرمى به الرّجوانِ

---

(١) الطائلة: الثأر.
(٢) إنتحى على السيف: إعتمد عليه.
(٣) الحلائب: مفردها حلوبة، هي الحالب من الإبل والغنم وأراد هنا الجماعات.
(٤) الأفناء: الأخلاط.
(٥) الغريفة: الأجمة من البَردي والحَلْفاء.
(٦) الحجيب: موضع.
(٧) الخامعات: الضباع، سميت بذلك لأنها تخمع في مشيتها مفردها خامعة.
(٨) الوجيب: الخوف الموجب.
(٩) مواءلة: طالبة للنجاة والخلاص.

كـأنـي جـوادٌ ضـمـه الـقـيـد بـعـدمـا جـرى سـابـقـاً فـي حـلـبـةٍ ورهـانِ
[الطويل]

الشعر لرجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النَّشناش، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر من روايتَي علي بن يحيى والهشامي.

* * *

أَخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أَبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال:

كان أبو النشناش من ملاص[١] بني تميم، وكان يعترض القوافل في شُذّاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيَّده مدة، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ[٢] ينتف ريشه وينعب، فجزع من ذلك. ثم مر بحيّ من لهبٍ فقال لهم: رجل كان في بلاءٍ وشرّ وحبسٍ وضيقٍ فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتف ريشه وينعب. فقال له اللهبيّ: إن صدقت الطير يُعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به، ويقتل ويصلب. فقال له: بفيك الحجر. قال: لا بل بفيك. وأنشأ يقول:

وسـائـلـةٍ أَيـن ٱرتـحـالـي وسـائـلٍ ومـن يـسـأل الـصـعـلـوك أَيـن مـذاهـبُـهْ!
مـذاهـبـه أَنَّ الـفـجـاج عـريـضـةٌ إذا ضـنّ عـنـه بـالـنـوال أقـاربُـهْ
إذا الـمـرءُ لـم يـسـرح سـواماً[٣] ولـم يُـرح سَـواما ولـم يـبـسـط لـه الـوجـه صـاحـبُـهْ
فـلـلـمـوت خـيـرٌ لـلـفـتـى مـن قـعـوده عـديـمـاً ومِـن مـولًـى تُـعـاف مـشـاربُـهْ
ودَوِّيَّـةٍ[٤] قـفـرٍ يـحـارُ بـهـا الـقـطـا سـرَت بـأبـي الـنـشـنـاش فـيـهـا ركـائـبُـهْ
لـيـدرك ثـأراً أَو لـيـكـسـب مـغـنـمـاً أَلا إنَّ هـذا الـدهـر تـتـرى عـجـائـبُـهْ
فـلـم أر مـثـل الـفـقـر ضـاجـعـه الـفـتـى ولا كـسـواد الـلـيـل أخـفـق طـالـبُـهْ
فـعـش مُـعـذِراً[٥] أَو مـت كـريـمـاً فـإِنـنـي أرى الـمـوت لا يـبـقـي عـلـى مـن يـطـالـبُـهْ
[الطويل]

(١) الملاصّ: مفردها ملصة، وهو اسم جمع بمعنى اللصوص.
(٢) البانة: شجرة لحبّ ثمرها دهن طيّب، وحبّه نافع للأمراض الجلدية، جمعها البان.
(٣) السوام: الإبل الرَّاعية. (٤) الدويَّة: الصحراء الواسعة.
(٥) المعذِر: الذي عنده عذر بيِّن.

صـــوت

أصـــادرةٌ حُـــجَّـــاج كـــعـــبٍ ومـــالـــكٍ عـــلـــى كـــل فـــتـــلاء الـــذراعـــيـــن مـــحـــنـــقِ
أقـــام قـــنـــاة الـــودّ بـــيـــنـــي وبـــيـــنـــه وفـــارقـــنـــي عـــن شـــيـــمـــة لـــم تُـــرنَّـــقـــق

[الطويل]

عروضه من الطويل. الصادر: المنصرف، وهو ضدّ الوارد، وأصله من ورود الماء والصَّدَر عنه، ثم يقال لكل مقبلٍ إلى موضع ومنصرفٍ عنه. وكعب: من خزاعة. ومالك: يعني مالك بن النضر بن كنانة. وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم. ومحنق: ضامرة. والشيمة: الخلق والطبيعة. وترنَّق: تكدر. والرّنق: الكدر.

الشعر لكثيِّر عزّة يرثي خَندقاً الأسديّ، والغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق، وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لسياطٍ رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشامي وعمرو. وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنسه. وفي رواية حماد عن أَبيه أَنّ لحن الهذلي من الثقيل الأول، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه ثقيل أَوّل أو ثاني ثقيلٍ.

* * *

خبر كثير
وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن حبيب. وأخبرني وكيعٌ قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أَبيه. وأَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن ابن داحة، قالوا:

كان خندق بن مرة الأسديّ ـ هكذا قال النوفلي. وغيره يقول: خندق بن بدر ـ صديقاً لكثيّر، وكانا يقولان بالرجعة[١]، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع. فقال خندق: لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ، وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أَبي بكر وعمر. فضمن كثيِّر عياله، فقام ففعل ذلك وسبّ أَبا بكر وعمر رضوان اللَّه عليهما وتبرأ منهما.

قال عمر بن شبة في خبره فقال: أيها الناس إنكم على غير حق، قد تركتم أهل بيت نبيكم، والحقُّ لهم وهم الأئمة ـ ولم يقل إنه سب أحداً ـ فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه. ودفن خندق بقَنَونى[٢]. فقال إذ ذاك كثيِّر يرثيه:

أصادرة حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل عجلى[٣] ضامر البطن[٤] مُحنِقِ[٥]
بمرثيةٍ فيها ثناء مُحبَّرٌ ... لأزهر من أولاد مرة مُعرِقِ
كأنَّ أخاه في النوائب مُلجأ ... إلى علمٍ من ركن قُدسَ[٦] المنطَّقِ
ينال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيدٌ كعيُّوق[٧] الثريّا المعلَّقِ

(١) الرجعة: من عقيدة الشيعة، الرجعة هي عودة الإمام المهدي لينشر العدالة والحق وينصر المظلوم.
(٢) قنونى: وادٍ من أرض السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن.
(٣) عجلى: مسرعة في السير. (٤) ضامر البطن: خامصها.
(٥) المُحنِق: هو ضامر أو سمين تطلق للإبل، ضد، جمعها محانيق.
(٦) قدس المنطق: جبل عظيم مرتفع بنجد.
(٧) العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها.

تقول ابنة الضَّمريّ ما لك شاحباً ... ولونُك مصفرٌّ وإن لم تخلَّقِ[١]
فقلت لها لا تعجبي، من يمتْ له ... أخٌ كأبي بدرٍ وجَدِّك يُشفقِ[٢]
وأَمرٍ يهُمُّ الناس غِبُّ[٣] نِتاجه ... كفَيتَ وكربٍ بالدواهي مطرّقِ
كشفت أَبا بدرٍ إذا القوم أحجموا ... وعضت ملاقي أَمرهم بالمخنَّقِ
وخصمٍ أَبا بدر أَلَدَّ أَبَتَّه[٤] ... على مثل طعم الحنظل المتفلقِ
جزى اللَّه خيراً خَندقاً من مكافىءٍ ... وصاحب صدقٍ ذي حفاظٍ ومَصدقِ
أَقام قناة الودّ بيني وبينه ... وفارقني عن شيمةٍ لم تُرنَّقِ[٥]
حلفت ـ على أن قد أجنَّتك حفرةٌ ... ببطن قَنونى ـ لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالوُدّ بعدك دائماً ... على عهدنا إذ نحن لم نتفرَّقِ
إذا ما غدا يهتز للمجد والندى ... أشمَّ كغصن البانة المتورِّقِ
وإني لجازٍ بالذي كان بيننا ... بني أسدٍ رهط ابن مرَّة خندقِ

[الطويل]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة:

إن كثيِّر لما ٱنتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الدّيلي من المواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطّفَيل بن عامر بن واثلة وهو بالكوفة، فأنكر أَمر كثيِّر وٱنتسابه إلى كنانة وتصييره خُزاعة منهم، وما فعله الحزين. فحلف لئن رأَى كثيِّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح، فكلمه فيه خندق الأسدي ـ وكان صديقاً له ولكثيِّر ـ فوهبه له، وٱجتمعا بمكة فجلسا مع ابن الحنفية. فقال طفيل: لولا خندق لوفيت لك بيميني. فقال يرثيه، وعنه كان أَخذ مقالته:

ونال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيدٌ كعيُّوق الثريا المعلقِ

[الطويل]

وذكر باقي الأبيات.

أَخبرني الحرمي بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حُميد بن عبد الرحمن أحد بني عِتوارة بن جُدَيّ قال:

---

(١) تخلَّق: إدّهن بالخلوق، وهو نوع من الطيب.
(٢) يُشفِق: يخاف ويجزع.
(٣) الغِبّ: عاقبة الشيء.
(٤) أَبَتَّ: قطع.
(٥) تُرَنّق: تُكدَّر.

كان كثيِّر قد سلَّطه اللَّه يَنسب بعزَّة بنت عبد اللَّه، أَحدِ بني حاجب بن عبد اللَّه بن غِفار. قال: وكان نسوانهم قد لقينَها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء، في عام أَصابت أَهل تهامة فيه حطمةٌ[١] شديدةٌ، وكانت عزَّة من أَجمل النساء وآدبهن وأعقلهن، ولا واللَّه ما رأى لها وجهاً قطُّ، إلا أَنه استهيم بها قلبه لِما ذُكر له عنها. فلقيه رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه، فقالوا له: إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فأكفف نفسك. قال: فإني لا أذكرها بما تكرهون.

فخرجوا جالين إلى مصر في أَعوام الجلاء. فتبعهم على راحلته فزجروه، فأبى إلَّا أَن يلحقهم بنفسه، فجلس له فتيَّةٌ من جُدَيّ، قال: وكان بنو ضَمرة كلهم يهون عليهم نسيبه لما يعرفون من براءتها، إلا ما كان من بني جُدَيّ فإنهم كانوا صُمعاً[٢] غُيُراً[٣]. فقعد له عون، أَحد بني جديّ في تسعة نفر على محالج[٤]، فلما جاز بهم تحت الليل أَخذوه، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه، ثم أَوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوْا عنه، فاجتاز به خندق الأسدي، فسمع استغاثته ـ وهو خندق بن بدر ـ فعدل إلى الصوت حين سمعه، فوجد في الجيفة إنساناً، فسأله مَن هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كثيِّر في ذلك ـ قال الزبير أنشدنيها عُمر بن أَبي بكر المؤمّلي عن عبد اللَّه بن أَبي عُبيدة معمر بن المثنَّى ـ

أصادرةٌ حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ على كل فتلاء الذراعين[٥] مُحنِقِ[٦]

[الطويل]

وذكر القصيدة كلَّها على ما مضتْ.

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أَبي بكر المؤمّلي عن أَبي عبيدة قال:

خندقٌ الأسدي هو الذي أَدخل كثيِّراً في مذهب الخشبيَّة[٧].

---

(١) الحُطمة: الشديدة من النيران.
(٢) الصُّمع: مفردها أصمع وهو ذو الحزم والشّدّة.
(٣) الغُيُرُ: مفردها غيور، وهو الشديد الغَيْرة.
(٤) المُحالج: مفردها مِحلَج، وهو الخمر المخفَّف.
(٥) فتلاء الذراعين: أي مكتنزتهما.
(٦) المحنِق: المغتاظ.
(٧) الخشبيَّة: فرقة من الجهميّة يعتقدون أنّ اللَّه تعالى يتكلم وأنَّ القرآن مخلوق.

أَخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن حبيب قال:

لما قتل خندقٌ الأسدي بعرفة رثاه كثيِّر فقال:

شجا أَظعانُ غاضرة[١] الغوادي[٢] بغير مَشورةٍ عَرَضاً فؤادي
أغاضِر لو شهدتِ غداة بنتم جنوء[٣] العائداتِ على وِسادي
أويتِ لعاشقٍ لم تشكُميه[٤] نوافذه[٥] تَلذّع بالزّنادِ
ويوم الخيل قد سفرت وكفَّت رِداءَ العصب عن رَتل[٦] بُرادِ[٧]

ـ الرَّتِل: الثغر المستوي النبت ـ:

وعن نجلاءَ[٨] تدمَع في بياضٍ إذا دمعت وتنظر في سوادِ
وعن متكاوسٍ[٩] في العقص[١٠] جَثلٍ[١١] أثيثِ[١٢] النبتِ ذي عُذَرٍ[١٣] جِعادِ
وغاضِرة الغداةَ وإن نَأتنا وأصبح دونها قُطر البلادِ
أحبُّ ظعينةٍ وبناتُ نفسي إليها لو بللن بها صَوادي[١٤]
ومن دون الذي أمّلت وُدّاً ولو طالبتُها خَرْطُ القتادِ
وقال الناصحون تحلَّ منها ببذل قبل شيمتها الجمادِ

ـ تحلَّ: أصِب. يقال: ما حليت من فلان بشيءٍ ولا تخلَّيت منه بشيء، ومنه حُلوان الكاهن والرّاقي وما أَشبه ذلك ـ

فقد وعدَتك لو أقبلتَ وُدّاً فلجَّ بك التدلُّل في تَعادِ[١٥]
فأسررتَ الندامة يوم نادى بردّ جِمال غاضرة المُنادي

---

(١) غاضرة: اسم محبوبة الشاعر، ويقال إنها مولاة أو جارية للآل مروان بن الحكم.
(٢) الغوادي: البواكِر. (٣) جنوء: انكباب.
(٤) شكم: جازى.
(٥) نوافذ: هي منافذ الوجه: الفم وثقبا الأذن والأنف.
(٦) رتل: كثرة الماء، أو الطيّب من كل شيء أو الثغر المستوي النبت.
(٧) بُراد: شديد البرودة. (٨) النجلاء: الطويلة الحسناء.
(٩) المتكاوس: المتراكب بعضه فوق بعض. (١٠) العقص: مفردها عقيصة وهي الضفيرة.
(١١) الجثل: الشعر الكثير. (١٢) الأثيث: العظيم الكثير جمعها إثاث وأثائث.
(١٣) العُذر: مفردها عذرة، وهي الخصلة من الشعر أو الناصية.
(١٤) الصوادي: العِطاش.
(١٥) التعادي: التباعد.

تـمـادى الـبـعـدُ دونـهـم فـأمـسـتْ دمـوعُ الـعـيـن لـجَّ بـهـا الـتـمـادي
لـقـد مُـنـع الـرقـاد فـبـتُّ لـيـلـي تـجـافـيـنـي الـهـمـومُ عـن الـوسـادِ
عَـدانـي أَن أَزورك غـيـرَ بـغـضٍ مُـقـامُـك بـيـن مُـصـفـحـة[١] شِـدادِ
وإنـي قـائـل إن لـم أزره سَـقَـت ديـمُ الـسـواري والـغـوادي
مـحـلَّ أخـي بـنـي أسـدٍ قَـنـونـى فـمـا والـى إلـى بـرْك الـغـمـادِ
مـقـيـم بـالـمـجـازة[٢] مـن قَـنـونـى وأهـلـك بـالأُجَـيـفـر[٣] والـثـمـادِ[٤]
فـلا تـبـعَـد فـكـل فـتًـى سـيـأتـي عـلـيـه الـمـوتُ يـطـرق أَو يـغـادي
وكـلُّ ذخـيـرةٍ لا بـدّ يـومـاً ولـو بـقـيـتْ تـصـيـر إلـى نَـفـادِ
يـعـزُّ عـلـيّ أَن تـغـدو جـمـيـعـاً وتـصـبـح ثـاويـاً رَهـنـاً بـوادِ
فـلـو فُـوديـتَ مـن حـدَث الـمـنـايـا وقـيـتُـك بـالـطَّـريـف[٥] وبـالـتِّـلادِ[٦]

[الوافر]

في هذه القصيدة عدَّة أصوات هذه نِسبتها قد جُمعت.

صـوت

أغـاضـرَ لـو شـهـدتِ غـداةَ بـنـتـم حُـنـوَّ الـعـائـدات عـلـى وِسـادي
رثـيـتِ لـعـاشـقٍ لـم تـشـكُـمـيـه نـوافـذه تـلـذَّع بـالـزنـادِ
عـدانـي أَن أزورك غـيـر بـغـضٍ مـقـامـك بـيـن مُـصـفـحـةٍ شِـدادِ
فـلا تـبـعَـد فـكـل فـتًـى سـيـأتـي عـلـيـه الـمـوتُ يـطـرق أَو يُـغـادي

[الوافر]

لمعبد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ. وفيهما لإبراهيم ثقيلٌ أَول بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد. وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكيّ. ومن الناس من ينسب لحن مالكٍ إلى معبد أَيضاً. وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما. ويقال: إن لابن سريج وابن محرزٍ وابن جامعٍ فيهما ألحاناً.

(١) المصفحة: العريضة ويريد هنا حجارة القبر.
(٢) المجازة: الطريق في السَّبخة، وموضع، أو هو أول رمل الدهناء.
(٣) الأُجيفر: موضع في بلاد قيس.
(٤) الثماد: موضع في ديار بني تميم.
(٥) الطَّريف: الحديث أو الجديد.
(٦) التِّلاد: ما ولد عندك من مالِك أو نُتِجَ.

غاضرة هذه التي ذكرها كثيِّر مولاة لآل مروان بن الحكم، وقد رُوي في ذكره إيَّاها غير خبرٍ مختلف.

فأخبرني الحرمي بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أَبي بكر المؤمَّلي قال حدثني عبد اللَّه بن أَبي عبيدة قال:

حجَّت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيِّر ووضَّاح: أنسبا بي. فأمَّا وضَّاح فنسب بها، وأَما كثيِّر فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول:

شجا أَظعان غاضرة الغوادي بغير مشورة عرضاً فؤادي

[الوافر]

قال: وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتل وضَّاحاً ولم يجد على كثيّر سبيلاً.

أَخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهريّ عن مُحرز بن جعفر عن أَبيه عن بُدَيح قال:

قدِمتْ أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ـ وهي عند الوليد بن عبد الملك ـ حاجَّة، والوليد إذ ذاك خليفة. فأرسلت إلى كثيّر ووضَّاح أن أنسبا بي. فنسب وضَّاح بها ونسب كثيّر بجاريتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه:

شجا أَظعان غاضرة الغوادي

قال: وكان معها جَوارٍ قد فتنّ الناس بالوضاءة.

قال بُدَيح: فلقيت عُبيد اللَّه بن قيس الرقيَّات فقلت له: بمن نسبتَ من هذا القطين؟ فقال لي:

ما تصنع بالشرِّ إذا لم تك مجنونا
إذا قاسيت ثِقل الشرّ حَسَّاك[1] الأمرّينا[2]
وقد هجتَ بما قد قلت أمراً كان مدفونا

[الهزج]

قال بديح: ثم أَخذ بيدي فخلا بي وقال لي: يا بديح، أُحفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أَمانة؛ وأَنشدني:

---

(١) حسَّاك: أشربك، سقاك.

(٢) الأمرَّين: أي الشّر والأمر العظيم.

أصـحـوتَ عـن أمّ الـبـنـيـ ـن وذِكـرهـا وعـنـائـهـا
وهـجـرتـهـا هـجـر امـرىءٍ لـم يَـقـلِ حـمـلَ إخـائـهـا
مـن خـيـفـة الأعـداء أَن يُـوهـوا[1] أديـم صـفـائـهـا
قـرشـيَّـة كـالـشـمـس أشـ ـرق نـورهـا بـبـهـائـهـا
زادت عـلـى الـبـيـض الـحـسـا ن بـحـسـنـهـا ونـقـائـهـا
لـمـا ٱسـبـكـرّت[2] لـلـشـبـا ب وقُـنِّـعـت بـردائـهـا
لـم تـلـتـفـت لـلـداتـهـا[3] ومـضـت عـلـى غُـلـوائـهـا

[مجزوء الكامل]

غنّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأوَل لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي. وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن ابنه وغيره. وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأوَل لحناً آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي فيه ٱستهلال. وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن مُحرز.

قال: فقتل الوليد وضَّاحاً ولم يجد على كثيِّر سبيلاً. قال: وحجَّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب؛ فلقيني ابن قيس حيث خرَجت ولم تكلِّم أحداً ولم يرها، فقال لي: يا بديح:

صـوت

بـان الـخـلـيـطُ[4] الـذي بـه نـثِـقُ وٱشـتـد دون الـمـلـيـحـة[5] الـقـلـقُ
مـن دون صـفـراء فـي مـفـاصـلـهـا لـيـنٌ وفـي بـعـض بـطـشـهـا[6] خُـرُقُ[7]
إن خـتـمـت جـاز طـيـن خـاتـمـهـا كـمـا تـجـوز الـعـبـديَّـة الـعـتُـقُ[8]

[المنسرح]

غنّى في هذه الأبيات مالك بن أَبي السَّمح لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مسجح ـ ويقال لابن محرز، وهو مما يشبه غناءهما جميعاً

(١) يُوهوا: يُمزِّقوا.
(٢) اسبكرَّت: استقامت.
(٣) اللِّدات: مفردها اللِّدة وهي التِّرب.
(٤) الخليط: المخلوط بغيره.
(٥) المليحة: الحسناء والمليح الحَسَن.
(٦) البطش: الأخذ الشديد في كل شيء.
(٧) خُرُق: خروق.
(٨) العتق: النجائب من الخيل.

وينسب إليهما ـ خفيف ثقيلٍ أَوَّل بالبنصر. والصحيح أَنه لابن مسجح. وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّي. وذكر حبش أن لسياطٍ فيها لحناً ماخوريّاً بالوسطى. وفي هذه الأبيات زيادة يُغنّى فيها ولم يذكرها الزبير في خبره، وهي:

إنـي لأخـلـي لـهـا الـفـراش إذا ... قَـصَّـع فـي حِـضـن زوجـه الـحـمـقُ
عـن غـيـر بـغـضٍ لـهـا لـديّ ولـ ... ـكـن تـلـك مِـنّـي سـجـيَّـة خُـلـقُ

[المنسرح]

قال الزبير: أَراد بقوله في هذه الأبيات:

إن خـتـمـت جـاز طـيـنُ خـاتـمـهـا

أنها كانت عند سلطان جائز الأمر. والعبدية هي الدنانير، نسبها إلى عبد الملك. ثم وصل ابن قيس الرقيات هذه الأبيات ـ يعني الهائية ـ بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال:

صـوت

إسـمـع أمـيـر الـمـؤمـنـيـ ... ـيـن لـمـدحـتـي وثَـنـائـهـا
أنـت ابـن عـائـشـة الـتـي ... فـضـلـت أُرُوم[1] نـسـائـهـا
مـتـعـطّـف الأعـيـاص[2] حـو ... ل سـريـرهـا وفِـنـائـهـا
ولـدت أغـرَّ مُـبـاركـاً ... كـالـبـدر وسـط سـمـائـهـا

[مجزوء الكامل]

غنَّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنِّسه. وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيَّات في عبد الملك لا الوليد.

أَخبرني الحسين وابن أَبي الأزهر عن حمَّاد عن أَبيه عن المدائني: أَن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرمَ عبيد اللَّه بن قيس الرقيات وأمّنه، ثم تواثب[3] أَهل الشام ليقتلوه، قال: يا أَمير المؤمنين، أَتفعل هذا بي وأَنا الذي أقول:

اسـمـع أمـيـر الـمـؤمـنـيـ ... ـن لـمـدحـتـي وثـنـائـهـا

(١) الأروم: مفردها أرُومة وهي الأصل.
(٢) الأعياص: هم أولاد أميَّة بن عبد شمس الأكبر. وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبوه.
(٣) تواثب: يُقال تواثب القوم أي وثب كلٌّ منهم إلى الآخر وهنا بمعنى انقضّوا عليه.

أنـتَ ابـن مُـعـتـلـج الـبـطـا ح كـدَيِّـهـا[١] وكـدائـهـا[٢]
ولـبَـطـن عـائـشـة الـتـي فـضـلـت أروم نـسـائـهـا

[مجزوء الكامل]

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل «ولنسل عائشة». قال: لا بل «ولبطن عائشة». حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرَّات وهو يأبى إلا «ولبطن عائشة». فقال له عبد الملك: اسحنفر[٣] الآن. قال: وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكَّار.

وقد حدثنا به في خبر كثيّر مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العبَّاس اليزيديّ. قال: حدثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي.

وأَخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أَبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسيّ راوية كثيّر قال:

واللَّه إِني لأسير يوماً مع كثيّر، حتى إذا كنا ببطن جِدار (جبلٍ من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالةٍ[٤] متنقِّبة[٥]، معها عبِيد لها يسعون معها، فمرّت جنابي فسلَّمت ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت: من أَهل الحجاز. قالت: فهل تروي لكثيّر شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: أَما واللَّه ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيّراً وأسمع شعره، فهل تروي قصيدته:

أهـاجـك بـرقٌ آخِـرَ الـلـيـل واصِـبُ[٦]

قلت: نعم: فأنشدتها إياها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله:

كـأنـك لـم تـسـمـع ولـم تـرَ قـبـلـهـا تَـفـرُّق أُلّاف لـهـنّ حـنـيـنُ

[الطويل]

قلت: نعم وأنشدتها. قالت: فهل تروي قوله أَيضاً:

لـعـزّة مـن أَيـام ذي الـغـصـن شـاقـنـي

قلت: نعم وأنشدتها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله أَيضاً:

أأطـلالَ سُـعـدى بـالـلـوى تـتـعـهَّـدُ

(١) الكديّ: جبل بأسفل مكة، وجبل آخر بأسفل عرفة.
(٢) الكداء: اسم لعرفات، أو هو جبل بأعلى مكة.
(٣) اسحنفر: مضى ولم يتريث أو يتمكَّث.
(٤) الرحالة: المركب من الجلد لا خشب فيه.
(٥) متنقِّبة: تغطي وجهها بالنِّقاب.
(٦) واصب: دائم.

قلت: نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أرَ مثل العين ضنَّت بمائها عليّ ولا مثلي على الدمع يحسدُ

[الطويل]

قالت: قاتَلَهُ اللَّه! فهل قال مثل قول كثيّر أَحدٌ على الأرض. واللَّه لأن أكون رأيت كثيّراً، أو سمعت منه شعره أحبّ إليّ من مائة أَلف درهم. قال: فقلت: هو ذاك الراكبُ أمامك، وأنا السائب راويته. قالت: حياك اللَّه تعالى. ثم ركضت بغلتها حتى أَدركته فقالت: أَنت كثيّر؟ قال: مالكِ ويلك! فقالت: أَنت الذي تقول:

إذا حُسرتْ عنه العمامة راعها جميل المحيَّا أغفلته الدواهنُ[1]

[الطويل]

واللَّه ما رأيت عربيّاً قطّ أَقبح ولا أَحقر ولا أَلأم منك. قال: أنتِ واللَّه أَقبح مني وألأم. قالت له: أَوَلست القائل:

تراهنّ إلا أن يؤدّين نظرةً بمؤخر عينٍ أو يُقلِّبن معصما
كواظم[2] ما ينطقن إلا مَحورة[3] رجيعةَ قولٍ بعد أَن يُتَفَهَّما
يحاذرن مني غَيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلا تبسُّما

[الطويل]

لعن اللَّه من يفرق[4] منك. قال: بل لعنك اللَّه. قالت: أَوَلست الذي تقول:

إذا ضمريَّةٌ عطست فنِكها فإن عُطاسها طرَف الوِداقِ[5]

[الوافر]

قال: من أَنتِ؟ قالت: لا يضرّك أَن لم تعرفني ولا من أَنا. قال: واللَّه إني لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرة. قالت: حيَّاك اللَّه يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليّ وجهاً ولا لقاء منك. قال: لا حياكِ اللَّه، واللَّه ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منكِ. قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أَنك لئيمة من اللئام. فتعرّفت إليه فإِذا هي غاضرة أمّ ولدٍ لبشر بن مروان. قال: وسايرها حتى سندنا في الجبل من قِبَل زرود. فقالت له يا أَبا صخر، أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدِمتَ عليه. قال: أفي سبِّك إيَّاي أَو سبّي إياكِ تضمنين لي هذا؟ واللَّه لا أخرج إلى

---

(١) الدواهن: ما يدهن به.
(٢) كواظم: سواكت.
(٣) محورة: الرد، الجواب.
(٤) يفرق: يخاف.
(٥) الوِداق: الغلمة.

العراق على هذه الحال! فلما قامت تودّعه سفرت، فإذا هي أَحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجهاً. فأمرت له بعشرة آلاف درهم، فبعد شدٍّ ما قبلها وأمرت لي بخمسة آلاف درهم. فلمَّا ولَّوا قال: يا سائب أين نُعنّي أَنفسنا إلى عِكرمة، انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت. قال: وذلك قوله لمَّا فارقتنا:

شـجـا أَظـعـان غـاضـرة الـغـوادي بـغـيـر مـشـيـئـةٍ عـرضـاً فـؤادي

[الوافر]

وقد روى الزبير أَيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا، وخالف المعاني.

أَخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدثني سليمان بن عيَّاشٍ السعديُّ قال:

كان كثيّر يلقى حاجَّ المدينة من قريش بقُديد في كل سنة، فغفل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُدَيداً حتى ٱرتفع النهار، ثم ركب جملاً ثَقالاً[١] وٱستقبل الشمس في يوم صائف[٢]، فجاء قديداً وقد كلّ وتعب، فوجدهم قد راحوا. وتخلَّف فتى من قريش معه راحلته حتى يُبرِد. قال الفتى القرشي: فجلس كثيّر إلى جنبي ولم يسلّم عليَّ، فجاءت امرأة وسيمة جميلة، فجلست إلى خيمة من خيام قُديد وٱستقبلت كثيّراً فقالت: أأنت كثيّر؟ قال: نعم: قالت ابن أَبي جمعة؟ قال: نعم. قالت: الذي يقول:

لـعـزّة أطـلالٌ أبـت أَن تـكـلَّـمـا

قال: نعم. قالت: وأَنت الذي تقول فيها:

وكـنـتُ إذا مـا جـئـتُ أجـلـلـن مـجـلـسـي وأظـهـرن مـنّـي هَـيـبـةً لا تـجـهُّـمـا

[الطويل]

فقال: نعم. قالت: أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين. فضجر وقال: من أنت؟ فلم تجبه بشيء، فسأل المولياتِ اللواتي في الخباء بقديد عنها، فلم يخبرنه شيئاً، فضجر وٱختلط. فلما سكن من شأوه[٣] قالت: أأنت الذي تقول:

متى تـحـسـروا عـنـي الـعـمـامـة تُـبـصـروا جـمـيـل الـمـحـيَّـا أغـفـلـتـه الـدواهـنُ[٤]

[الطويل]

---

(١) جملا ثِقالاً: بطيأ في السير.
(٢) صائف: شديد الحرّ.
(٣) الشأو: الحزن.
(٤) الدواهن: ما يدهن به الرأس وغيره.

أهذا الوجه جميل المحيَّا؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين. فٱختلط وقال: واللَّه ما عرفتكِ، ولو عرفتك لفعلتُ وفعلت. فسكتت، فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول:

يروق العيون الناظرات كأنه هِرقليُّ[١] وزنٍ أحمر التبر راجحُ[٢]

[الطويل]

أهذا الوجه يروق العيون الناظرات؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة اللَّه ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين. فٱزداد ضجراً وغيظاً وٱختلاطاً وقال لها: قد عرفتك واللَّه لأقطعنَّك وقومك بالهجاء. ثم قام فٱلتفتُّ في أثره، ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت، فقلت لمولاة من مولياتها بقديد: لكِ اللَّه عليّ إن أَخبرتني مَن هذه المرأة لأطوينّ لكِ ثوبيَّ هذين إذا قضيتُ حَجّي ثم أُعطيكِهما. فقالت: واللَّه لو أعطيتني زِنَتهما ذهباً ما أخبرتك مَن هي؛ هذا كثيّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أُخبره. قال الفتى القرشي: فرُحت واللَّه وبي أشدُّ مما بكثيّر.

قال سليمان: وكان كثيّر دميماً[٣] قليلاً[٤] أحمر أقيشرَ[٥] عظيم الهامة قبيحاً.

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنى به

صوت

منها:

أشاقك برقٌ آخرَ الليل واصِبُ تضمَّنه فرْش الجَبا فالمساربُ
كما أومضتْ بالعين ثم تبسَّمت خريع[٦] بدا منها جبينٌ وحاجبُ
وهَبتُ لليلى ماءه ونباته كما كلُّ ذي وُدّ لمن ودّ واهبُ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الواصب: الدائم، يقال وصب يصب وصوباً أي دام. قال اللَّه سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي دائماً.

---

(١) هرقلّي: الدِّينار، منسوب إلى هرقل عظيم الروم لأنه أول من ضرب الدنانير.
(٢) راجح: رجحت كفته في الميزان، أي ثَقَل.
(٣) الدَّميم: البشع مع شيء من الحسن.
(٤) القليل: هو القصير من الرجال، الدقيق الجثَّة.
(٥) الأقيشر: مصغر الأقشر، وهو الشديد احمرار البشرة.
(٦) الخريع: المرأة البارعة الجمال.

ومنها:

صـوت

لـعـزّة مـن أَيَّـام ذي الـغـصـن شـاقـنـي بـضـاحـي قَـرار الـرّوضـتـيـن رسـومُ
هـي الـدار وحشاً غـيـر أَن قَـد يـحـلُّـهـا ويَـغـنـى بـهـا شـخـصٌ عـلـيَّ كـريـمُ
فـمـا بـرسـوم الـدَّار لـو كـنـتَ عـالـمـاً ولا بـالـتِّـلاع الـمُـقـويـات أَهـيـمُ
سألت حكيماً أَين شطَّت بها النوى فـخـبّـرنـي مـا لا أحـبُّ حـكـيـمُ
أَجـدّوا فـأَمَّـا آلُ عـزَّة غُـدوة فـبـانـوا وأَمَّـا واسـط فـمـقـيـمُ
لـعـمـري لـئـن كـان الـفـؤاد مـن الـهـوى بـغـى سـقـمـاً إنّـي إذاً لـسـقـيـمُ

[الطويل]

حكيمٌ هذا هو أَبو السائب بن حكيم راوية كثيّر. ذكر ذلك لنا اليزيدي عن ابن حبيب.

في هذه الأبيات لمعبد لحنان، أحدهما في الثلاثة الأول خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وابن المكيّ وحبشٍ. وفي الثلاثة الأخر التي أَولها:

سألت حكيماً أَين شطَّت بها النوى

له أَيضاً ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حبشٌ خاصةً أَن فيها لكردم خفيف ثقيل آخر، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشامي. وقال أحمد بن عبيد: فيه ثلاثة أَلحان: ثقيل أَوّل وخفيفه، وخفيف رملٍ.

أَخبرني الحرمي بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني المؤمّلي أَن ابن أَبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثيّر:

لـعـزّة مـن أَيـام ذي الـغـصـن شـاقـنـي بـضـاحـي قَـرار الـروضـتـيـن رسـومُ

[الطويل]

يتحازن حتى نقول: إنَّه يبكي.

أَخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي عن الضحّاك بن عثمان قال: قال عروة بن أذينة: كان الحزين الكناني الشاعر صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قينةٌ يهواها الحزين ويُكثر غِشيانها[1]، فبيعت وأخرجت عن المدينة، فأتى الحزين أَبي: وهو كئيب حزين

(١) غشيانها: جماعها.

كاسمه، فقال له أَبي: يا أَبا حكيمٍ ما لك؟ قال: أَنا واللَّه يا أَبا عامر كما قال كثيّر:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى ... بَغى سقماً إني إذاً لسقيمُ
سألت حكيماً أين شطَّت[1] بها النوى ... فخبّرني ما لا أُحبُّ حكيمُ

[الطويل]

فقال له أَبي: أَنت مجنون إن أقمت على هذا.

قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر:

وهذه القصيدة يقولها كثيّر في عزّة لما أُخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها:

ولست براءٍ نحو مصرَ سحابةً ... وإن بعدَت إلَّا قعدتُ أشيمُ[2]
فقد يوجد النكس[3] الدنيّ[4] عن الهوى ... عَزوفاً ويصبو المرء وهو كريمُ
وقال خليلي ما لها إذ لقيتها ... غداة الشَّبا[5] فيها عليك وجومُ[6]
فقلت له إن المودّة بيننا ... على غير فُحشٍ والصفاءُ قديمُ
وإني وإن أعرضتُ عنها تجلُّداً ... على العهد فيما بيننا لمقيمُ
وإن زماناً فرَّق الدهر بيننا ... وبينكمُ في صرفه لمشومُ
أَفي الحقّ هذا أنَّ قلبكِ سالمٌ ... صحيحٌ وقلبي في هواكِ سقيمُ
وأنَّ بجسمي منكِ داءً مخامراً[7] ... وجسمك موفورٌ عليك سليمُ
لعمرُكِ ما أنصفتني في مودَّتي ... ولكنني يا عزَّ عنك حليمُ
فإمَّا تريني اليوم أبدي جَلادةً ... فإني لعمري تحت ذاك كليمُ
ولستُ ابنة الضَّمري منك بناقم ... ذُنوبَ العدا إني إذاً لظلومُ
وإني لذو وجدٍ إذا عاد وصلها ... وإني على ربي إذاً لكريمُ

[الطويل]

ومنها:

---

(١) شطَّت: بَعُدت ونأت.
(٢) أشيم: أنظر إليها بانتباه.
(٣) النكس: ناقض العهد.
(٤) الدنيّ: الخسيس.
(٥) الشَّبا: وادٍ بالأثيل من جوانب المدينة.
(٦) وجوم: سكوت على غيظ.
(٧) مخامِراً: ملازماً.

صـوت

لـعـزّة أطـلالٌ أبـت أن تـكـلّـمـا تـهـيـج مـغـانـيـهـا الـفـؤاد الـمـتـيَّـمـا
وكـنـت إذا مـا جـئـتُ أجـلـلـنَ مـجـلـسـي وأظـهـرن مـنّـي هـيـبـةً لا تـجـهُّـمـا
يُـحـاذرن مـنّـي غَـيـرةً قـد عـرفـتـهـا قـديـمـاً لـمـا يـضـحـكـن إلّا تـبـسُّـمـا

[الطويل]

عروضه من الطويل. غنّى فيه مالك بن أَبي السمح لحنين عن يونس، أحدهما ثقيل أَوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيره ينسبه إلى معبد. والآخر ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش، وفيه لابن مُحرز خفيف ثقيل أَول بالبنصر عن عمرو والهشامي. وغيره يقول: إنه لحن مالك. وفيه لابن سُريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى.

وأَخبرني أَحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به عن مسرور الخادم:

أن الرشيد لما أَراد قتل جعفر بن يحيى لم يُطلع عليه أَحداً بَتَّة. ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له: اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس به واصطبح[1] فإني مصطبح مع الحُرَم. فمضى جعفر، وفعل الرشيد ذلك. ولم يزل برّ الرشيد وألطافه[2] وتحفه وتحياته تتابع إليه لئلا يستوحش. فلما كان في الليل دعاني فقال لي: اذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيى، وضمَّ إليّ جماعةً من الغلمان، فمضيت حتى هجمتُ عليه منزله. وإذا أبو زكّار الأعمى يغنّيه بقوله:

فـلا تـبـعـد فـكـل فـتـىً سـيـأتـي عـلـيـه الـمـوت يـطـرُقُ أو يـغـادي

[الوافر]

فقلت له: في هذا المعنى ومثله واللّه جئتك فأجب. فوثب وقال: ما الخبر يا أَبا هاشم جعلني اللّه فداءك! قلت: قد أُمرتُ بأخذ رأسك. فأكبّ على رجلي فقبَّلها وقال: اللّه اللّه، راجع أمير المؤمنين فيّ. فقلت: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: فأعهد؟ قلت: ذاك لك. فذهب يدخل إلى النساء فمنعته، وقلت: اعهد في موضعك. فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دهَشٍ ثم قال لي: يا أَبا هاشم بقيت واحدة. قلت: هاتها. قال: خذني معك إلى أَمير المؤمنين حتى أخاطبه. قلت: ما لي إلى ذلك

(١) إصطبَحَ: أكل طعام الصباح.
(٢) اللّطف: الهدية جمعها ألطاف.

سبيل. قال: ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ. فقلت: هيهات ما شرب اليوم شيئاً. قال: فخذني واحبسني عندك في الدار، وعاوِده في أَمري. قلت: أفعل. فأخذته، فقال لي أبو زكَّار الأعمى: نشدتك اللَّه إن قتلته إلَّا ألحقتني به. قلت له: يا هذا لقد اخترت غير مختار. قال: وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه، وأغناني عمن سواه، فما أحب الحياة بعده. فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكَّلت به، ودخلت إلى الرشيد، فلما رآني قال: أين رأسه ويلك؟ فأخبرته بالخبر. فقال: يا ابن الفاعلة، واللَّه لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنّ رأسك! فمضيت إليه، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه. ثم أخبرته خبره، وذكرت له خبر أَبي زكَّار الأعمى، فلما كان بعد مدة أمرني بإحضاره، فأحضرته، فوصله وبرّه وأمر بالجراية عليه.

* * *

صـــوت

شعر في خولة غنّى فيه:

قـفـا فـي دار خـولـة فـاسـألاهـا ... تَـقـادم عـهـدُهـا وهـجـرتُـمـاهـا

بـمـحـلالٍ[1] يـفـوح الـمـسـك مـنـه ... إذا هـبَّـت بـأبـطـحـه[2] صَـبـاهـا[3]

أَتـرعـى حـيـث شـاءت مـن حـمـانـا ... وتـمـنـعـنـا فـلا نـرعـى حِـمـاهـا

[الوافر]

عروضه من الوافر. الشعر لرجل من فزارة. والغناء ذكر حمادٌ عن أَبيه أَنه لمعبد، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مِسجح. وطريقته من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى.

(١) المِحلال: الأرض السهلة الخصبة.

(٢) الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى.

(٣) الصَّبا: أي ريح الصِّبا، وهي ريح مهبُّها جهة الشرق.

نسب منظور بن زبان

وهذا الشعر يقوله الفزاري في خولة بنت منظور بن زبان بن سيَّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُميّ بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان. وكان منظور بن زَبَّان سيّد قومه غير مدافع، أمه قِهطم بنت هاشم بن حَرمَلة ـ وقد ولدت أَيضاً زهير بن جذيمة ـ فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه. وهو أحد من طال حَملُ أمّه به.

سبب تسميته منظوراً:

قال الزبير بن بكار فيما أجاز لنا الحرميّ بن أَبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدّثا به عنه حدثتني مُغيرة بنتُ أَبي عديّ. قال الزبير وقد حدثني هذا الحديث أَيضاً إبراهيم بن زيادٍ عن محمد بن طلحة، وحدثنيه أَحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلويّ عن الزبير قالا جميعاً:

حملت قِهطم بنت هاشم بمنظور بن زبَّان أَربع سنين، فولدته وقد جمع فاه فسماه أَبوه منظوراً لذلك ـ يعنيَ لطول ما انتظره ـ وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة:

ما جئتَ حتى قيل ليس بوارِدٍ ... فسميتَ منظوراً وجئتَ على قدرِ
وإني لأرجو أَن تكون كهاشمٍ ... وإني لأرجو أَن تسود بني بدرِ

[الطويل]

تزوج مليكة زوج أبيه:

ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن الكلبي وابن عيَّاشٍ، وذكر بعضه الزبير بن بكَّار عن عمه عن مجالد:

أَن منظور بن زبان تزوَّج امرأة أبيه ـ وهي مُليكة بنت سِنان بن أبي حارثة المرّي ـ فولدت له هاشماً وعبدالجبَّار وخولة، ولم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه. وكان يشرب الخمر أَيضاً، فرُفع أمره إلى عمر، فأحضره وسأله عما قيل، فاعترف به وقال: ما علمت أنها حرام. فحبسه إلى وقت صلاة

العصر، ثم أحلفه أنَّه لم يعلم أَن اللَّه جلّ وعزّ حرّم ما فعله. فحلف ـ فيما ذكر ـ أربعين يميناً. فخلى سبيله، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفتَ لضربت عنقك.

قال ابن الكلبي في خبره: إن عمر قال له أتنكحُ امرأة أَبيك وهي أمك؟ أوَ ما علمتَ أَن هذا نكاح المقتِ[١]! وفرَّق بينهما. فتزوّجها محمد بن طلحة.

قال ابن الكلبي في خبره:

فلما طلَّقها أسف عليها وقال فيها:

ألا لا أُبالي اليوم ما صنع الدَّهرُ إذا مُنعتْ مني مُليكة والخمرُ
فإن تكُ قد أمستْ بعيداً مَزارُها فحيّ ابنة المرّيّ ما طلع الفجرُ
لعمريَ ما كانت مُليكة سَوءةً ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثلها سِترُ

[الطويل]

وقال أيضاً:

لعمرُ أَبي، دِينٌ يفرّق بيننا وبينك قَسراً[٢] إنَّه لعظيمُ

[الطويل]

وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيَينة بن حِصن بن حُذيفة لمنظور:

لبئس ما خلف الآباء بعدهمُ في الأمهات عجانُ الكلب منظورُ
قد كنتَ تغمزها والشيخ حاضرُها فالآن أنت بطول الغمز معذورُ

[البسيط]

قال أبو الفرج الأصفهاني: أخطأ ابن الكلبي في هذا. وإنما طلحة بن عبيد اللَّه الذي تزوّجها؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج، ثم قُتل عنها يوم الجمل، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام. وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحُسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال علي عليه السلام فقال الحُسيني لأمير المدينة: هذا الظالم الضالع[٣] الظالع[٤] ـ يعني إبراهيم ـ

(١) نكاح المقت: المقت البغض، ونكاح المقت أن يتزوج المرء امرأة أبيه بعده.
(٢) قسراً: قهراً.
(٣) الضالع: الجائر.
(٤) الظالع: المتّهم.

فقال له إبراهيم: واللَّه إني لأبغضك. فقال له الحسيني: صادق، واللَّه يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أَبي أباك وجدَّك، وناك عمي أمَّك؟ ـ لا يَكني ـ فأمر بهما فأُقيما من بين يدي الأمير.

لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها:

رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال: فلمَّا فرَّق عمر رضي اللَّه عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوماً وهي تمشي في الطريق ـ وكانت جميلة رائعة الحسن ـ فقال: يا مُليكة، لعن اللَّه ديناً فرّق بيني وبينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها، فقال له منظور: كيف رأيت أثر أَيري في حِر مُليكة؟ قال: كما رأيتَ أَثر أيرِ أَبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمر رضي اللَّه عنه الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه.

وقال الزبير في حديثه: فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد اللَّه خولة بنت منظورٍ فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم بني محمد بن طلحة، ثم قتل عنها يوم الجمل، فخلف عليها الحسن بن علي بن أَبي طالب عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن رضي اللَّه عنهما.

قال الزبير: وقال محمد بن الضحَّاك الخزاميّ عن أَبيه:

تزوج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور، زوّجه إياها عبد اللَّه بن الزبير وكانت أختها تحته.

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني موسى بن عبيد اللَّه بن الحسن قال:

جعلت خولة أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوجها، فبلغ ذلك منظور بن زبَّان فقال: أمثلي يُفتات[1] عليه في ابنته! فقدم المدينة، فركز راية سوداء في مسجد رسول اللَّه ﷺ، فلم يبق قيسيّ بالمدينة إلا دخل تحتها، فقيل لمنظور بن زبَّان: أَين يُذهَب بك! تزوّجها الحسن بن علي عليه السلام وليس مثله أَحد. فلم يقبل. وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل، فقال له: ها، شأنك بها. فأخذها وخرج بها. فلما كان بقباءٍ جعلت خولة تندِّمه[2] وتقول: الحسن بن علي سيد شباب أَهل الجنة. فقال: تلبَّثي هاهنا، فإِن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا. قال: فلحقه الحسن

(١) يُفتَات عليه: يفترى عليه، يُقدح فيه.
(٢) تندِّمه: تجعله تندم.

والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عبَّاس، فتزوّجها الحسن، ورجع بها. قال الزبير: ففي ذلك يقول جفير العبسي:

إن الندى من بني ذبيان قد علموا ... والجود في آل منظور بن سيَّارِ
ألماطرين بأيديهم ندًى ديماً ... وكلَّ غيثٍ من الوسميّ[١] مِدرارِ[٢]
تَزور جاراتهم وهناً[٣] فواضلهم[٤] ... وما فتاهم لها سرّاً بزوَّارِ
ترضى قريشُ بهم صهراً لأنفسهم ... وهمْ رضاً لبني أختٍ وأصهارِ

[الطويل]

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني ابن أبي أيّوب عن ابن عائشة المغنّي عن معبد:

أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن علي عليهما السلام، فلما أسنَّت مات عنها أو طلَّقها، فكشفت قِناعها وبرزت للرجال، قال معبد: فأتيتها ذات يوم أطالبها بحاجةٍ، فغنَّيتها لحني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فزارة، وكان خطبها فلم يُنكحها أبوها:

قِفا في دار خولة فاْسألاها ... تقادم عهدها وهجرتُماها
بمحلالٍ كأن المسك فيه ... إذا فاحت بأبطحه صَباها
كأنكِ مُزنةٌ[٥] برقت بليلٍ ... لحرَّانٍ يُضيءُ له سَناها
فلم تُمطر عليه وجاوزتُه ... وقد أشفى عليها أو رجاها
وما يملا فؤادي فاعلميه ... سلوُّ النفس عنكِ ولا غِناها
وترعى حيث شاءت من حِمانا ... وتمنعنا فلا نرعى حِماها

[الوافر]

قال: فطربت العجوز لذلك، وقالت: يا عبد بن قطن، أنا والله يومئذٍ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرصة.

---

(١) الوسميّ: مطر الربيع.
(٢) المِدرار: المنهمر بغزارة.
(٣) الوهن: نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه.
(٤) الفواضل: الأيادي الجسيمة أو الجميلة.
(٥) المُزنة: المطرة.

صـوت

لـلَّـهِ در عِـصـابـةٍ صـاحـبـتُـهـم يـومَ الـرُّصـافـة مـثـلـهـم لـم يـوجـدِ
مـتـقـلِّـديـن صَـفـائـحـاً هِـنـديَّـة يـتـركـن مَـن ضـربـوا كـأن لـم يـولـدِ
وغـدا الـرجـال الـثـائـرون كـأنّـمـا أبـصـارهـم قِـطَـع الـحـديـد الـمـوقَـدِ

[الكامل]

عروضه من الكامل. الشعر للجحَّاف السُّليم الموقع ببني تغلب في يوم البشر. والغناء للأبجر ثقيل أوَّل البنصر في مجراها عن إسحاق.

خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

هو الجحَّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خُزاعي بن مُحاربي بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيم بن منصور.

وكان السبب في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعليّ بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أَبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيبٍ عن ابن الأعرابي، وأَخبرنا إبراهيم بن أَيوب عن ابن قتيبة، وأَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبَّة، وقد جمعتُ روايتهم. وأكثر اللفظ في الخبر لابن حبيب:

أن عُميرَ بن الحُباب لما قتلته بنو تغلب بالحشَّاك ـ وهو إلى جانب الثرثار، وهو قريبٌ من تكريت ـ أتى تميم بن الحُباب أخوه زُفَر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير، وسأله الطلب له بثأره، فكره ذلك زفَر، فسار تميم بن الحُباب بمن تبعه من قيس، وتابعه على ذلك مسلم بن أَبي ربيعة العقيلي. فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم؛ فقال: أين تريدون؟ فأخبروه بما كان من زفر؛ فقال: أمهلوني أَلقَ الشيخ. فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفَر؛ فقال: ما صنعت! واللَّه لئن ظُفر بهذه العصابة إنه لعارٌ عليك، ولئن ظفروا إنه لأشدّ؛ قال زفَر: فٱحبس عليّ القوم؛ وقام زفر في أصحابه، فحرَّضهم، ثم شخص واستخلف عليهم أَخاه أَوساً، وسار حتى انتهى إلى الثرثار فدفنوا أصحابهم، ثم وجّه زفر بن الحرث يزيد بن حُمران في خيل، فأساء إلى بني فَدَوكس من تغلب، فقتل رجالهم واستباح أموالهم، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها. وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً. وبعث مُسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل.

وبلغ ذلك بني تغلب واليمن، فٱرتحلوا يريدون عبور دجلة، فلحقهم زفَر بالكحَيل ـ وهو نهرٌ أسفل الموصل مع المغرب ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً، وترجّل أصحاب زفَر أَجمعون، وبقي زفر على بغل له، فقتلوهم من ليلتهم، وبقَروا ما وجدوا من النساء. وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف، وأنَّ الدم

كان في دجلة قريباً من رمية سهم. فلم يزالوا يقتلون مَن وجدوا حتى أصبحوا؛ فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتل، فتذامروا وقالوا: لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً، فاتّبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس ـ وتغلب قد رمت بأنفسها تعبر في الماء ـ فخرج من الماء وأقام في موضعه. فهذه الوقعةُ الحرجيَّة لأنهم أحرِجوا فألقوا أنفسهم في الماء.

ثم وجَّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه، وأمرهم ألَّا يلقوْا أحداً إلا قتلوه، فانصرفوا من ليلتهم، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة من أصحابه، حتى أتى رأس الأثيل، ولم يُخلِّ بالكحَيل أحداً ـ والكحيل على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ـ فصعد قبل رأس الأثيل، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب، فقاتلهم بقية ليلتهم، فهربت تغلب وصبرت اليمن. وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير. ففي ذلك يقول زفَر بنُ الحارث، وقد ذكر أنها لغيره:

ولـمَّـا أَن نـعـى الـنـاعـي عُـمـيـراً ... حـسـبـتُ سـمـاءهـم دهـيـت بـلـيـلِ

دهيت بليل، أي أظلمت نهاراً كأن ليلاً دهاها.

وكـان الـنـجـمُ يـطـلـع فـي قَـتـامٍ[1] ... وخـاف الـذلَّ مـن يـمـن سُـهـيـلِ
وكـنـت قـبـيْـلَـهـا يـا أُمَّ عـمـرٍو ... أُرجِّـل[2] لِـمَّـتـي[3] وأجـرُّ ذيـلـي
فـلـو نُـبـش الـمـقـابـر عـن عـمـيـر ... فـيـخـبـرَ مـن بـلاء أبـي الـهـذيـلِ
غـداةَ يـقـارعُ الأبـطـال حـتـى ... جـرى مـنـهـم دماً مَـرج الـكُـحَـيـلِ
قـبـيـلٌ يـنـهـدون[4] إلـى قـبـيـلٍ ... تـسـاقـى الـمـوت كـيـلاً بـعـد كـيـلِ

[الوافر]

وفي ذلك يقول جرير يعيّر الأخطل:

أَنـسـيـتَ يـومـك بـالـجـزيـرة بـعـدمـا ... كـانـت عـواقـبـه عـلـيـك وبـالَا![5]

(١) القتام: الغبار.
(٢) أُرجِّل: أمشط.
(٣) لِمَّتي: اللمَّة الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٤) ينهدون: ينهضون.
(٥) الوبال: الشدّة والثِّقل.

حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلها شُعثاً عوابسَ تحمل الأبطالَا
ما زلت تحسبُ كلّ شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليكم ورجالَا
زفرُ الرئيس أَبو الهذيل أبادكم فسبى النساء وأحرز الأموالَا

[الكامل]

فلما أَن كانت سنة ثلاث وسبعين، وقتل عبد اللَّه بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وتكافَّت[١] قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة، وظنّ كلُّ واحد من الفريقين أَنَّ عنده فضلاً لصاحبه، وتكلَّم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه؛ فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله:

ألا سائل الجحَّاف هل هو ثائرٌ بقتلى أصيبت مِن سُلَيم وعامرِ!
أجحافُ إن نهبطْ عليك فتلتقي عليك بحورٌ طاميات[٢] الزواخرِ
تكن مثل أبداءِ الحباب الذي جرى به البحر تزهاهُ[٣] رياح الصراصرِ

[الطويل]

فوثب الجحاف يجرّ مُطرفه وما يعلم من الغضب، فقال عبد الملك للأخطل: ما أحسبك إلَّا قد كسبتَ قومك شرّاً. فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلب، وصحبه من قومه نحوٌ من أَلف فارسٍ، فثار بهم حتى بلغ الرُّصافة ـ قال: وبينها وبين شط الفرات ليلةٌ، وهي في قبلة الفرات ـ ثم كشف لهم أمره، وأنشدهم شعر الأخطل، وقال لهم: إنما هي النار أَو العار، فمن صبر فليقدِم ومن كره فليرجع، قالوا: ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ، فأخبرهم بما يريد، فقالوا: نحن معك فيما كنت فيه من خيرٍ وشرٍّ.

فارتحلوا فطرقوا صُهَينَ بعد رؤبة[٤] من الليل ـ وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل ـ ثم صبَّحوا عاجنة الرَّحوب في قبلة صُهَين والبشر ـ وهو وادٍ لبني تغلب ـ فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم، وبقروا من النساء من كانت حاملاً، ومن كانت غير حامل قتلوها. فقال عمرو بن شبَّة في خبره: سمعت

(١) تكافَّت: توقفَّت.
(٢) طاميات: ممتلئات.
(٣) تزهاه: تهزه وتحركّه.
(٤) رؤبة: قطعة.

أَبي يقول: صعد الجحاف الجبل ـ فهو يوم البشر، ويقال له أَيضاً يوم عاجنة الرَّحوب، ويومُ مُخاشن، وهو جبلٌ إلى جنب البشر، وهو مرج السَّلَوطَح لأنه بالرحوب ـ وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أَبو غِياثٍ، ففي ذلك يقول جرير له:

شربتَ الخمر بعد أَبي غِياثٍ فلا نعمت لك السَّوءات بالَا

[الوافر]

قال عمرو بن شبَّة في خبره خاصَّةً:

ووقع الأخطل في أَيديهم، وعليه عباءةٌ دنسة، فسألوه فذكر أَنه عبدٌ من عبيدهم، فأطلقوه؛ فقال ابن صفَّار في ذلك:

لم تنج إلا بالتعبُّد نفسه لمَّا تيقن أنهم قومٌ عِدَا

وتشابهت بُرقُ العباء عليهمُ فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

[الكامل]

وجعل ينادي: من كانت حاملاً فإِليّ، فصعدن إليه، فجعل يبقر بطونهنّ. ثم إن الجحاف هرب بعد فعله، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم، فلحق الجحاف عبيدة بن همام التغلبيّ دون الدّرب، فكرّ عليه الجحاف فهزمه، وهزم أصحابه وقتلهم، ومكث زمناً في الروم، وقال في ذلك:

فإن تطردوني تطردوني وقد مضى من الوِرد يومٌ في دماءِ الأراقم[1]

لدن ذرَّ قرن الشمس حتى تلبَّستْ ظلاماً بركض المُقربات[2] الصلادم[3]

[الطويل]

حتى سكن غضب عبد الملك، وكلَّمته القيسية في أَن يؤمنه، فلانَ وتلكأ، فقيل له: إنا واللَّه لا نأمنه على المسلمين إن طال مُقامُه بالروم؛ فأمَّنه، فأقبل فلما قدِم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف:

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني[4] على القتل أَم هل لامني لك لائمي

أبا مالكٍ إني أطعتك في التي حضضتَ عليها فعلَ حرّان حازمِ

(١) الأراقم: حي من تغلب وهم جشم، وسموا بهذا الاسم لشبه عيونهم بعيون الأراقم من الحيات.

(٢) المقربات: الضامرات من الخيل المعدَّة للركوب لقربها.

(٣) الصلادم: مفردها صلدم، وهو الفرس الصلب الشديد.

(٤) حضضتني: شجعتني.

فإن تدعُني أخرى أجبك بمثلها وإني لطبٌّ[١] بالوغى[٢] جِدُّ عالم
[الطويل]

قال ابن حبيب:

فزعموا أن الأخطل قال له: أراك واللَّه شيخ سَوءٍ. وقال فيه جرير:

فإنك والجحاف يوم تحضُّه أردتَ بذاك المُكثَ والورد أعجلُ
بكى دَوبلٌ لا يُرقِىءُ اللَّه دمعه ألا إنما يبكي من الذُّلّ دوبلْ[٣]
وما زالت القتلى تمورُ[٤] دماؤهم بدجلة حتى ماءُ دجلة أَشكلُ[٥]
[الطويل]

فقال الأخطل: ما لجرير لعنه اللَّه! واللَّه ما سَمَّتني أمي دَوبلاً إلَّا وأَنا صبيّ صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبرت. وقال الأخطل:

لقد أوقع الجحَّاف بالبشر وقعةً إلى اللَّه منها المشتكى والمُعَوَّلُ[٦]
فسائل بني مروان ما بالُ ذمَّةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يُوَصّلُ
فإلَّا تغيّرْها قريش بملكها يكن عن قريشٍ مستراداً[٧] ومَزحَلُ[٨]
[الطويل]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا: فإلى أَين يا ابن النصرانية؟ قال: إلى النار قال: أولى لك لو قلت غيرها! قال: ورأى عبد الملك أَنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر، فأمر الوليد بن عبد الملك، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب، وضمن الجحَّاف قتلى البشر، وألزمه إياها عقوبةً له، فأدّى الوليد الحمالات، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنه من هوازن، فسأل الإذن على الحجاج، فمنعه، فلقي أسماء بنَ خارجة، فعصب حاجته به فقال: إني لا أقدِرُ لك على منفعةٍ، قد علم الأمير

(١) الطبّ: الخبير الحاذق.
(٢) الوغى: الحرب.
(٣) الدوبل: الخنزير أو ولده.
(٤) تَمور: تجري.
(٥) أشكل: ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة.
(٦) المعوَّل: المستعان به.
(٧) المُستراد: المرعى.
(٨) مَزحل: مبعد، يقال زحل من مكانه أي زال وتنحّى.

بمكانك وأبى أَن يأذن لك؛ فقال: لا واللَّه لا أُلزمها غيرك أنجحت أَو أكدت[١].

فلما بلغ ذلك الحجاج قال: ما له عندي شيء، فأبلغه ذلك؛ قال: وما عليك أن تكون أَنت الذي تؤئسه فإنه قد أبى، فأذن له فلما رآه قال: أعهدتني خائناً لا أبا لك! قال: أَنت سيد هوازن، وقد بدأنا بك، وأَنت أمير العراقين[٢]، وابن عظيم القريتين[٣]، وعِمالتك في كل سنة خمسمائة ألف درهم، وما بك بعدها حاجة إلى خيانةٍ؛ فقال: أَشهد أَن اللَّه تعالى وفّقك، وأنّك نظرت بنور اللَّه، فإذا صدقت فلك نصفها العام، فأعطاه وأدَّوا البقية. قال: ثم تألّه[٤] الجحاف بعد ذلك، واستأذن في الحج، فأذن له، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأبرَوا أنوفهم، أي خزموها وجعلوا فيها البرى[٥]، ومشوا إلى مكة فلما قدِموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ويعجبون منهم.

قال: وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللَّهم اغفر لي وما أراك تفعل! فقال له ابن عمر: يا هذا، لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول؛ قال: فأنا الجحاف، فسكت. وسمعه محمد بن علي بن أَبي طالب عليه السلام، وهو يقول ذلك؛ فقال: يا عبد اللَّه، قُنوطُك[٦] من عفو اللَّه أعظم من ذنبك!

قال عمر بن شبَّة في خبره: كان مولد الجحاف بالبصرة.

قال عبد اللَّه بن إسحاق النحويُّ: كان الجحاف معي في الكتَّاب، قال أَبو زيد في خبره أَيضاً: ولمَّا أمّنه عبد الملك دخل عليه في جُبَّة صوف، فلبث قائماً، فقال له عبد الملك: أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتِك، فأنشده قوله:

صبرتْ سليمٌ للطعان وعامرٌ وإذا جزعنا[٧] لم نجد من يصبرُ
[الكامل]

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، ما أكثر من يصبر! ثم أنشده:

نحن الذين إذا علوْا لم يفخروا يوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا
[الكامل]

---

(١) أكدت: حفرت فبلغت الكدية وهي الصخرة، فتوقفت عن الحفر.
(٢) العراقان: البصرة والكوفة.
(٣) القريتان: مكة والطائف.
(٤) تألَّه: تعبَّد وتنسَّك وتزهّد.
(٥) البرى: مفردها برة، وهي الحلقة التي توضع في أنف البعير.
(٦) القنوط: اليأس. (٧) الجزع: نقيض الصبر.

فقال عبد الملك: صدقت، حدثني أَبي عن أَبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة.

حُدِّثتُ عن الدمشقي عن الزبير بن بكار، وأَخبرني وكيعٌ عن عبد اللَّه بن شبيب عن الزبير بن بكارٍ عن عبد الرحمن بن أَبي الزناد عن أَبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان:

أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضرٌ في مجلسه ينشد:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ بقتلى أصيبت من سليم وعامرِ

[الطويل]

قال: فتقبَّض وجهه في وجه الأخطل. ثم إن الأخطل لمَّا قال له ذلك قال له:

نعم سوف نبكيهم بكل مُهنَّدٍ(١) ونبكي عميراً بالرماح الخواطرِ(٢)

[الطويل]

ثم قال: ظننتُ أنك يا ابن النصرانية لم تكن تجترئ عليَّ ولو رأيتني لك مأسوراً، وأوعده، فما برح الأخطل حتى حُمَّ، فقال له عبد الملك: أَنا جارك منه؛ قال: هذا أجرتَني منه يقظان، فمن يجيرني منه نائماً؟ قال: فجعل عبد الملك يضحك. قال: فأما قول الأخطل:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ بقتلى أصيبت من سُلَيم وعامرِ

[الطويل]

فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحُباب السلمي.

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أَبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل:

أن قيساً وتغلب تحاشدوا لِما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهطٍ، فكانوا يتغاورون(٣). وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوباذ وما حوله، وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها، إلا أن بكر بن جُشَم لم تجتمع أحلافهم من النَّمر بن قاسط. فحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم. وكانت

(١) المهنَّد: السيف المشحوذ.

(٢) الرماح الخواطر: الرماح المهتزَّة القاطعة.

(٣) يتغاورون: يغيرون على بعضهم.

تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعة وأخلاط مضر، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأَذربيجان، فأتاهم شعيبُ بن مُلَيل في ألفي فارس. وٱستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد؛ فقال:

أيا أخوَينا من تميم هديتما ... ومن أسد هل تسمعان المناديا
ألم تعلما مُذ جاء بكر بن وائل ... وتغلب ألفافاً[1] تهزّ العواليا
إلى قومكم قد تعلمون مكانهم ... وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

[الطويل]

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المجشَّر بن الحارث بن عامر بن مرَّة بن عبد اللَّه بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة. وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشَّاك.

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائلٍ ... بني عمنا فالدهر ذو متغيِّرِ
فسوف نخيض[2] الماء أو سوف نلتقي ... فنقتصَّ من أبناء عم المجشَّرِ

[الطويل]

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرَّة في جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار، فقتل. وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد اللَّه بن زياد بن ظَبيان، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همَّام، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان بن زياد أخي عبيد اللَّه بن زياد فقتله. وفي هذا السبب كانت فُرقة عبيد اللَّه لمصعبٍ، وجمعت تغلب فأكثرت، فلما أتى عميراً كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم:

أناديهم وقد خذلت كلاب ... وحولي من ربيعة كالجبالِ
أقاتلهم بحيّ بني سُليمٍ ... ويعصر[3] كالمصاعيب[4] النِّهال[5]

---

(١) ألفاف: جماعات.
(٢) نُخيض: نجعله يخوض في الماء.
(٣) يعصر: موضع.
(٤) المصاعيب: مفردها مصعب وهو الفحل الذي يخلّى للفحلة فقط.
(٥) النِّهال: مفردها ناهل وهو البعير الذي شرب حتى روي.

فـدًى لـفـوارس الـثـرثـار قـومـي وما جَمَّعتُ من أهلي ومالي
فـإمَّـا أمـسِ قـد حـانـت وفـاتـي فـقـد فـارقـت أعـصـر غـيـر قـالِ
أَبـعـدَ فـوارس الـثـرثـار أرجـو ثَـراء الـمـال أَو عـدد الـرجـالِ!

[الوافر]

ثم زحف العسكران، فأتت قيسٌ وتغلب الثرثار، بين رأس الأثيل والكحَيل، فشاهدوا القتال يوم الخميس. وكان شعيب بن مُليلٍ وثعلبة بن نياطٍ التغلبيان قدِما في ألفي فارس في الحديد، فعبروا على قرية يقال لها لِبَّى على شاطئ دجلة بين تكريت وبين الموصل، ثم توجهوا إلى الثرثار، فنظر شعيبٌ إلى دواخن[1] قيس، فقال لثعلبة بن نياط: سِر بنا إليهم، فقال له: الرأي أَن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً، فقال شعيبٌ: واللَّه لا تحدَّث تغلب أني نظرت إلى دواخنهم ثم ٱنصرفت عنهم، فأرسل ناساً من أصحابه قُدَّامه وعميرٌ يقاتل بني تغلب. وذلك يوم الخميس، وعلى تغلب حنظلة بن هَوبرٍ، أحد بني كنانة بن تميم.

فجاء رجلٌ من أَصحاب عميرٍ إليه فأخبره أَن طلائع شعيب قد أتته، وأنه قد عدل إليه، فقال عميرٌ لأصحابه: اكفوني قتال ابن هوبرٍ، ومضى هو في جماعة من أصحابه، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ، فقتلهم كلهم غير رجل من بني كعب بن زهير يقال له: قتبُ بن عبيد، فقال عميرٌ: يا قتب، أخبرني ما وراءك؟ قال: قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه. وفارق ثعلبة بن نياط شعيباً، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ، فقاتل معه القيسيَّة، فقتل، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً، فما صُلِّيت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون، وقطعت رجل شعيب يومئذٍ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول:

قـد عـلـمـت قـيـسٌ ونـحـن نـعـلـم أَن الـفـتـى يـفـتـك وهـو أجـذمُ[2]

[الرجز]

فلما قتل شعيب نزل أصحابه، فعقروا دوابّهم، ثم قاتلوا حتى قتلوا، فلما رآه عمير قتيلاً قال: من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقيراً فها هوذا. وجعلت تغلب يومئذٍ ترتجز وتقاتل وهي تقول:

إنـعَـوا إيـاسـاً واندبـوا مُـجـاشـعـا كـلاهـمـا كـان كـريـمـاً فـاجـعـا

(١) الدواخن: مفردها داخنة وهي المنفذ الذي تخرج منه الأدخنة أي المدخنة.
(٢) الأجذم: الأقطع.

ويَـهِ[١] بـنـي تـغـلـب ضـربـاً نـاقـعـا[٢]

[الرجز]

وٱنصرف عميرٌ إلى عسكره، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيبٍ، فحميتْ على القتال وتذامرت على الصبر، فقال محصنُ بن حصين بن جنجور أحد الأبناء: مضيت أنا ومن أَفلتَ من أَصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهباً في صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرناه، فأمر تلميذاً له، فجاءه بخرَق فداوى جراحنا، وذلك غداة يوم الجمعة. فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبر مقتل عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم.

صـوت

إنَّ جـنـبـي عـلـى الـفـراش لـنـابِ كـتـجـافـي الأسـرِّ فـوق الـظِّـرابِ[٣]
مـن حـديـثٍ نـمـى إلـيّ فـمـا أَطـ ـعـم غُـمـضـاً[٤] ولا أسـيـغ شـرابـي
لـشُـرَحـبـيـل إذ تـعـاوره الأر مـاح فـي حـال شـدَّة وشـبـابِ
فـارس يـطـعـن الـكـمـاة جـريء تـحـتـه قـارحٌ[٥] كـلـون الـغـرابِ

[الخفيف]

عروضه من الخفيف. الأسرّ: البعير الذي يكون به السَّرَر، وهي قرحةٌ تخرج في كِركرته، لا يقدر أَن يَبرك إلا على موضع مُستوٍ من الأرض، والظراب: النشوزُ والجبال الصغار، واحدها ظربٌ. والشعر لغلفاء، وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكنديّ يرثي أخاه شُرَحبيل قتيل يوم الكلاب الأول، والغناء للغريض ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو.

* * *

وكان السبب في مقتله وقصَّة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ وعليُّ بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أَخبرني إبراهيم بن سَعدان عن أَبيه عن أبي عبيدة قال أَخبرني دماذ عن أَبي عبيدة قال:

---

(١) ويه: كلمة حض وإغراء وتحريض.
(٢) الناقع: البالغ الشديد المؤدي للقتل.
(٣) الظِّراب: مفردها ظرب وهو الجبل الصغير.
(٤) الغُمض: النوم والراحة.
(٥) القارح: الفرس الذي أتم الخمس سنوات ودخل في السادسة.

كان من حديث الكلاب الأول أَن قُباذ ملك فارس لمَّا ملك كان ضعيف المُلك، فوثبت ربيعة على المنذر الأكبر بن ماء السماء ـ وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشّقَيِّقة ـ فأخرجوه؛ وإنما سُمي ذا القرنين لأنه كانت له ذُؤابتان، فخرج هارباً منهم حتى مات في إِياذٍ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم ـ وكان أذكى ولده ـ فانطلقت ربيعة إلى كندة، فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار، فملَّكوه على بكر بن وائل، وحشدوا له، فقاتلوا معه، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أَرض العراق، وأبى قباذ أَن يُمدَّ المنذر بجيشٍ. فلمَّا رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرٍو: إني في غير قومي، وأنت أحقُّ من ضمني، وأَنا متحوّلٌ إليك؛ فحوله إليه وزوَّجه ابنته هنداً. ففرّق الحارث بنيه في قبائل العرب، فصار شرحبيل بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك في بني أسيد، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرّباب، وصار معد يكرب بن الحارث ـ وهو غلفاء ـ في قيس، وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناة.

فلما هلك الحارث تشتَّت أمر بنيه، وتفرقت كلمتهم، ومشت الرجال بينهم، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع؛ فسار شرحبيل ومَن معه من بني تميم والقبائل، فنزلوا الكلاب ـ وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ـ وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمر ومن معه، وفي الصنائع ـ وهم الذين يقال لهم بنو رقيَّة، وهي أمٌّ لهم ينتسبون إليها، وكانوا يكونون مع الملوك ـ يريدون الكلاب. وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن الحرب والفساد والتحاسد، وحذّروهما عثرات الحرب وسوء مغبتها، فلم يقبلا ولم يبرحا، وأبيا إلَّا التتايُع واللجاجة في أمرهم، فقال امرؤ القيس بن حُجر في ذلك:

أَنّـى عـلـيّ ٱسـتـتـبَّ لـومُـكـمـا ... ولـم تـلـومـا عَـمـراً ولا عُـصُـمـا
كـلَّا يـمـيـن الإِلـه يـجـمـعـنـا ... شـيء وأخـوالـنـا بـنـي جُـشـمَـا
حـتـى تـزور الـسـبـاع مـلـحـمـةً ... كـأنـهـا مـن ثـمـود أو إِرَمَـا

[المنسرح]

وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مُجاشع بن دارم، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه، فقتلت بكر بن وائلٍ بنين له، فيهم مُرَّة بن سفيان، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أَبي ربيعة بن ذهل بني شيبان؛ فقال سفيان وهو يرتجز:

ألـشـيـخ شـيـخٌ ثـكـلانْ والـجـوف جـوفٌ حَـرَّانْ
والـوِرد وِردٌ عـجـلان أَنـعـى مُـرَّة بـن سُـفـيـانْ

[الرجز]

وفي ذلك يقول الفرزدق:

شـيـوخٌ مـنـهـمُ عُـدُسُ بـن زيـد وسـفـيـانُ الـذي ورد الـكـلابـا

[الوافر]

وأوَّل من ورد الماء من بني تغلب رجلٌ من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قُرَيع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم، وعبد يغوث بن دَوسٍ، وهو عم الأخطل ـ دوسٌ والقدَوكس أخوان ـ على فرس له يقال له الحَرون، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة، بني تغلب وسعد وجماعة الناس، وعلى بني تغلب يومئذٍ السفاح ـ واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ـ وهو يقول:

إن الـكـلاب مـاؤنـا فـخـلُّـوه وسـاجـراً[1] والـلَّـه لـن تـحـلُّـوه

[الرجز]

فاقتتل القوم قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والربّاب بكر بن وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب، وصبر ابنا وائلٍ: بكرٌ وتغلب ليس معهم غيرُهم، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمة: مَن أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم، ففرُّوا عنه، وعرف مكانه أَبو حنش ـ وهو عُصمُ بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيبٍ ـ فصمد نحوه، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله، فطعنه بالرمح، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه.

ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والربّاب لمَّا انهزموا خرج معهم شرحبيل، فلحقه ذو السنينة ـ واسمه حبيب بن عُتَيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ ـ فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته، فأطنّ[2] رجله، وكان ذو السنينة أَخا أَبي حنشٍ لأمه، أمُّهما سلمى بنت عديّ بن ربيعة بنت أَخي كليبٍ ومهلهلٍ، فقال ذو السنينة: قتلني الرجل! فقال

(١) ساجر: موضع بين ديار بني عطفان وديار بني تميم.
(٢) أطنَّ: قطع وبتر.

أَبو حنش: قتلني اللَّه إن لم أقتله، فحمل عليه، فلما غشيه قال: يا أبا حنش، أملكاً بسوقة؟ قال: إنه قد كان ملكي، فطعنه أَبو حنش، فأصاب رادفة السرج، فورَّعَت[١] عنه، ثم تناوله فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فاحتز[٢] رأسه، فبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أَبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث، فألقاه بين يديه؛ فقال له سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حيٌّ أشدُّ من هذا، وعرف أَبو أَجأ الندامة في وجهه والجزع على أَخيه، فهرب وهرب أَبو حنش فتنحى عنه، فقال معد يكربُ أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامةٍ معتزلاً عن جميع هذه الحروب:

ألا أبلغْ أبا حنشٍ رسولاً ... فما لك لا تجيءُ إلى الثوابِ!
تعلَّم أن خير الناس طُرّاً ... قتيلٌ بين أحجار الكلابِ
تداعت حوله جُشمُ بن بكر ... وأسلمه جعاسيس[٣] الرّبابِ[٤]
قتيلٌ ما قتيلك يا ابن سلمى ... تضرُّ به صديقك أو تحابي

[الوافر]

فقال أَبو حنش مجيباً له:

أحاذر أن أجيئكم فتحبو[٥] ... حِباءَ أبيك يوم صُنَيبعاتِ[٦]
فكانت غدرةً شنعاء تهفو ... تقلَّدها أبوك إلى الممات

[الوافر]

ويقال: إن الشعر الأول لسلمة بن الحارث.

وقال معد يكرب المعروف بغلفاءَ يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث:

إن جنبي عن الفراش لنابِ ... كتجافي الأسرِّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نمى إليّ فلا تر ... قأ عيني ولا أُسيغُ شرابي
مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها النا ... سَ على حرّ مَلَّةٍ[٧] كالشِّهابِ

---

(١) وَرَّعت عنه: منعت من وصول الأذى إليه.
(٢) احتزّ رأسه: قطعه.
(٣) جعاسيس: مفردها جعسوس وهو القصير الدَّميم.
(٤) الرّباب: من القبائل العربية.
(٥) تحبو: تَهِبُ.
(٦) صُنَيْبعات: اسم موضع.
(٧) المَلَّة: الجمر أو الرماد الحار.

مـن شـرحـبـيـل إذ تـعـاوره الأ رمـاح فـي حـال لـذَّة وشـبـابِ
يـا ابـن أمـي ولـو شـهـدتُـك إذ تـد عـو تـمـيـماً، وأنـت غـيـر مـجـابِ
لـتـركـت الـحـسـام تـجـري ظُـبـاه[١] مـن دمـاء الأعـداء يـوم الـكـلابِ
ثـم طـاعـنـتُ مـن ورائـك حـتـى تـبـلـغ الـرَّحـب أو تُـبـزَّ[٢] ثـيـابـي
يـوم ثـارت بـنـو تـمـيـم وولَّـت خـيـلـهـم يـتَّـقـيـن بـالأذنـابِ
ويـحـكـم يـا بـنـي أسـيِّـد إنـي ويَـحـكـم ربُّـكـم وربُّ الـرّبـابِ
أيـن مـعـطـيـكـم الـجـزيـل وحـابـيـ ـكـم عـلـى الـفـقـر بـالـمـئـيـن الـكـبـابِ[٣]
فـارس يـضـرب الـكـتـيـبـة[٤] بـالـسـيـ ـف عـلـى نـحـره كـنـضـح الـمـلابِ[٥]
فـارسٌ يـطـعـنُ الـكـمـاة جـريء تـحـتـه قـارحٌ كـلـون الـغـرابِ

[الخفيف]

قال: ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم دون عياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، دفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. وليَ ذلك منهم عوف بن شجنة بن الحارس بن عُطارد بن عوف بن سعد بن كعبٍ، وحشد له فيه رهطه ونهضوا معه، فأَثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجرٍ، ومدحهم به في شعره فقال:

ألا إن قـومـاً كـنـتـم أمـس دونـهـم هـم آسـتـنـقـذوا جـاراتـكـم آل غُـدرانِ
عُـوَيـرٌ ومَـن مـثـل الـعـويـر ورهـطـه وأسـعَـدَ فـي يـوم الـهـزاهـز صَـفـوانُ

[الطويل]

وهي قصيدة معروفة طويلة:

صـوت

وعـيـنُ الـرّضـا عـن كـل عـيـب كـلـيـلـةٌ ولـكـنّ عـيـن الـسـخـط تُـبـدي الـمـسـاويـا
وأنـت أخـي مـا لـم تـكـن لـي حـاجـة فـإِن عـرضـت أيـقـنـتُ أن لا أخـا لـيـا

[الطويل]

---

(١) الظُبا: مفردها ظُبة، وهي حدّ السيف.
(٢) تبزُّ ثيابي: تنزعها عني بعد موتي.
(٣) الكباب: الجماعة من الإبل.
(٤) الكتيبة: القطعة من الجيش.
(٥) الملاب: نوع من الطيب فوَّاح الرائحة.

الشعر لعبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه الجعفري، يقوله للحسين بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن العباس؛ هكذا ذكر مصعب الزبيري. وذكر مؤرّج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه أَبي جعفر عن مؤرّج ـ وهو الصحيح ـ أنّ عبد اللَّه بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قُصَيّ بن ذَكوان، وكان قد عتب عليه. وأوَّل الشعر:

رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلفَّفاً فكشَّفه التمحيص[1] حتى بدا ليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتُك في الحاجات إلَّا تنائيا

[الطويل]

والغناء لبنان بن عمرو رملٌ بالوسطى. وفيه الثقيل الأوّل لعريب من رواية أَبي العنبس وغيره.

* * *

(١) التمحيص: التخليص من الشوائب.

خبر عبد اللَّه بن معاوية ونسبه

نسبه:

هو عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر بن أَبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وأمُّ عبد اللَّه بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنتُ عُمَيس بن معد بن تميم بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب اللَّه بن شَهران بن عِفرس بن أفتل، وهو خُماعة بن خثعم بن أَنمار. وأمُّها هند بنت عوفٍ، امرأةُ من جُرَش. هذه الجرشية أكرم الناس أحماء؛ أحماؤها: رسول اللَّه ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحمزة والعباس وأبو بكر رضي اللَّه تعالى عنهم. وإنما صار رسول اللَّه ﷺ من أحمائها أَنه كان لها أَربع بناتٍ: ميمونة زوجة رسول اللَّه ﷺ، وأمُّ الفضل زوجة العباس وأمّ بنته، وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب؛ بنات الحارث، وأسماء بنت عميسٍ أختهنّ لأمّهنّ؛ كانت عند جعفر بن أَبي طالب، ثم خلف عليها أَبو بكر رضي اللَّه تعالى عنه ثم خلف عليها عليُّ بن أَبي طالب عليه السلام. وولدت من جميعهم. وهنّ اللواتي قال رسول اللَّه ﷺ لهنّ: «**إنهنّ مؤمناتٌ**».

حدثني بذلك أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسن العلويُّ قال حدثنا هارون بن محمد بن موسى الفرويُّ قال: حدثنا داود بن عبد اللَّه قال: حدثني عبد العزيز الدّراوَردي عن إبراهيم بن عُقبة عن كرَيبٍ عن ابن عباس رضي اللَّه تعالى عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الأخوات المؤمنات: ميمونة، وأمّ الفضل، وسلمى، وأسماءُ بنت عميسٍ أختهنّ لأمّهنّ**».

حدثني أحمد قال حدثني يحيى قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني عبد الرزاق قال أَخبرني يحيى بن العلاء البجليُّ عن عمه شعيب بن خالدٍ عن حنظلة بن سمرة بن المسيَّب عن أَبيه عن جدّه عن ابن عباس قال:

دخل النبي ﷺ على فاطمة وعليٍّ، عليهما السلام ـ ليلة بنى بها ـ فأبصر خيالاً من وراء الستر؛ فقال: «**من هذا؟**» فقالت: أسماءُ؛ قال: «**بنت عميس**»؟ قالت: نعم، أَنا التي أحرس بنتك يا رسول اللَّه؛ فإِنّ الفتاة ليلة بنائها[1] لا بدّ لها من امرأة تكون

(١) ليلة البناء: ليلة الزواج.

قريباً منها، إن عرضت لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها؛ فقال رسول اللّه ﷺ: «**فإني أسأل إلهي أَن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك مِن الشيطان**».

طائفة من أخبار عبد اللّه بن جعفر:

وقد أدرك عبد اللّه بن جعفرٍ رحمه اللّه رسول اللّه ﷺ وروى عنه.

أدرك رسول اللّه وروى عنه:

فمما روى عنه ما حدّثنيه حامد بن محمد بن شعيب البلخيُّ وأحمد بن محمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن بكّار قال حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد اللّه بن جعفر قال: رأيت النبي ﷺ يأكل البطيخ بالرُّطب.

رآه النبي يلعب فداعبه:

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أَخبرني ابن يحيى وعثمان بن أَبي سليمان قالا:

مرّ النبيّ ﷺ بعبد اللّه بن جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال: «**ما تصنع بهذا**»؟ قال: أبيعه، قال: «**ما تصنع بثمنه**»؟ قال: أشتري به رُطباً فآكله؛ فقال النبي ﷺ: «**اللّهم بارك له في صفقة يمينه**». فكان يقال: ما اشترى شيئاً إلّا ربح فيه.

أَخبرني الحرميُّ بن أَبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي مصعب عن جدّي عبد اللّه بن مصعب:

أنَّ الحزين قُمِر[1] في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه، فمرّ به عبد اللّه بن جعفر وعليه مقطَّعات[2] خَزٍّ[3]؛ فاستعار الحزين من رجل ثوباً، ثم قام إليه فقال:

أقــول لــه حــيــن واجــهــتــه ... عــلــيــك الــســلام أبــا جــعــفــرِ

[المتقارب]

فقال: وعليك السلام؛ فقال:

فــأنــت الــمــهــذّب مــن غــالــبٍ ... وفــي الــبــيــت مــنــهــا الــذي تــذكــرُ

[المتقارب]

---

(١) قُمِرَ: خسر ماله في القِمار.
(٢) مقطَّعات: مخرَّقات باليات.
(٣) خزّ: ضرب من القماش.

فقال: كذبت يا عدوّ اللَّه، ذاك رسول اللَّه ﷺ، فقال:

فـهـذي ثـيـابـيَ قـد أخـلـقـت وقـد عـضَّـنـي[١] زمـنٌ مـنـكـرُ

[المتقارب]

قال: هاك ثيابي، فأعطاه ثيابه.

قال الزبير قال عمي: أما البيت الثاني فحدّثنيه عمي عن الفضل بن الربيع عن أبي، وما بقي فأنا سمعته من أبي.

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيدٍ قال أَخبرنا يحيى بن الحسن قال:

بلغني أن أعرابيّاً وقف على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله، فقال: يا إعرابيُّ، ما عندنا ما نصلك؛ ولكن عليك بابن جعفر. فأتى الأعرابيُّ باب عبد اللَّه بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة، وراحلته بالباب عليها متاعها وسيفٌ معلَّق، فخرج عبد اللَّه من داره وأنشأ الأعرابي يقول:

أبـو جـعـفـرٍ مـن أهـل بـيـت نـبـوَّة صـلاتـهـم لـلـمـسـلـمـيـن طَـهـورُ

أبـا جـعـفـر إن الـحـجـيـج تـرحَّـلـوا ولـيـس لـرحـلـي فـاعـلـمـنّ بـعـيـرُ

أبـا جـعـفـر ضـنّ[٢] الأمـيـر بـمـالـه وأنـت عـلـى مـا فـي يـديـك أمـيـرُ

وأنـت امـرؤٌ مـن هـاشـم فـي صـمـيـمـهـا إلـيـك يـصـيـر الـمـجـد حـيـث تـصـيـرُ

[الطويل]

فقال: يا أعرابي، سار الثَّقل فدونك الراحلة بما عليها، وإياك أن تُخدَع عن السيف فإني أخذته بألف دينار. فأنشأ الأعرابي يقول:

حـبـانـي[٣] عـبـد الـلَّـه، نـفـسـي فـداؤهُ بـأعـيـسَ[٤] مَـوَّارٍ[٥] سـبـاطٍ[٦] مَـشـافـرُهْ[٧]

وأبـيـض مـن مـاء الـحـديـد كـأنـه شـهـاب بـدا والـلـيـل داجٍ عـسـاكـرُهْ[٨]

---

(١) عضَّني: عضّ الزمان هو شدّته.

(٢) ضنّ: بخل.

(٣) حباني: أعطاني، منحني.

(٤) الأعيس: الأبيض من الإبل الذي يخالط بياضها شقرة، جمعها العيس.

(٥) الموَّار: الإبل النشيط في سيره، المفتول عضداه فهما يموران لذا تردد في عرض جنبيه.

(٦) سباط: لينة.

(٧) المشافر: المشافر للإبل كالشفة للإنسان.

(٨) العساكر: الظلمات.

وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائرُهْ
فيا خير خلق اللّه نفساً ووالداً وأكرمه للجار حين يجاورُهْ
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرٌ عُرفاً كمن هو كافرُهْ
[الطويل]

وحدثني أَحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال: جاء شاعرٌ إلى عبد اللّه بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخزّ دُرَّاعَهْ[1]
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعَهْ
سيكسوكها الماجد الجعفريّ ومَن كفُّه الدهر نفَّاعَهْ
ومن قال للجود لا تعدني فقال لك السمع والطاعَهْ
[المتقارب]

فقال عبد اللّه لغلامه: ادفع إليه دُرّاعتي الخزّ ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبي دعني أغفي إغفاءةً أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك منه وقال: يا غلام ٱدفع إليه جبتي الوشي.

حدثنا أحمد قال: قال يحيى قال ابن دأبٍ: وسمع قول الشماخ بن ضِرارٍ الثعلبي في عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب رحمه اللّه:

إنك يا ابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيّ سُرى صادف زاداً وحديثاً يُشتهى
[الرجز]

إن الحديث طرَفٌ من القِرى[2]

فقال ابن دأب: العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسيّ.

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ
[الوافر]

(١) الدُّرَّاعة: الجبَّة المشقوقة المقدَّم.
(٢) القِرى: الضيافة.

عبد اللَّه بن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة.

قال يحيى بن الحسن وكان عبد اللَّه بن الحسن يقول كان أهل المدينة يدّانون[١] بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاءُ عبد اللَّه بن جعفر.

أَخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال: حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال:

جلبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّراً فكسد عليه فقيل له: لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن، فأتى ابن جعفرٍ فأخبره، فأمره بإِحضاره وبُسِط له، ثم أمر به فنثر، فقال: للناس انتهبوا، فلما رأى الناس ينتهبون قال: جعلت فداءك! آخذ معهم؟ قال: نعم، فجعل الرجل يَهيل في غرائره، ثم قال لعبد اللَّه أَعطني الثمن فقال: وكم ثمن سكَّرك؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها.

أَخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أَبو محمد الباهليُّ حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه، قال:

فقال الرجل: ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبنَّه بالثمن ثانية، فغدا عليه فقال: ثمن سكَّري، فأطرق عبد اللَّه مليّاً ثم قال: يا غلام، أعطه أربعة آلاف درهم؛ فأعطاه إياها، فقال الرجل: قد قلت لكم: إن هذا الرجل لا يعقل: أخذ أم أعطى! لأطلبنَّه بالثمن. فغدا عليه فقال: أصلحك اللَّه! ثمن سكَّري، فأطرق عبد اللَّه مليّاً، ثم رفع رأسه إلى رجل، فقال: ادفع إليه أربعة آلاف درهم. فلما ولّى ليقبضها قال له ابن جعفر: يا أعرابي، هذه تمام اثني عشر ألف درهم، فٱنصرف الرجل وهو يعجب من فعله.

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ عن دماذ عن أَبي عبيدة:

أن أعرابيّاً باع راحلةً من عبد اللَّه بن جعفر، ثم غدا عليه فٱقتضى ثمنها، فأمر له به، ثم عاوده ثلاثاً، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه: فقال فيه:

لا خير في المجتدى في الحين تسأله ... فاستمطروا من قريش خير مُختدَعِ
تخال فيه إذا حاورته بلهاً ... من جوده وهو وافي العقل والورعِ

[البسيط]

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرُّقيَّات.

(١) يدَّانون: يستدين بعضهم من الآخر.

وفاته عام الجحاف:

أَخبرني الحرميُّ بن أَبي العلاء والطوسيُّ قالا حدثنا الزبير قال حدثني مصعب بن عثمان قال:

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد اللّه بن جعفر، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللهمَّ إنك عوّدتني عادةً جريت عليها، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضني إليك، فتوفي في الجمعة الأخرى. قال يحيى: توفي عبد اللّه وهو ابن سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عام الجحاف لسيلٍ كان بمكة جحف الحاجَّ فذهب الإبل عليها الحمولة، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان، وهو الذي صلّى عليه.

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه:

حدثني أَحمد بن محمد قال أَخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين بن محمد قال أَخبرني محمد بن مُكرم قال أَخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال أَخبرني الأصمعي عن الجعفري قال:

لما مات عبد اللّه بن جعفر شهده أَهل المدينة كلُّهم، وإنما كان عبد اللّه بن جعفر مأوى المساكين وملجأَ الضعفاء، فما تنظر إلى ذي حجاً إلّا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال: رحمك اللّه يا ابن جعفر! إن كنت لرحمك لواصلاً، ولأهل الشر لمبغضاً، ولأهل الريبة لقالياً، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رعيتَ الذي قد كان بيني وبينكم ... من الودّ حتى غيَّبتك المقابرُ

[الطويل]

فرحمك اللّه! يوم ولدتَ ويوم كنت رجلاً ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حيّاً؛ واللّه لئن كانت هاشمٌ أصيبت بك لقد عمّ قريشاً كلَّها هُلكك، فما أظنُّ أن يُرَى بعدك مثلك.

ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه:

فقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدقُ فقال: لا إلٰه إلّا اللّه الذي يرث الأرض ومَن عليها وإليه تُرجعون، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر! وما أسمج ما أصبح بعدك! واللّه لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمعت عليك، كان واللّه حديثك غير مشوبٍ بكذبٍ، ووُدُّك غير ممزوج بكدرٍ.

فوثب ابنٌ للمغيرة بن نوفلٍ ـ ولم يُثبت الأصمعي اسمه ـ فقال: يا عمرو، بمن

تُعرّض بمزج الودّ وشَوب الحديث؟ أفبابَنيْ فاطمة؟ فهما واللَّه خيرٌ منك ومنه، فقال: على رِسلك يا لُكَع[١]! أردت أَن أُدخلك معهم؟ هيهات لستَ هناك، واللَّه لو متَّ أنت ومات أَبوك ما مُدِحتَ ولا ذُممتَ، فتكلَّم بما شئتَ فلن تجد لك مجيباً؛ فما هو إلَّا أَن سمعهما الناس يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا. قال يحيى: وقال عبد اللَّه بن قيس الرُّقيَّات في علة عبد اللَّه بن جعفر التي مات فيها:

باتَ قلبي تشفُّه[٢] الأَوجاع ... من هموم تُجنُّها[٣] الأضلاعُ
من حديث سمعته منعَ النو ... م فقلبي مما سمعتُ يُراعُ[٤]
إذ أتانا بما كرهنا أَبو اللَّـ ... ـلاس، كانت بنفسه الأوجاعُ
قال ما قال ثم راح سريعاً ... أدركت نفسه المنايا السِّراعُ
قال يشكو الصُّداع وهو ثقيلٌ ... بك لا بالذي عنيتَ الصُّداعُ
إبنَ أسماءَ لا أبا لك تنعى ... أنه غير هالكٍ نفَّاعُ
هاشميّاً بكفِّه من سِجال الـ ... ـمجد سَجلٌ[٥] يهون فيه القُباعُ[٦]
نشر الناس كلَّ ذلك منه ... شيمة المجد ليس فيه خِداعُ
لم أجد بعدك الأخلَّاءَ إلَّا ... كثماد[٧] به قذًى[٨] أَو نِقاعُ[٩]
بيته من بيوت عبد منافٍ ... مدّ أطنابه[١٠] المكان اليفاعُ[١١]
منتهى الحمد والنبوة والمجـ ... ـد إذا قصَّر اللئام الوضاعُ[١٢]
فستأتيك مِدحةٌ من كريم ... ناله من ندى سِجالك[١٣] باعُ[١٤]

[الخفيف]

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد اللَّه بن جعفر بيتان يغنّى فيهما، وهما:

---

(١) اللُّكع: الأحمق اللئيم.
(٢) تشُفُّه: تحرقه وتلذعه.
(٣) تُجنُّها: تسترها، تخفيها.
(٤) يُراع: يفزع.
(٥) السَّجل: الدلو الكبيرة المملوءة.
(٦) القِباع: المكيال الواسع الضخم.
(٧) الثِّماد: الماء القليل.
(٨) القذى: هو ما يقع في الشراب.
(٩) النِّقاع: مفردها النقع وهو الغبار.
(١٠) الأطناب: مفردها الطنب، وهو الحبل الطويل الذي يُشدّ به سرادق البيت، أو الوتد.
(١١) اليفاع: هو ما ارتفع من الأرض.
(١٢) الوضاع: مفردها الوضيع وهو الدنيء.
(١٣) السِّجال: هنا بمعنى العطاء.
(١٤) الباع: قدر مدّ اليدين، جمعها أبواع.

صـــوت

قـد أتـانـا بـمـا كـرهـنـا أَبـو الـلَّـســ ـلاس كـانـت بـنـفـسـه الأوجـاعُ
قـال يـشـكـو الـصـداع وهـو ثـقـيـل بـك لا بـالـذي ذكـرت الـصُّـداعُ

[الخفيف]

غنَّاه عمرو بن بانة خفيف ثقيل، الأول بالوسطى على مذهب إسحاق. ويقال إن عمرو بن بانة صاغ هذا اللحن في هذا الشعر وغنّى به الواثق بعقب علَّة نالته وصُداع تشكَّاه؛ قال: فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم. وأمُّ معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر أمُّ ولد. وكان من رجالات قريش، ولم يكن في ولد عبد اللَّه مثله.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أَبي عبد الرحمن القرشي.

أنّ معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر وُلدَ وأبوه عبد اللَّه عند معاوية، فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال: سَمِّهِ معاوية ولك مائة ألف درهم، ففعل، فأعطاه المال، وأعطاه عبد اللَّه للذي بشَّره به. قال المدائني: وكان عبد اللَّه بن جعفر لا يؤدّب ولده، ويقول: إن يُرِدِ اللَّه جلّ وعزّ بهم خيراً يتأدّبوا، فلم يُنجب فيهم غير معاوية.

أَخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه، قال هارون وحدثني محمد بن عبد اللَّه بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوَّام قال حدثني عمرو بن الحكم السعيديّ وإبراهيم بن محمد ومحمد بن معن بن عنبسة قالوا:

كان معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر قد عوّد ابن هرمة البرَّ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً بدَينٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أَيضاً برّاً، فقال للجارية: قولي له: أيدينا ضيِّقةٌ، وما عندنا شيءٌ إلَّا شيءٌ أَخذناه بكلفةٍ، فرجعتْ جاريته بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها:

فـإنـي ومـدحـك غـيـر الـمـصـيـ ـب كـالـكـلـب يـنـبـح ضـوءَ الـقـمـرْ
مـدحـتـك أرجـو لـديـك الـثـوابَ فـكـنـت كـعـاصـر جـنـب الـحـجـرْ

[المتقارب]

وبعث بالرّقعة مع الجارية، فدفعتها إلى معاوية، فقال لها: ويحك قد علم بها أحدٌ! قالت: لا واللَّه إنما دفعها من يده إلى يدي؛ قال: فخذي هذه الدنانير فادفعيها

إليه، فخرجت بها إليه، فقال: كلَّا، أليس زعم أنه لا يدفع إليّ شيئاً؟

أَخبرني الحرمي بن أَبي العلاء والطوسيُّ قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال:

سمَّى عبد اللَّه بن جعفر ابنه معاوية بمعاوية بن أبي سفيان. قال: وكان معاوية ابنُ عبد اللَّه بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة، فسمّى ابنه بيزيد بن معاوية.

وصيته لابنه معاوية عند وفاته:

قال الزبير: وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد:

أن عبد اللَّه بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شنفاً[1] كان في أذنه وأوصى إليه ـ وفي ولده مَن هو أسنُّ منه ـ وقال له: إني لم أزل أؤمِّلك لها. فلما توفي احتال بدَين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقسم أموال أبيه بين ولده، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما.

وأمُّ عبد اللَّه بن معاوية أُمُّ عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب. ويقال: بنت عياش بن ربيعة. وقد روى عباسٌ عن النبي ﷺ وكان معه يوم حُنَينٍ، وهو أحد من ثبت معه يومئذٍ.

بعض صفات عبد اللَّه بن معاوية:

وكان عبد اللَّه من فتيان بني هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم، ولم يكن محمود المذهب في دينه، وكان يُرمى بالزندقة ويستولي عليه من يُعرف ويُشهر أمره فيها، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد، ثم ٱنتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك.

ويُكنى عبد اللَّه بن جعفر أَبا معاوية، وله يقول ابن هرمة:

أحْبُ مدحاً أبا معاوية الما ... جد لا تلقَه حَصوراً[2] عَيِيَّا
بل كريماً يرتاح للمجد بسَّا ... ماً إذا هزّه السؤال حيِيَّا
إنّ لي عنده وإن رغم الأعـ ... ـداء حظّاً من نفسه وقَفيَّا

[الخفيف]

(١) الشّنف: القرط الذي يلبس في أعلى الأذن.
(٢) الحصور: البخيل، أو هو الضيّق الصدر.

ـ قفيًا: أثرة، يقول: إن لي عنده لأثرة على غيري، وقال قوم آخرون: القفيّ: الكرامة:

إن أمت تَبقَ مِدحتي وإخائي ... وثنائي من الحياة مليًّا
يأخذ السبق بالتقدم في الجر ... ي إذا ما الندى انتحاه عليًّا
ذو وفاءٍ عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألَّا يزال وفيًّا
فرعى عقدة الوصاة فأكرم ... بهما مُوصياً وهذا وصيًّا
يا ابن أسماء فاْسقِ دلوي فقد أو ... ردتها مَنهلاً يثجُّ[1] رويًّا

[الخفيف]

يعني أمه أسماءَ، وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وأوَّل هذه القصيدة:

عاتب النفس والفؤاد الغويًّا ... في طلاب الصِّبا فلست صبيًّا

[الخفيف]

قال يحيى بن علي فيما أَجازه لنا:

أَخبرني أَبو أيوب المدينيُّ وأخبرنَاه وكيعٌ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالا: مدح ابن هرمة عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه. قال ابن هرمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال: عامَّتهم غُرماءُ[2] له، فقلت: ذاك شرٌّ. واْستؤذن لي عليه فقلت: لم أعلم واللَّه بهؤلاء الغرماء ببابك، قال: لا عليك أنشدني. قلت: أعيذك باللَّه. واْستحييت أن أنشد فأبى إلا أَن أنشده قصيدتي التي أقول فيها:

حللتَ محلَّ القلب من آل هاشم ... فعُشُّك مأوى بيضها المتفلِّقِ
ولم تك بالمُعزى إليها نصابه ... لصاقاً ولا ذا المركب المتعلِّقِ
فمن مثل عبد اللَّه أو مثل جعفر ... ومثل أبيك الأريحيّ[3] المرَهَّقِ[4]

[الطويل]

قال: مَن هاهنا من الغرماء؟ فقيل: فلانٌ وفلان، فدعا باثنين منهم فسارَّهما

(١) يثجُّ: يسيل.
(٢) غُرَماء: مدينون.
(٣) الأريحيّ: الواسع الخلق.
(٤) المرَهَّق: الكريم الجواد الذي يرهقه الناس بالإلحاح والسؤال.

وخرجا، وقال لي: اتبعهما. قال: فأعطياني مالاً كثيراً. قال يحيى: ومن مختار مدحه فيه منها قوله:

فـإلَّا تُـواتِ الـيـوم سـلـمـى فـربـمـا شـربـنا بـحـوض الـلـهـو غـيـر الـمـرنَّـقِ[1]
فـدعـهـا فـقـد أَعـذرتَ فـي ذكـر وصـلـهـا وأجـريـت فـيـهـا شـأوَ غـربٍ ومَـشـرقِ
ولـكـن لـعـبـد الـلَّـه فـأنـطـق بـمـدحـة تُـجـيـرك مـن عُـسـر الـزمـان الـمـطـبِّـقِ[2]
أخ قـلـت لـلأدنَـيـنَ لـمَّـا مـدحـتـه هـلـمـوا وسـاري الـلـيـل م الآن فـاطـرقِ
شـديـد الـتـأنـي فـي الأمـور مـجـرَّب متى يَـعـرُ أمرُ الـقـوم يَـفـرِ[3] ويـخـلـقِ[4]
تـرى الـخـيـر يـجـري فـي أسـرَّة وجـهـه كـمـا لألأت فـي الـسـيـف جـريـةُ رَونـقِ[5]
كـريـم إذا مـا شـاء عـدَّ لـه أبـاً لـه نـسـبٌ فـوق الـسِّـمـاك[6] الـمـحـلّـقِ
وأُمًّـا لـهـا فـضـلٌ عـلـى كـلّ حـرّة متى مـا تـسـابـق بـابـنـهـا الـقـومَ تـسـبـقِ

[الطويل]

ومما يغنّى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائية التي مدح بها ابن معاوية قوله:

صـوت

عـجـبـتْ جـارتـي لـشـيـبٍ عـلانـي عـمـركِ الـلَّـه هـل رأيـتِ بَـدِيَّـا
إنـمـا يُـعـذر الـولـيـد ولا يُـعـ ـذر مـن عـاش فـي الـزمـان عـتـيَّـا

[الخفيف]

غنَّى فيهما فُلَيحٌ رملاً بالبنصر مِن رواية عمرو بن بانة ومن رواية حبشٍ فيهما لابن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر.

خروج عبد اللَّه بن معاوية على بني أمية:

حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد اللَّه بن عمارٍ قال حدثنا عليُّ بن محمد النوفليُّ عن أبيه وعمه عيسى، قال ابن عمار وأَخبرنا أَيضاً ببعض خبره أحمد بن أَبي خَيثمة عن مصعبٍ الزبيريّ، قال ابن عمَّار وأخبرني أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن أَبي اليقظان وشهاب بن عبد اللَّه وغيرهما، قال ابن عمار

(١) المُرَنَّق: المكدَّر.
(٢) المطبَّق: المعمَّم.
(٣) يفري: يقطع ويشقّ.
(٤) يخلق: يقدِّر، وأراد هنا يصنع.
(٥) الرونق: ماء السيف وصفاؤه وحسنه.
(٦) السِّماك: كوكب نيّر (السِّماك الرامح، والسِّماك الأعزل).

وحدثني به سليمان ابن أبي شيخ عمن ذكره. قال أَبو الفرج الأصبهاني: ونسخت أَنا أَيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره، فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهة الإِطالة.

أن عبد اللّه بن معاوية قدِم الكوفة زائراً لعبد اللّه بن عمرَ بن عبد العزيز ومستميحاً له، فتزوج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبد المؤمن بن شبث بن رِبعيٍّ الرياحيّ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أمية، وقالوا له: اخرُج فأنت أحقُّ بهذا الأمر مِن غيرك، وٱجتمعت له جماعةٌ، فلم يشعر به عبد اللّه بنُ عمر إلا وقد خرج عليه. قال ابن عمارٍ في خبره: إنه إنما خرج في أيام يزيد بنِ الوليد، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ولبس الصوف وأظهر سيمى الخير، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة، ولم يبايعه كلُّهم وقالوا: ما فينا بقيَّةٌ، قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت، وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك، وجمع جموعاً من النواحي، وخرج معه عبد اللّه بن العباس التميميُّ.

قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة: إن ابن معاوية قَبل قَصده المشرق ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبد اللّه بن عمر، فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلي الحرَّة، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً. قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفصٍ، وأَخبرني به ابن عمار عن أَحمد بن الحارث عن المدائني: أَن ابن عمر هذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَن وعده عنه مواعيد على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته، فبلغ ذلك ابن معاوية، فذكره لأصحابه وقال: إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم، فلما ٱلتقوا ٱنهزم ابن حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غير ابن معاوية، فجعل يقاتل وحده ويقول:

تفرّقتِ الظباءُ على خِداشٍ فما يدري خِداش ما يصيدُ

[الوافر]

ثم ولى وجهه منهزماً فنجا، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أَجابه، حتى صار في عِدَّة، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ البصرة وهَمذان وقُمَّ والرَّيّ وقومَس وأصبهان وفارس، وأقام هو بأصبهان. قال: وكان الذي أَخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بني يشكر، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء وٱجتمع الناس إليه، فأخذهم بالبيعة؛ فقالوا: علام نبايع؟ فقال: على ما أحببتم وكرهتم، فبايعوا على ذلك.

وكتب عبد اللَّه بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد اللَّه بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أَبي هريرة ومحرز بن جعفر: أَن عبد اللَّه بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ، قال: واْستعمل أخاه الحسن على إصطخر، وأخاه يزيد على شيراز وأخاه عليّاً على كرمان، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي. وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب: وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم، فممن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملاً قلَّده، ومن أَراد منهم صلة وصله.

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار، فوجّه إليه عامر بن ضُبارة في عسكر كثيف، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دهشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان ـ وقد ظهر أَبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيَّار ـ فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التُّنَّاء[1] ذي مروءة ونعمة وجاهٍ، فسأله معونته، فقال له من أَنت مِن ولد رسول اللَّه ﷺ؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يُدعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لي في نصرتك.

التجأ إلى أبي مسلم فحبسه:

فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره، فرفع إليه أنه يقول: ليس في الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه، واللَّه ما رضيت الملائكة الكرام من اللَّه تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام، فقالت: (أتجعل فيها مَن يُفسد فيها ويسفك الدّماء). حتى قال لهم: (إني أعلم ما لا تعلمون).

كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه:

ثم كتب إليه عبد اللَّه بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها: إلى أَبي مسلم، من الأسير في يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه. أما بعد، فإنك مستودع ودائع، ومُولي

(١) التُنَّاء: مفردها تانئ، وهو رئيس الإقليم عند العجم يطلق عليه الدهقان.

صنائع؛ وإن الودائع مرعيَّةٌ، وإن الصنائع عاريَّةٌ؛ فاذكر القصاص، واطلب الخلاص؛ ونبِّه للفكر قلبك، واتق اللّه ربّك؛ وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً؛ فإنك لاقٍ ما أسلفتَ، وغير لاقٍ ما خلَّفتَ؛ وفقك اللّه لما ينجيك، وآتاك شُكر ما يُبليك».

قال: فلما قرأ كتابه رمى به. ثم قال: قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا، ثم أمضى تدبيره في قتله. وقال آخرون: بل دسَّ إليه سمّاً فمات منه، ووجّه برأسه إلى ابن ضُبارة فحمله إلى مروان. فأخبرني عمر بن عبد اللّه العتكيُّ قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أنَّ عبد العزيز بن عمران حدّثه عن عبد اللّه بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هُبيرة أنه حضر مروان يوم الزابِ وهو يقاتل عبد اللّه بن علي، فسأله عنه فقيل له: هو الشابُّ المصفرُّ الذي كان يسبُّ عبد اللّه بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال: واللّه لقد هممت بقتله مراراً، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه، (وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً).

كانت الزنادقة من خاصته:

حدثني أَحمد بن عبد اللّه بن عمَّار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه قال:

كان عمارة بن حمزة يُرمى بالزندقة، فاستكتبه ابن معاوية، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بن إياسٍ، وكان زنديقاً مأبوناً[١]، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالقليّ وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول: الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع، فقتله المنصور لمَّا أفضت الخلافة إليه. فكان هؤلاء الثلاثة خاصّته، وكان له صاحب شُرطة يقال له قيسٌ، وكان دهريّاً[٢] لا يؤمن باللّه معروفاً بذلك، فكان يعسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتله، فدخل يوماً على ابن معاوية فلما رآه قال:

إنّ قيساً وإن تقنَّع شيباً ... لخبيثُ الهوى على شَمطِهْ[٣]

ابن تسعين منظراً ومشيباً ... وابنُ عشرٍ يُعدّ في سقطِهْ

[الخفيف]

وأقبل على مطيع فقال: أجز أنت، فقال:

وله شُرطةٌ إذا جنَّه اللـ ... ـيل فعوذوا باللّه من شُرَطِهْ

[الخفيف]

---

(١) المأبون: المتّهم بالشرّ.

(٢) الدهريّ: الذي يعتقد ببقاء الدَّهر، وهو الملحد الذي لا يؤمن بما بعد الموت.

(٣) الشمط: الشيب الذي يخالطه السواد.

قسوته:

قال ابن عمار: أَخبرني أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي اليقظان وشباب بن عبد اللَّه وغيرهما، قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أَبي شيخ عمن ذكره:

أَنَّ ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدَّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط، وأنه فعل ذلك برجل، فجعل يستغيث فلا يلتفت إليه، فناداه: يا زنديق، أَنت الذي تزعم أَنَّه يُوحَى إليك! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات.

حدثني أَحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال حدثني النوفليّ عن أَبيه عن عمه عيسى قال:

كان ابن معاوية أقسى خلق اللَّه قلباً، فغضب على غلام له وأَنا جالس عنده في غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل، ففعل ذلك به فتعلَّق بدرابزين كان على الغرفة، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها، فقطعت ومر الغلام يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات.

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم، وهو الذي يقول:

ألا تَـزَعُ الـقـلـب عـن جـهـلِـهِ ... وعـمـا تُـؤَنِّـبُ مـن أجـلِـهِ!
فـأُبـدل بـعـد الـصـبـا حِـلـمـه ... وأقـصـر ذو الـعـذل عـن عـذلِـهِ
فـلا تـركـبـنّ الـصـنـيـع الـذي ... تـلـوم أخـاك عـلـى مـثـلِـهِ
ولا يـعـجـبـنَّـك قـول امـرئ ... يـخـالـف مـا قـال فـي فـعـلِـهِ
ولا تُـتـبـع الـطَّـرف مـا لا تـنـال ... ولـكـن سـل الـلَّـه مـن فـضـلِـهِ
فـكـم مـن مـقـلٍّ يـنـال الـغـنـى ... ويـحـمـد فـي رزقـه كـلِّـهِ

[المتقارب]

أَنشدنا هذا الشعر له ابن عمار عن أَحمد بن أَبي خيثمة عن يحيى بن معين. وذكر محمد بن علي العلويّ عن أَحمد بن أَبي خيثمة أَن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد اللَّه بن معاوية:

إذا ٱفـتـقـرت نـفـسـي قـصـرتُ ٱفـتـقـارهـا ... عـلـيـهـا فـلـم يـظـهـر لـهـا أبـداً فـقـري
وإن تـلـقـنـي فـي الـدهـر مـنـدوحة[1] الـغـنـى ... يـكـن لأخـلَّائـي الـتـوسُّـع فـي الـيـسـرِ

(١) مندوحة: سعة.

فلا العسر يُزري بي إذا هو نالني ولا اليسر يوماً إن ظفرتُ به فخري
[الطويل]

وهذا الشعر الذي غنّى به ـ أعني قوله:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، وكان الحسين أَيضاً سيئ المذهب مطعوناً في دينه.

شعره في الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدثني عليُّ بن محمد بن سليمان النوفليُّ قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال:

كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، وكان حسين هذا وعبد اللّه بن معاوية يُرمَيان بالزندقة. فقال الناس: إنما تصافيا على ذلك؛ ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله، فقال عبد اللّه بن معاوية:

وإنّ حسيناً كان شيئاً ملفَّفاً[1] فمخَّصه التكشيف حتى بدا لِيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكنّ عين السخط تبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
[الطويل]

وله في الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة. قال: أنشدني يحيى بن الحسن لعبد اللّه بن معاوية؛ يقوله في الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب:

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ أُقْدُرِ الوُدّ بيننا قَدَرَهْ
ليس للدابغ المقرّظ[2] بُدٌّ من عتاب الأديم ذي البشرَهْ[3]
[الخفيف]

قال وقال له أَيضاً:

إنّ ابن عمك وابن أُمـ ـك مُعلمٌ شاكي السلاحِ

(١) ملفَّف: ملفوف، عليه اللفائف.
(٢) الدابغ المقرِّظ: الذي يقوم بدبغ الجلد بالقرظ.
(٣) ذي البشرة: الأديم الذي عليه شعر.

يَـقـص[١] الـعـدوَّ ولـيـس يـر ... ضـى حـيـن يـبـطـش بـالـجـنـاح
لا تـحـسـبـن أذى ابـن عـمـ ... ـك شـرب ألـبـان الـلِّـقـاح[٢]
بـل كـالـشـجـا[٣] تـحـت الـلَّـهـا ... ةِ[٤] إذا يـسـوَّغ بـالـقـراحِ[٥]
فـانـظـر لـنـفـسـك مـن يـجـيـ ... ـبـك تـحـت أطـراف الـرمـاحِ
مـن لا يـزال يـسـوؤهُ ... بـالـغـيـب أَن يـلـحـاك[٦] لاحـي

[مجزوء الكامل]

أَخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير وحدثني أَحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى:

أنّ عبد اللَّه بن معاوية مرّ بجدّه عبد الحميد في مزرعته بصرام[٧] وقد عطش فاستسقاه، فخاض[٨] له سَويق[٩] لوزٍ فسقاه إياه، فقال عبد اللَّه بن معاوية:

شـربـتُ طـبـرزذاً[١٠] بـغـريـض مُـزنٍ ... كـذوب الـثـلـج خـالـطـه الـرُّضـابُ[١١]

[الوافر]

قال يحيى قال الزبير: الرضاب ماء المسك، ورضاب كل شيء: ماؤه. فقال عبد الحميد بن عبيد اللَّه يجيب عبد اللَّه بن معاوية على قوله:

مـا إن مـاؤنـا بـغـريـض مُـزن ... ولـكـنّ الـمِـلاح بـكـم عِـذابُ
ومـا إن بـالـطـبـرزذِ طـاب لـكـن ... بـمـسِّـك لا بـه طـاب الـشـرابُ
وأنـت إذا وطـئـت تـراب أرضٍ ... يـطـيـب إذا مـشـيـتَ بـهـا الـترابُ
لأن نـداك يُـطـفـي الـمَـحـل[١٢] عـنـهـا ... وتـحـيـيـهـا أيـاديـك الـرّطـابُ

[الوافر]

---

(١) يقِص: يكسر ويدقّ.
(٢) اللِّقاح: مفردها لقحة، وهي الناقة الحلوب.
(٣) الشجا: العظم المعترض في الحلق.
(٤) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق.
(٥) القراح: الماء السائغ الخالص.
(٦) يلحاك: يلومك.
(٧) صرام: هو رستاق بفارس.
(٨) خاض: خلط ومزج.
(٩) السويق: الخمر.
(١٠) الطبرزذ: السُّكر، معرّب، كأنه نُحت من نواحيه بالفاس، وقال الأصمعي: طَبَرْزَنٌ وطبرزَلٌ.
(١١) الرُّضاب: الرِّيق المرشوف، أو هو لُعاب العسل ورغوته.
(١٢) المحل: الجدب والقفر والقحط.

تغنّى إبراهيم الموصلي في شعره:

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أَبيه عن جدّه إبراهيم الموصلي قال:

بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال إذ قال صاحب السِّتارة لابن جامع: تغنَّ في شعر عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر، قال: ولم يكن ابن جامع يغني في شيء منه، وفطنت لِما أراد من شعره، وكنت قد تقدَّمت فيه، فأُرتِج على ابن جامع، فلما رأيت ما حلَّ به اندفعت فغنَّيت:

صوت

يهيم بُجملٍ وما إن يرى ... له من سبيل إلى جُملِهِ[1]
كأن لم يكن عاشق قبله ... وقد عشق الناس من قبلِهِ
فمنهم مَن الحب أودى به ... ومنهم مَن أشفى[2] على قتلِهِ

[المتقارب]

فإذا يد قد رفعت الستارة، فنظر إليّ وقال: أحسنت واللّه! أعِد، فأعدته فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مرَّاتٍ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه، فمرّ الغلام يسعى فإذا بَدرةُ دنانير قد جاءت يحملها فرّاش، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي: أجعلها تُكأَتك[3]، قال: فلما أنصرفنا قال لي ابن جامع: هل كنت وضعت لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أَن ينزل بي ما نزل بك. فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة: يا ابن جامع، تغنّ في شعر عبد اللّه بن معاوية، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيت ما حلّ به أندفعت فغنيت:

صوت

يا قوم كيف سِواغُ عيـ ... ـشٍ ليس تؤمن فاجعاتُهْ
ليست تزال مطلَّةً ... تغدو عليك منغِّصاتُهْ

(١) جملِ: اسم محبوبة الشاعر.
(٢) أشفى: أشرف.
(٣) التُّكَأَة: ما يتوكأ عليه.

ألـــمـــوت هـــولٌ داخـــلٌ يـومـاً عـلـى كـرهٍ أنـاتُـهْ[١]
لا بـدّ لـلـحـذر الـنَّـفـو ر مـنَ ٱن تـقـنَّـصـه رُمـاتُـهْ
قـد أمـنـح الـودّ الـخـلـيـ ـل بـغـيـر مـا شـيء رزاتُـهْ[٢]
ولـه أُقـيـمُ قـنـاة ودّي مـا ٱسـتـقـامـت لـي قـنـاتُـهْ

[مجزوء الكامل]

قال: فأومأ إليّ صاحب الستارة أَن أمسك، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إليّ أنه يبكي، قال: فأمسكت ثم ٱنصرفنا، فقال لي ابن جامع: ما صبَّ أمير المؤمنين على ابن جعفر؟ قلت: صبه اللَّه عليه لبدرة الدنانير التي أخذتُها. قال: ثم حضر بعد ذلك، فلما ٱطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ: اللَّهم أَنسه ذكر ابن جعفر، قال: فقلت: اللَّهم لا تستجب، فقال صاحب الستارة: يا ابن جامع تغنّ في شعر عبد اللَّه بن معاوية، قال: فقال ابن جامع: لو كان عندهم في عبد اللَّه بن معاوية خيرٌ لطار[٣] مع أبيه ولم يُقبِل على الشعر، قال إبراهيم: فسمعنا ضحكة من وراء الستارة. قال إبراهيم: فاندفعت أغني في شعره:

صـوت

سـلا ربَّـة الـخـدر مـا شـأنـهـا ومـن أيّـمـا شـأنـنـا تـعـجـبُ؟
فـلـسـت بـأوّل مـن فـاتـه عـلـى إربـه[٤] بـعـض مـا يـطـلـبُ
وكـائـن تـعـرَّض مـن خـاطـب فـرُوِّج غـيـر الـتـي يـخـطـبُ
وأُنـكـحـهـا بـعـده غـيـرُه وكـانـت لـه قـبـلـه تـحـجـبُ
وكـنـا حـديـثـاً صـفـيَّـيْـن لا نـخـاف الـوشـاة[٥] ومـا سـبَّـبـوا
فـإن شـطَّـت الـدار عـنَّـا بـهـا فـبـانـت وفـي الـنـاس مـسـتـعـتـبُ[٦]

(١) الأناة: الحِلم.
(٢) رزاته: أصلها رزأته، وقد خففت لضرورة الشعر، ويقال رزأ الرجل، أي أصاب منه خيراً.
(٣) طار مع أبيه: كناية عن جده جعفر بن أبي طالب لأنه قاتل مع النبي ﷺ فقطعت يداه فقال فيه النبي ﷺ: «إن اللَّه أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء» فلقِّب من حينها بالطيَّار.
(٤) الإرب: العقل والدهاء.
(٥) الوشاة: الساعون بالنميمة، الكاذبون.
(٦) مُستعتب: مسترضى.

وأصبح صدعُ الذي بيننا كصدع الزجاجة ما يُشعبُ[١]
وكالدَّرِ[٢] ليست له رجعة إلى الضَّرع من بعد ما يُحلبُ
[المتقارب]

غنّى في البيتين الأولين إبراهيم الموصليُّ خفيف ثقيل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غير منسوب. قال: فقال لي صاحب الستارة: أعِد فأعدته، فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال، فأمر له بمثل الذي أَمر لي بالأمس، وجاؤوني ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه، فلما انصرفنا قال: اللّهم أرِحنا من ابن جعفرٍ هذا، فما أشدَّ بُغضي له، لقد بغَّض إليّ جدّه، فقلت: ويحك! تدري ما تقول! قال: فمن يدري ما يقول؟ إذاً لوددتُ أني لم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأني تصدّقت بها ـ يعني البدرة.

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد اللّه بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام.

شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوّجها غيره:

أَخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكّار عن عمه قال:

خطب عبد اللّه بن معاوية رُبَيحة بنت محمد بن عبد اللّه بن علي بن عبد اللّه بن جعفر، وخطبها بكّار بن عبد الملك بن مروان، فتزوجت بكاراً، فشمتت بعبد اللّه امرأته أمّ زيد بنت زيد بن علي بن الحسين، فقال في ذلك:

سلا ربَّة الخِدر ما شأنُها ومِن أيّما شأننا تعجبُ
[المتقارب]

فقال ابن أَبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له: واللّه ما شمتُّ ولكني نفست[٣] عليك، فقال لها: لا جرَمَ! واللّه لا سُؤتُكِ أَبداً ما حييتُ:

(١) يُشعَب: يُرأَبُ ويُصلح.
(٢) بدرة دنانير: البدرة كيس فيه عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.
(٣) نفست عليك: حسدتك.

صـوت

طـاف الـخـيـال مـن أمّ شـيـبـة فـاعـتـرى والـقـوم مـن سـنـةٍ نَـشـاوى[١] بـالـكـرى[٢]
طـافـت بـخـوصٍ[٣] كـالـقـسـيّ وفـتـيـةٍ هـجـعـوا قـلـيـلاً بـعـد مـا مـلُّـوا الـسُّـرى

[الكامل]

الشعر لأبي وَجزة السعدي، والغناء لإِسحاق، ثقيل أوّل بالبنصر.

* * *

(١) نشاوى: مفردها نشوان أي سكران.
(٢) الكرى: النعاس.
(٣) الخوص: مفردها أخوص وهو الغائر العينين.

أخبار أبي وجزة ونسبه

اسمه يزيد بنُ عُبيد فيما ذكره أصحاب الحديث. وذكر بعض النسابين أَنّ اسمه يزيد بن أَبي عبيد، وأنه كان له أخٌ يقال له عبيد، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم.

* * *

دخل مع أبيه في بني سعد:

وأصله من سُليم من بني ضَبيس بن هلال بن قُدَم بن ظفر بن الحارث بن بُهثة بن سُلَيم؛ ولكنه لحق أَباه وهو صبي سِباءٌ في الجاهلية، فبيع بسوق ذي المجاز، فابتاعه رجل من بني سعد، واستعبده، فلما كبر استعدى عمر رضي اللَّه عنه وأعلمه قصته، فقال له: إنه لا سِباء[1] على عربيّ، وهذا الرجل قد امتنّ عليك فإن شئت فأقم عنده، وإن شئت فالحق بقومك، فأقام في بين سعد وانتسب إليهم هو وولده.

وبنو سعد أَظآر[2] رسول اللَّه ﷺ، كان مسترضعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لها حليمة، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يفع، ثم أخذه جدّه عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة، وجاءته حليمة بعد الهجرة، فأكرمها وبَرَّها وبسط لها رداءه فجلست عليه. وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن، وحقيقٌ بكل مكرمةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول اللَّه ﷺ بأدنى سبب أو وسيلةٍ.

أَخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكيُّ قال حدثنا محمد بن سلَّام الجمحيُّ عن يونس. وأَخبرني أَبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلَّام عن يونس وأَخبرني به عمي عن الكراني عن الرّياشيّ عن محمد بن سلَّام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أَبي سعيدٍ السكريّ عن يعقوب بن السِّكِّيت قالوا جميعاً سوى يعقوب.

---

(١) السِّباء: الأسر.

(٢) أظآر: مفردها ظِئر وهي التي تحنو على ولد غيرها المرضعة له.

كان عبيدٌ أَبي وجزة السعديُّ عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وُهَيب بن خالد بن عامر بن عُمَير بن ملَّان بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن، فأقام عنده زماناً يرعى إبله، ثم إن عبيداً ضرب ضرع ناقةٍ لمولاه فأدماه، فلطم وجهه، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطاب رضي اللَّه عنه مستعدياً فلما قدِم عليه قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من بني سُلَيم، ثم من بني ظفر أصابني سِباء في الجاهلية كما يصيب العرب بعضها من بعض، وأنا معروف النسب، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني، فأساء إليّ وضرب وجهي، وقد بلغني أَنه لا سِباء في الإسلام، ولا رِقَّ على عربيّ في الإسلام.

فما فرغ من كلامه حتى أتى مولاه عمرَ بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه على أسره، فقال: يا أَمير المؤمنين، هذا غلامٌ ابتعته بذي المجاز، وقد كان يقوم في مالي، فأساء فضربته ضربة واللَّه ما أعلمني ضربته غيرها قط، وإن الرجل ليضرب ابنه أشدَّ منها فكيف بعبده، وأَنا أشهِدك أنه حرٌ لوجه اللَّه تعالى.

فقال عمر لعبيد: قد أمتن هذا الرجل، وقطع عنك مؤنة البيِّنة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليك مِنَّة، وإن أحببت فالحق بقومك، فأقام مع السعديّ وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرفطة المُزنيَّة، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب: «وأخاه عبيداً» وذكر أَن أَباهما كان يقال له أبو عبيدٍ، ووافق من ذكرتُ روايته في سائر الخبر، فلما بلغ ابناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي إلى قومه من بني سليم، فقال: لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيّروني كلّ يوم ويدفعوني، وأترك قوماً يُكرموني ويشرّفوني، فواللَّه لئن ذهبتُ إلى بني ظفرٍ لا أرعى طُمَّة، ولا أرِد جَمَّة، إلا قالوا لي: يا عبد بني سعدٍ قال: وطُمَّة: جبل لهم. فقال أَبو وجزة في ذلك:

أنمى فأعقلُ في ضبيسٍ مَعقلاً ضخماً مناكبه تميم[1] الهادي
والعقد في ملَّان غير مزلَّجٍ[2] بقوًى متينات الحبال شدادِ

[الكامل]

وكان أَبو وجزة من التابعين، وقد روى عن جماعة من أَصحاب رسول اللَّه ﷺ، ورأى عمرَ بن الخطَّاب رضي اللَّه تعالى عنه، ولم يسند إليه حديثاً؛ ولكنه حدّث عن أبيه بحديث الاستسقاء، ونقل عنه جماعة من الرواة.

(١) تميم الهادي: التام العنق.
(٢) المذلَّج: كل ما لم يستطع المرء إحكامه.

أَخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ وعمي قالا حدثنا عبد اللَّه بن شبيبٍ قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شَيْبة قال:

سمعت أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس شعرُ حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد اللَّه بن رواحة شعراً، ولكنه حكمةٌ**».

فأمَّا خبر الاستسقاء الذي رواه عن أَبيه عن عمر فإن الحسن بن عليّ أَخبرنا به قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني عبد اللَّه بن عمرو عن علي بن الصباح عن هشام بن محمدٍ عن أَبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أَبيه قال:

شهدت عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقيَ عام الرَّمادة؛ فقام وقام الناس خلفه، فجعل يستغفر اللَّه رافعاً صوته لا يزيد على ذلك؛ فقلت في نفسي: ما له لا يأخذ فيما جاء له؛ ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلَّتنا، فسقي الناس، وقلدتنا[١] السماء قلداً، كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة[٢] تأكلها صِغار الإبل من وراء حِقاق العرفُط[٣].

مات سنة ثلاثين ومائة:

وأَخبرني أبو الحسن الأسدي وهاشم بن محمد الخزاعي جميعاً عن الرياشي عن الأصمعي عن عبد اللَّه بن عمر العمري عن أَبي وجزة السعدي عن أَبيه، وذكر الحديث مثله. وأخبرني به إبراهيم بن أَيوب عن عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة، واللفظ متقارب وزاد الرياضي في خبره: فقلت لأبي وجزة: ما حِقاق العرفُط؟ قال: نبات سنتين وثلاث. وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال: ومات أَبو وجزة سنة ثلاثين ومائة.

هو أحد من شبب بعجوز:

وهو أحد من شبَّب بعجوزٍ حيث يقول:

يا أيّها الرجل الموكَّل بالصبا ... فيم ابنُ سبعين المعمَّر من دَدِ[٤]؟
حتَّام أنت موكَّلٌ بقديمةٍ ... أمست تجدَّد كاليماني الجيِّد
زان الجلال كمالها ورسا بها ... عقلٌ وفاضلة وشيمة سيِّدِ
ضنَّت بنائلها[٥] عليك وأنتما ... غِرَّان في طلب الشباب الأغيد[٦]

(١) قلَّدتنا: مطرتنا بغزارة.
(٢) الأرينة: ضرب من النبات.
(٣) العرفط: شجر العضاه.
(٤) الدَّد: اللهو واللعب والعبث.
(٥) النائل: المعروف أو ما يُنال من الطلب.
(٦) الأغيد: الناعم.

فـالآن تـرجـو أن تـشـيـبـك نـائـلاً هـيـهـات! نـائـلـهـا مـكـان الـفـرقـد[١]

[الكامل]

وأَخبرنا الحرمي بن أَبي العلاء والطوسي جميعاً قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أَبيه قال:

استسقى عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ في الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل في حاجته! ثم قال في آخر كلامه: اللَّهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم. ثم أخذ بيد العباس رضي اللَّه تعالى عنه، ثم قال: وهذا عمّ نبيّك، ونحن نتوسل إليك به. فلما أراد عمر رضي اللَّه تعالى عنه أن ينزل قلب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طُرَّة[٢] في مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا! وما رأينا قبل ذلك قَزَعة[٣] سحاب أَربع سنين؟ قال: ثم سمعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب، فكان المطر يَقلدنا قَلداً في كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة خارجة من حقاق العُرفُط تأكلها صغار الإبل.

مدح بني الزبير وأكرموه:

أَخبرني الحرمي بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكَّار قال حدثني عمي عن جدّي قال:

خرج أبو وجزة السعدي وأبو زيد الأسلمي يريدان المدينة، وقد امتدح أَبو وجزة آل الزبير، وٱمتدح أَبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومي، فقال له أَبو وجزة: هل لك في أن أشاركك فِيما أصيب من آل الزبير، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا واللَّه، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير. فقدِما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه: اخرج إلى هذا الأعرابي الجِلف فٱضربه وأخرجه، فأُخرج وضرب، وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع أن يعطى منه ستين وَسقاً[٤] من التمر، فقال أَبو وجزة يمدحهم:

راحـت قَـلـوصـي[٥] رواحـاً وهـي حـامـدة آلَ الـزبـيـر ولـم تـعـدِل بـهـم أَحـدَا

(١) الفرقد: النجم الذي يهتدى به. (٢) الطُرَّة: الطريقة من السحاب.
(٣) القَزَعة: القطعة من السحاب، جمعها القَزَع.
(٤) الوسق: ستون صاعاً، أو حِمل البعير. (٥) القَلوص: الشابة من الإبل.

راحت بستِّين وَسقاً في حقيبتها ما حُمِّلت حِملها الأدنى ولا السَّددَا[١]
ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم يَقرون ضيفهم المليَّة الجدُدَا
[البسيط]

يعني السياط.

قال أبو الفرج الأصفهاني: قول أَبي وجزة:

راحت بستِّين وسقاً في حقيبتها

أنها حملت ستِّين وسقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفه، وإنما عَنى أَنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقاً فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في حقيبتها، لكأنّها حاملة بالكتاب ستين وسقاً، لا أنها أطاقت حَمل ذلك. وهذا بيت معنى يُسأل عنه.

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري في شعر أبي وجزة وأخباره:

أحسن عمرو بن زناد جواره فمدحه:

كان أبو وجزة قد جاور مُزَينة، وانتجع بلادهم لصهره فيهم، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيل بن مُكدَّم بن عُقيل بن وهب بن عمرو بن مُرّة بن مازن بن عوف بن ثور بن هُذمة بن لاطم بن عثمان، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه، فقال أبو وجزة يمدحه:

لمن دمنةٌ[٢] بالنَّعفِ[٣] عافٍ[٤] صَعيدُها تغيّر باقيها ومحَّ[٥] جديدُها
لسعدة من عام الهزيمة إذ بنا تصافٍ وإذ لمَّا يَرُعنا صُدودُها
وإذ هي أمَّا نفسها فأريبة[٦] للهوٍ، وأمَّا عن صِباً فتذودُها
تصيَّد ألباب الرجال بدَلّها وشيمتها وَحشيةٌ لا نصيدُها
كباسقة الوسميّ[٧] ساعة أسبلت[٨] تلألأ فيها البرق وابيضّ جيدُها
[الطويل]

---

(١) السَّدد: الوفق.
(٢) دمنة: آثار الدار والناس، جمعها دِمَنٌ ودِمْنٌ.
(٣) النَّعف: ما انحدر من حزونة الجبل، وارتفع عن منحدر الوادي.
(٤) عافٍ: دارس.
(٥) محَّ: بلي.
(٦) أريبة: عاقلة.
(٧) الوسمي: مطر الربيع.
(٨) أسبلت: أمطرت بغزارة.

ـ الباسقة: التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ [ق: ١٠] ـ.

كبكرٍ تُراني فَرقَدين بقفرة ... من الرمل أو فَيحان[١] لم يَعسُ[٢] عودُها
لعمرو الندى عمرو بن آل مكدَّم ... كثير عليّات الأمور جليدُها
فتًى بين مَسروجٍ وآل مُكدَّمٍ ... وعمرٌو فتى عثمان طُرّاً[٣] وسِيدُها[٤]
حليم إذا ما الجهل أفرط ذا النهى ... على أمره، حامي الحصاة[٥] شديدُها
وما زال ينحو فعل مَن كان قبله ... مِنَ آبائه يجني العلا ويفيدُها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ ... وقرّبتَ مِن أدماءَ[٦] وارٍ قصيدُها[٧]
وذي كربة فرّجتَ كربةَ همه ... وقد ظل مُستَدّاً عليه وصيدُها[٨]

[الطويل]

أَخبرني عمي قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلَّام بن عبد اللَّه بن أبي مسروج قال:

تزوّج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرفطة بن سهل بن مكدَّم المزنيَّة فولدت له عُبيداً وكانت قد عنَّست[٩]، وكان أَبو وجزة يبغضها، وإِنما أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم:

أُعطى عُبيداً وعبيدٌ مقنعُ ... من عِرمسٍ[١٠] مَحزمُها[١١] جَلَنفعُ[١٢]
ذاتِ عساسٍ[١٣] ما تكاد تشبعُ ... تجتلد[١٤] الصحن وما إِن تبضعُ[١٥]

(١) فيحان: موضع في ديار بني سعد.
(٢) لم يعسُ: لم ييبس ويصلب.
(٣) طرّاً: جميعاً.
(٤) سِيْدُها: أي سَيِّدُها.
(٥) الحصاة: العقل والرأي، جمعها حصى.
(٦) أدماء: تطلق على الناقة التي يخالط بياضها سواد، أو هي الناقة البيضاء لسواد المقلتين.
(٧) القصيد: سنام البعير إذا سَمِن.
(٨) الوصيد: فناء الدار، وساحته.
(٩) عنَّست: المرأة التي طال مكثها في منزل أهلها بغير زواج لسِّن متقدِّمة.
(١٠) عِرمِس: ناقة صلبة شديدة.
(١١) محزمها: مكان وضع الحزام وهو البطن.
(١٢) جلنفع: عظيمة البطن.
(١٣) عِساس: مفردها عُسّ، وهو القدح الكبير.
(١٤) تجتلد: تشرب كل ما في الإناء.
(١٥) تبضع: ترتوي من الماء حتى تمتلئ.

تـــمـــرّ فـــي الـــدار ولا تَـــوَرَّعُ كـأنـهـا فـيـهـم شـجـاعٌ[١] أقـرعُ[٢]

[الرجز]

فقالت زينب أم أبي وجزة تجيبه:

أعطى عُبيداً من شُيَيْخ[٣] ذي عجرْ[٤] لا حـسـن الـوجـه ولا سـمـح يَـسَـرْ

يشرب عُسَّ[٥] المَذق[٦] في اليوم الخَصِرْ[٧] كـأنـمـا يـقـذف فـي ذات الـسُّـعُـرْ[٨]

تـقـاذف الـسـيـل مـن الـشِّـعـبِ[٩] الـمُـضِـرّْ

[الرجز]

قال: وقال أبو وجزة لابنه عُبيد:

يا راكب العنس[١٠] كمرداة[١١] العَلَمْ[١٢] أصـلـحـك الـلّـه وأدنـى ورحِـمْ

إن أنـت أبـلـغـتَ وأدَّيـتَ الـكَـلِـم عـنـى عـبـيـد بـن يـزيـد لـو عـلـمْ

قـد عـلـم الأقـوام أن سـيـنـتـقـم مـنـك ومـن أمّ تـلـقَّـتـك وعـمْ

ربٌّ يـجـازي الـسـيـئـات مَـن ظَـلـم أنـذرتُـك الـشـدّة مِـن لـيـثٍ أَضِـمْ[١٣]

عـادٍ أَبـي شِـبـلـيـن فَـرفـارٍ[١٤] لـحِـم[١٥] فـارجـع إلـى أمّـك تُـفـرشـك ونَـمْ

إلـى عـجـوز رأسـهـا مـثـل الإِرَم[١٦] واطـعـم فـإنّ الـلّـه رزّاق الـطُّـعَـمْ

[الرجز]

فقال عبيد لأبيه:

دعـهـا أبـا وجـزة واقـعـد فـي الـغـنـمْ فـسـوف يـكـفـيـك غـلامٌ كـالـزَّلَـمْ[١٧]

مـشـمِّـر يُـرقـل[١٨] فـي نـعـلٍ خَـذِمْ[١٩] وفـي قَـفـاه لـقـمـة مـن الـلّـقـمْ

---

(١) شجاع: نوع من الحيات دقيق.
(٢) أقرع: ضرب من الحيات قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمّه وطول عمره.
(٣) شُييخ: تصغير شيخ، وهو من استبانت فيه السِّن.
(٤) العُجْر: عظم البطن.
(٥) العُسّ: القدح الكبير، جمعها عِسَاس.
(٦) المَذق: اللَّبن الممزوج بالماء.
(٧) الخَصِر: البارد.
(٨) السُّعُر: حرّ النَّار.
(٩) الشِّعب: هو مسيل الماء في بطن الأرض جمعها الشِّعاب.
(١٠) العَنس: الناقة الصلبة الشديدة.
(١١) المرداة: الحجر الذي يتردى لثقله.
(١٢) العَلَم: الجبل.
(١٣) الأضِم: الغضوب.
(١٤) الفرفار: الذي يكسر كل شيء.
(١٥) اللَّحِم: الكثير لحم الجسد.
(١٦) الإِرَم: الحجارة.
(١٧) الزَّلَم: القِدْح الذي لا ريش عليه.
(١٨) يُرقِلُ: يسرع في سيره.
(١٩) خَذِم: مقطّع، مفرّق.

قـد ولّـهـتْ[١] ألّافَـهـا غـيـرَ لَـمـمْ[٢] حتى تـنـاهـت فـي قَـفـا جَـعـدٍ[٣] أحَـمْ[٤]

[الرجز]

قال يعقوب: وقال أَبو المزاحم يهجو أَبا وجزة ويعيّره بنسبه:

دَعَـتـك سُـلـيـمٌ عـبـدهـا فـأجـبـتـهـا وسـعـدٌ ومـا نـدري لأيـهـمـا الـعـبـدُ؟

[الطويل]

فأجابه أَبو وجزة فقال:

أعـيّـرتـمـونـي أن دعـتـنـي أخـاهـم سـلـيـمٌ وأعـطـتـنـي بـأيـمـانـهـا سـعـدُ
فـكـنـت وسـيـطاً[٥] فـي سُـلـيـم مـعـاقـداً لـسـعـد، وسـعـدٌ مـا يـحـلّ لـهـا عَـقـدُ

[الطويل]

أَخبرني أَبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضُّفَعيّ إجازةً قال حدثنا محمد بن مسعود الزُّرَقي عن مسعود بن المفضَّل مولى آل حسن بن حسن قال:

قدم أَبو وجزة السعدي على عبد اللَّه بن الحسن وإخوته سُوَيقة، وقد أصابت قومه سنة مجدبة[٦]، فأنشده قَوله يمدحه:

أُثـنـي عـلـى ابـنَـيْ رسـول الـلَّـه أفـضـل مـا أَثـنـى بـه أَحـدٌ يـومـاً عـلـى أَحـدِ
ألـسـيـديـن الـكـريـمـيْ كـلّ مُـنـصـرفٍ مـن والـدَيـن ومـن صِـهـر ومـن ولـدِ
ذريّـةٌ بـعـضـهـا مـن بـعـضـهـا عَـمـرَت في أصل مجد رفيع السَّمك[٧] والعمدِ
مـاذا بـنـى لـهـمُ مـن صـالـح حـسـنٌ وحـسـنٌ وعـلـيّ وابـتَـنَـوْا لـغَـدِ
فـكـرَّم الـلَّـه ذاك الـبـيـتَ تـكـرمـةً تـبـقـى وتـخـلـد فـيـه آخـر الأبـدِ
هـمُ السَّدى[٨] والـنـدى، مـا فـي قـنـاتـهـم إذا تـعـوّجـت الـعـيـدان مـن أَوَدِ[٩]
مـهـذَّبـون هِـجـانٌ[١٠] أمّـهـاتـهـم إذا نُـسِـبـن زُلال الـبـارق[١١] الـبَـرِدِ[١٢]
بـيـن الـفـواطـم مـاذا ثَـمَّ مـن كـرم إلـى الـعـواتـك مـجـد غـيـر مُـنـتـقـدِ
مـا يـنـتـهـي الـمـجـد إلا فـي بـنـي حـسـن ومـا لـهـم دونـه مـن دار مُـلـتـحـدِ[١٣]

[البسيط]

(١) ولّهت: أحزنت وحيّرت.
(٢) اللَّمَم: الجنون.
(٣) الجعد: الشحيح اللئيم.
(٤) الأحمّ: الشديد السواد.
(٥) الوسيط: الحسيب في وسط قومه.
(٦) مُجدِبة: لا تكاد تُخصِب.
(٧) السَّمك: القامة من كل شيء.
(٨) السَّدى: المعروف الذي يُبذل.
(٩) الأود: الإعوجاج.
(١٠) هِجان: كرام جمعها هجائن.
(١١) البارق: السحاب ذو البرق.
(١٢) البَرِد: السحاب المحمَّل بالبَرَد.
(١٣) المُلتَحَد: الملتجأ.

قال: فأمر له عبد اللَّه بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا[١] له رواحله بُرّاً وتمراً، وكسوه ثوبين ثوبين.

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني أَبو غسَّان والمدائني جميعاً:

أَن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعديَّ كان قد نُدِب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها، قال: وبعث إليه مروان بن محمد بمال، ففرّقه فيمن خف معه من قومه، فكان فيمن فُرِض له منهم أَبو وجزة وابناه، فخرج معترضاً للعسكر على فرس، وهو يرتجز ويقول:

قل لأبي حمزة هِيدِ هيدِ[٢] جئناك بالعادية الصِّنديدِ[٣]
بالبطل القَرم أَبي الوليدِ فارس قيسٍ نجلها المعدودِ[٤]
في خيل قيسٍ والكماة الصِّيدِ كالسيف قد سُلَّ من الغمودِ
محضٍ هجانٍ ماجدِ الجدودِ في الفرع من قيسٍ وفي العمودِ
فِدًى لعبد الملك الحميدِ مالي من الطارف[٥] والتليدِ
يوم تنادى الخيل بالصعيدِ كأنه في جُنَن[٦] الحديدِ
سِيدٌ مُدِلٌّ عزَّ كلَّ سِيدِ[٧]

[الرجز]

قال: وسار ابن عطية في قومه، ولحقت به جيوش أَهل الشام، فلقي أَبا حمزة في اثني عشر أَلفاً، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أَصاب صناديد عسكره، فنادوه: يا ابن عطية، إن اللَّه جلّ وعزّ قد جعل الليل سكناً، فاسكنوا حتى نسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً.

قال: وكان أَبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطية، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفضل عليه، وكان أَبو وجزة مداحاً له، وفيه يقول:

حَنّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُثبِ فيم الكثير من التَّحنان والطربِ

(١) أوقروا: حملوا حِملاً ثقيلاً.
(٢) هيد هيد: كلمة تستعمل للزجر.
(٣) الصنديد: السيد الحليم الجواد.
(٤) المعدود: المفضَّل.
(٥) الطارف: الحديث من المال أي المكتسب حديثاً، ويقابله التليد.
(٦) جنن: مفردها جنة وهي كل ما وقي.
(٧) السِّيِّد: أي السَّيِّد.

قـالـت سـعـادُ أرى مـن شـيـبـه عـجـبـاً مهلاً سعاد فما في الشيب من عجبِ
[البسيط]

غنّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه:

إِمَّـا تـريـنـي كـسـانـي الـدهـر شـيـبـتـه فـإِنّ مـا مـرّ مـنـه عـنـكِ لـم يـغـبِ
سَـقـيـاً لـسـعـدى عـلـى شـيـب ألـمّ بـنـا وقـبـل ذلـك حـيـن الـرأس لـم يـشـبِ
كـأنّ ريـقـتـهـا بـعـد الـكـرى اغـتـبـقـت[١] صـوب[٢] الـثـريـا بـمـاء الـكـرم مـن حـلـبِ
[البسيط]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

أَهـدي قِـلاصـاً[٣] عـنـاجـيـجـاً[٤] أضـرّ بـهـا نَصُّ الوجيف[٥] وتقحيمٌ[٦] من العُقبِ[٧]
يـقـصـدن سـيِّـد قـيـسٍ وابـن سـيِّـدهـا والـفـارس الـعـدَّ[٨] مـنـهـا غـيـر ذي الـكـذبِ
مـحـمـد وأَبـوه وابـنـه صـنـعـوا لـه صـنـائـع مـن مـجـد ومـن حـسـبِ
إنـي مـدحـتـهـم لـمَّـا رأيـت لـهـم فـضـلاً عـلـى غـيـرهـم مـن سـائـر الـعـربِ
إلَّا تُـثـبـنـي بـه لا يَـجـزنـي أَحـد ومَـن يُـثـيـبُ إذا مـا أنـت لـم تُـثـبِ!
[البسيط]

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناء المذكور معه أمرُ أَبي وجزة من قصيدة له مدح بها أَيضاً عبد الملك بن عطية هذا. ومما يختار منها قوله:

حـتـى إذا هَـجـدوا ألـمَّ خـيـالـهـا سـرّاً، ألا بـلـمـامـه كـان الـمـنـى
طـرقَـت بـريَّـا روضـةٍ مـن عـالـجٍ وسَـمـيَّـةٍ عـذبُـت وبـيَّـتـهـا الـنـدى
يـا أمّ شـيـبـة أيَّ سـاعـة مـطـرقٍ نـبَّـهـتـنـا، أيـن الـمـديـنـة مِـن بَـدا؟
إنـي مـتـى أَقـض الـلُّـبـانـة أجـتـهـد عـنـقَ الـعـتـاق الـنـاجـيـات عـلـى الـوجـى[٩]

(١) إغتبقت: شربت الغبوق وهو ما يشرب بالعشي.
(٢) الصوب: المطر.
(٣) القِلاص: مفردها قَلوص، وهي الشابة من الإبل.
(٤) العناجيج: جِياد الخيل والإبل، مفردها عنجوج.
(٥) الوجيف: ضرب من سير الخيل والإبل.
(٦) تقحيم: اقتحام الإبل للمراحل واحدة تلو الأخرى دون أن تنزل فيها.
(٧) العقب: مفردها عقبة، وهي قدر فرسخين.
(٨) العدّ: الشجاع الذي لا تنفذ شجاعته.
(٩) الوجى: الحفا أو هو أشدّ منه.

حتى أزورك إن تيسَّر طائري وسلمتُ من ريب الحوادث والردى
[الكامل]

وفيها يقول:

فلأمدحنَّ بني عطية كلَّهم مدحاً يوافي في المواسم والقُرى
ألأكرمين أوائلاً وأواخراً والأحلمين إذا تُخولجتِ[1] الحُبا[2]
والمانعين من الهضيمة جارهم والجامعين الراقعين[3] لما وهى[4]
والعاطفين على الضريك[5] بفضلهم والسابقين إلى المكارم مَن سعى
[الكامل]

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي، ولا معنى للإطالة بذكرها.

مدح عبد اللَّه بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه:

أَخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال.

كان أَبو وجزة السعدي منقطعاً إلى آل الزبير، وكان عبد اللَّه بن عروة بن الزبير خاصةً يُفضِل عليه ويقوم بأمره، فبلغه أَن أَبا وجزة أتى عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فمدحه فوصله، فاطّرحه ابن عروة، وأمسك يده عنه، فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة، فلم يزل أَبو وجزة يمدح آل الزبير، ولا يرجع له عبد اللَّه بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه:

آل الزبير بنو حُرّة مَرَوا بالسيوف صدوراً خِنافا[6]
سَلِ الجُرد عنهم وأيَّامها إذا امتعطوا المُرهفات الخِفافا
[المتقارب]

---

(١) تخولجت: تفكَّكَت.
(٢) الحُبا: مفردها حبوة من فعل احتبى أي جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.
(٣) الراقعين: مفردها الراقع، وهو الذي يقوم بإصلاح ما تشقق من ثوب وغيره.
(٤) وهى: تشقق وتخرَّق فهو واهٍ.
(٥) الضريك: الضرير، أو هو الفقير السيّئ الحال.
(٦) الخانف: الشامخ بأنفه من الكِبر، جمعها خِناف.

ـ امتعطوا: سَلّوا، ومنه ذئبٌ أمعطُ، مُنسلٌّ من شعره ـ:

يـمـوتـون والـقـتـل داءٌ لـهـم ... ويـصـلَـون يـوم الـسـياف الـسِّـيـافـا
إذا فـرج الـقـتـل عـن عِـيـصـهـم[1] ... أبـى ذلـك الـعـيـص إلّا الـتـفـافـا
مـطـاعـيـم تـحـمَـد أبـيـاتـهـم ... إذا قُـنِّـع الـشـاهـقـاتُ الـطَّـخـافـا[2]
وأَجـبـن مِـن صـافـرٍ[3] كـلـبـهـم ... إذا قـرعـتـه حـصـاةٌ أَضـافـا[4]

[المتقارب]

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه.

صـوت

من المائة المختارة

ألا هَـل أسـيـر الـمـالـكـيَّـة مُـطـلـقُ ... فـقـد كـاد لـو لـم يُـعـفـه الـلَّـه يـغـلـقُ
فـلا هـو مـقـتـولٌ، فـفـي الـقـتـل راحـة ... ولا مـنـعـمٌ يـومـاً عـلـيـه فـمـعـتَـقُ[5]

[الطويل]

الشعر لعقيل بن عُلَّفة البيتُ الأوَّل منه، والثاني لشبيب بن البرصاء، والغناء لأحمد بن المكي، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه، وفيه لدقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانة، وأوَّله:

سـلا أمَّ عـمـرو فـيـمَ أَضـحـى أسـيـرُهـا ... يُـفـادى الأسـارى حَـولـه وهـو مُـوثـقُ

[الطويل]

وبعده البيت الثاني وهو:

فـلا هـو مـقـتـولٌ فـفـي الـقـتـل راحـةٌ ... ولا مُـنـعـمٌ يـومـاً عـلـيـه فـمـعـتـقُ

[الطويل]

والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء.

* * *

(١) العيص: الشجر الكثير الملتَفّ. (٢) الطّخاف: السحاب المرتفع.
(٣) الصافر: نوع من الطيور يسمى بذلك لأنه يتعلق برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيأخذ بالصفير.
(٤) أضاف: خاف وحذر.
(٥) المعتق: محرَّرٌ من الأسر.

أخبار عقيل بن علفة

نسبه:

عَقيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غَيظ بن مرَّة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الرَّيث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مُضر، ويكنى أبا العملَّس وأبا الجرباء.

وأمّ عقيل بن عُلَّفة العوراء، وهي عمرة بنتُ الحارث بن عوف بن أَبي حارثة بن مُرَّة بن نُشبة بن غَيط بن مُرَّة. وأمها زينب بنت حِصن بن حذيفة. هذا قولُ خالد بن كلثوم والمدائني. وقال ابن الأعرابي: كانت عمرة العوراء أمّ عقيل بن عُلَّفة والبرصاء أمّ شبيب بن البرصاء أختين، وهما ابنتا الحارث بن عوف، واسم البرصاء قرصافة، أمها بنت نجبة بن ربيعة بن رِياح بن مالك بن شمخ.

وعقيل شاعر مُجيد مقلّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان أعرج جافياً شديد الهوَج والعجرفية[١] والبذخ[٢] بنسبه في بني مرّة، لا يرى أنّ له كفئاً. وهو في بيتٍ شرف في قومه من كلا طرفيه. وكانت قريشٌ ترغب مصاهرته. تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها، منهم يزيد بن عبد الملك، تزوّج ابنته الجَرباء، وكانت قبله عند ابن عمّ لعقيل يقال له مطيع بن قطعة بن الحارث بن معاوية. وولدت ليزيد بُنيّاً درج[٣]. وتزوّج بنته عَمرةَ سلمة بن عبد اللَّه بن المغيرة، فولدت له يعقوب بن سلمة، وكان من أشراف قريش وجُودائها. وتزوَّج أمَّ عمرو بنته ثلاثةُ نفر من بني الحكم بن أَبي العاص: يحيى والحارث وخالد.

أَخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضَل قال:

دخل عقيل بن عُلَّفة على عثمان بن حيَّان وهو يومئذٍ على المدينة، فقال له عثمان: زوّجني ابنتك، فقال: أبَكرةً من إِبلي تعني؟ فقال له عثمان: ويلك! أمجنونٌ

(١) العجرفيَّة: هي قلة المبالاة للسرعة. (٢) البذخ: الكِبر والافتخار والتطاول.
(٣) درج: هلك، مات.

أنت! قال: أي شيء قلتَ لي؟ قال: قلت لك: زوّجني ابنتك، فقال: أفعلُ إن كنت عنيتَ بَكرةً من إبِلي. فأمر به فوُجئت[١] عُنقه. فخرج وهو يقول:

كنا بني غَيظ الرجال فأصبحت بنو مالكٍ غَيظاً وصرنا كمالكِ
لحى اللَّه دهراً ذَعذع[٢] المال كلَّه وسوَّد[٣] أشباه الإماء العوارِكِ[٤]

[الطويل]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا أَبو غسَّان دماذ عن أَبي عبيدة قال:

كان لعقيل بن عُلَّفة جارٌ من بني سَلامان بن سعد، فخطب إليه ابنته، فغضب عَقيل، وأخذ السلاماني فكتفه، ودهن إسته بشحم، وألقاه في قرية[٥] النمل، فأكلن خُصييه حتى ورم جسده، ثم حلَّه وقال: يخطب إليّ عبد الملك فأردّه، وتجترئ أنت عليّ! قال: ثم أجدبت مراعي بني مُرّة، فانتجع عقيل أرض جُذام وقُربهم عُذرة. قال عقيل: فجاءني هُنيٌّ مثلُ البعرة، فخطب إليّ ابنتي أمّ جعفر. فخرجت إلى أكمة قريبة من الحيّ، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب، ثم تحملت وخرجت، فاتَّبعني جمعٌ من حُنّ (بطن من عذرة) فقالوا: اختر، إن شئت حبسناك، وإن شئت حَدَرناك[٦] وبُعَيرةً من رأس الجبل، فإن سبقتها خلَّينا عنك. فأرسلوا بعيرة فسبقتها، فخلَّوْا سبيلي، فقلت لهم: ما طمعتم بهذا من أحد! قالوا: أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنَّا. فقلت فيهم:

لقد هزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبت وما لعبت حُنٌّ بذي حسب قبلي
رويداً بني حُنّ تسيحوا وتأمنوا وتنتشر الأنعام في بلد سهلِ

[الطويل]

واللَّه لأموتنّ قبل أَن أضع كرائمي إلَّا في الأكفاء.

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكَّار قال حدثني محمد بن الضحَّاك عن أبيه قال:

وجدتُ في كتاب بخط الضحَّاك قال: خرج عقيل بن علَّفة وابناه: عُلَّفة

(١) وجئت عنقه: ضربت عنقه فقُطِعت.
(٢) ذعذع: فرّق المال وبدرّه في غير موضعه.
(٣) سوَّد: جعله سيِّداً ووجيهاً.
(٤) العوارك: الحِيَّض، واحدتها عاركة أي حائض.
(٥) قرية النمل: هو مجتمع التراب الذي تسكنه النمل.
(٦) حدرناك: أردیناك من علّو.

وجثَّامة، وابنته الجرباء حتى أتوْا بنتاً له ناكحاً[١] في بني مروان بالشام فآمت[٢]. ثم إنهم قفلوا[٣] بها حتى كانوا ببعض الطريق، فقال عقيل بن علفة:

قضت وطراً من دير سعدٍ وطالما ... على عُرُضٍ ناطحنَه بالجماجم
إذا هبطت أرضاً يموت غرابها ... بها عطشاً أعطينهم بالخزائم[٤]

[الطَويل]

ثم قال: أنفِذ يا علفة، فقال علفة:

فأصبحن بالمَوماة[٥] يحملن فتيةً ... نشاوى من الأدلاج مِيل العمائم
إذا علمٌ غادرنه بتنوفة[٦] ... تذارعن بالأيدي لآخر طاسم[٧]

[الطَويل]

ثم قال: أنفذي يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال: نعم. فقالت:

كأنَّ الكرى سقَّاهم صَرخديَّةً[٨] ... عُقاراً تمشَّى في المطا والقوائم

[الطويل]

فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قُرطك، أما وجدت من الكلام غير هذا! فقال جثَّامة: وهل أساءت! إنما أجازت، وليس غيري وغيرُك. فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرَّحل، ثم شدّ على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جيَّامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء. ثم قال: لولا أَن تسبَّني بنو مرَّة ما ذقتِ الحياة. ثم خرج متوجّهاً إلى أَهله وقال: لئن أخبرتِ أهلك بشأن جثَّامة، أَو قلت لهم إنه أَصابه غير الطاعون لأقتلنك. فلما قدِموا على أَهل أبَير (وهم بنو القَين) ندم عقيل على فعله بجثَّامة. فقال لهم: هل لكم في جَزور أُنكسرت؟ قالوا: نعم. قال: فألْزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثَّامة فوجدوه قد أنزفه الدم، فاحتملوه وتقسَّموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه.

---

(١) ناكِحاً: ذات بعل.
(٢) آمت: توفيّ عنها زوجها، أي ترمَّلت.
(٣) قفلوا: رجعوا.
(٤) الخزائم: مفردها خزامة، وهي الحلقة التي تجعل في أنف البعير ليُشدّ بها.
(٥) المومَاة: الصحراء الواسعة.
(٦) التنوفة: المفازة.
(٧) الطاسم: المنطمِس.
(٨) صرخديَّة: منسوبة إلى صرخد وهي ملاصقه لحوران في دمشق.

ونسخت هذا الخبر من كتاب عبد اللَّه اليزيديّ بخطه ولم أجِده ذكر سماعه إياه من أَحد قال:

قرئ على علي بن محمد المدائني عن الطّرمَّاح بن خليل بن أبرد، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه: أَن القوم احتملوا جثَّامة ليلحقوه قومه؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنّى جثَّامة:

أيُعذَر لاهينا ويُلحَين في الصِّبا وما هنّ والفتيان إلا شقائقُ

[الطويل]

فقال له القوم: إنما أفلتَّ من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً، وقد عاودت ما يكرهه، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شرّ وعرّ[1]. فقال: إنما هي خطوةٌ خطرت، والراكب إذا سار تغنّى.

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد اللَّه بن إبراهيم الجمحي قال:

قدِم عقيل بن عُلَّفة المدينة فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزومي، فمرض وأصابه القولنج[2]، فنعتتْ له الحقنة، فأبى. وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال:

لقد سرني واللَّه وقَّاك شرَّها نجاؤك منها حين جاء يقودُها
كفى خزيةً ألَّا تزال مجبِّياً[3] على شكوة[4] توكى[5] وفي أستك عودُها

[الطويل]

أَخبرني عبد اللَّه بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا عليّ بن محمد عن زيد بن عياش التغلبي والربيع بن ثُميل قالا:

غدا عقيل بن علَّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع، فإذا بنوه مع بناته وأمّهم مجتمعون، فشدّ على عملَّس فحاد عنه، وتغنّى علَّفة فقال:

قفي يا ابنة المرّيّ أسألك ما الذي تريدين فيما كنتِ منِّيتنا قبلُ

(١) العَرّ: المكروه.
(٢) القولنج: مرض معوي مؤلِم، يعسر معه خروج الثَّفل والريح.
(٣) المجبيّ: الذي يضع يديه على ركبتيه، أو الذي يكبّ على وجهه باركاً.
(٤) الشكوة: وعاء صغير من أدم يستخدم للماء واللَّبن.
(٥) توكى: تربط وتشدّ.

نخبّرك إن لم تنجزي الوعد أننا ذَوَا خُلة لم يبق بينهما وصلُ
فإن شئت كان الصُّرم[١] ما هبَّت الصبا وإن شئتِ لا يفني التكارم والبذلُ
[الطويل]

فقال عقيل: يا ابن اللَّخناء[٢]، متى منَّتك نفسك هذا! وشدَّ عليه بالسيف ـ وكان عملَّس أخاه لأمه ـ فحال بينه وبينه، فشدّ على عملَّس بالسيف وترك علَّفة لا يلتفت إليه، فرماه بسهم، فأصاب ركبته؛ فسقط عقيل وجعل يتمعَّك[٣] في دمه ويقول:

إنّ بنيَّ سَربلوني[٤] بالدَّمِ من يَلقَ أبطال الرجال يُكْلَمِ[٥]
ومَن يكن ذا أوَدٍ يُقَوَّمِ شِنشنة أعرفها من أخزمِ
[الرجز]

قال المدائني: «شنشنة أعرفها من أخزم» مثلٌ ضربه. وأخزمُ: فحلٌ كان لرجل من العرب، وكان منجباً، فضرب في إبل رجلٍ آخر ـ ولم يعلم صاحبه ـ فرأى بعد ذلك من نسله جملاً، فقال: شنشنة أعرفها من أخزم.

عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته فأجابه:

أَخبرني محمد بن خلف وقيعٌ قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد اللَّه قال:

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علَّفة: إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالئ[٦] لهنّ، والناس ينسبونك إلى الغيرة، وتأبى أَن تزوّجهن إلا الأكفاء. قال: إني أستعين عليهنّ بخلَّتين تكلآنهنّ، وأستغني عن سواهما. قال: وما هما؟ قال: العُريُ والجوع.

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي:

قال خالد بن كلثوم: لما رمى عملَّس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألَّا يساكن بنيه، فاحتمل وخرج إلى الشام، فلما استوى على ناقته المسماة بـ«أطلال» بكت ابنته جرباء وحنَّت ناقته، فقال:

---

(١) الصُّرم: الفراق والقطيعة.
(٢) اللّخناء: المنتِنة.
(٣) يتمعّك: يتمرغ ويتقلَّب.
(٤) سربلوني: ألبسوني وأراد هنا أنه أصبح مدججاً بدمائه.
(٥) يُكلم: يُجرح.
(٦) الكالئ: الحارس والمانع.

ألـم تـريـا أطـلال حـنَّـتْ وشـاقـهـا تـفـرُّقـنـا يـوم الـحـبـيـب عـلـى ظـهـرِ
وأسـبـل مـن جـربـاء دمـعٌ كـأنَّـه جُـمانٌ[١] أضاع السلك أجرَته في سطرِ
لـعـمـرُك إنـي يـوم أغـذو عـمـلَّـسـاً لـكـالـمـتـربـي[٢] حـتـفـه وهـو لا يـدري
وإنـي لأسـقـيـه غـبـوقـي[٣] وإنـنـي لـغـرثـانُ[٤] مـنـهـوك الـذّراعـيـن والـنـحـرِ

[الطويل]

قال: ومضى علَّفة أَيضاً، فافترض بالشام وكتب إلى أَبيه:

أَلا أبـلـغـا عـنّـي عـقـيـلاً رسـالـةً فـإنـك مـن حـربٍ عـلـيّ كـريـمُ
أمـا تـذكـر الأيـام إذ أنـت واحـد وإذ كـلُّ ذي قُـربـى إلـيـك ذمـيـمُ
وإذ لا يـقـيـك الـنـاس شـيـئـاً تـخـافـه بـأنـفـسـهـم إلا الـذيـن تـضـيـمُ
تـنـاول شـأوَ الأبـعـديـن ولـم يـقـم لـشـأوك بـيـن الأقـربـيـن أديـمُ
فـإمَّـا إذا عـضَّـت بـك الـحـرب عـضَّـةً فـإنـك مـعـطـوفٌ عـلـيـك رحـيـمُ
وأمَّـا إذا آنـسـتَ أمـنـاً ورخـوةً فـإنـك لـلـقـربـى ألـدُّ[٥] ظـلـومُ

[الطويل]

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه: وبعث إليه فقدِم عليه.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلَّام قال حدثني ابن جُعدُبة قال:

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش، أمُّه أختُ عَقيل بن علَّفة فقال له: قبحك اللَّه! أشبهت خالك في الجفاء. فبلغتْ عقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيِّره به إلا خؤولتي! فقبح اللَّه شرّكما خالاً. فقال له صُخَير بن أَبي الجهم العدويُّ (وأمّه قُرشية): آمين يا أَمير المؤمنين. فقبح اللَّه شرّكما خالاً، وأنا معكما أَيضاً. فقال له عمر: إنك لأعرابيٌّ جِلف جافٍ، أما لو كنت تقدّمتُ إليك لأدّبتك. واللَّه لا أراك تقرأُ من كتاب اللَّه شيئاً، قال: بلى، إني لأقرأُ، قال: فاقرأ. فقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] حتى بلغ إلى آخرها فقرأ: ﴿فَمَن

(١) الجُمان: اللؤلؤ، أو هو حبٌّ من الفضّة يُتّخذ كحبّات اللؤلؤ الصغار.
(٢) المتربّي: القائم على التربية ومتوليها.
(٣) الغبوق: شراب العشيّ.
(٤) الغرثان: الجوعان.
(٥) الألد: الخصم الذي لا يرجع إلى الحق، أو هو المعانِد المجادل.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فقال له عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أَن تقرأ؟ قال: أو لم أقرأ؟ قال: لا، لأنّ اللَّه جلّ وعزّ قدّم الخير وأنك قدّمت الشر. فقال عقيل:

خذا بطن هَرْشى[1] أَو قفاها فإنه كِلا جانبيْ هرشى لهنّ طريقُ

[الطويل]

وروى هذا الخبر عليُّ بن محمد المدائني، فذكر أَنه كان بين عُمرَ بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد اللَّه كلامٌ، فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر: اسكت فإنك ابن أعرابية جافيةٍ. فقال عقيل لعمر: لعن اللَّه شرَّ الثلاثة، مني ومنك ومنه! فغضب عمرُ، فقال له صُخَير بن أبي الجهم: آمين. فهو واللَّه أَيها الأمير شرُّ الثلاثة. فقال عمر: واللَّه إني لأراك لو سألته عن آية من كتاب اللَّه ما قرأها. فقال: بلى واللَّه إني لقارئ لآية وآياتٍ فقال: فاقرأ، فقرأ: إنَّا بعثنا نوحاً إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أَنك لا تحسن. ليس هكذا قال اللَّه، قال: فكيف قال؟ قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ فقال: وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا!

خذا أنف هَرْشى أَو قفاها فإنه كلا جانبيْ هَرْشى لهنّ طريقُ

[الطويل]

أَخبرني عبيد اللَّه بن أَحمد الرازي قال حدثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثني علي بن محمد المدائني عن عبد اللَّه بن أسلم القرشي قال:

قدِم عقيل بن علَّفة المدينة، فدخل المسجد وعليه خُفَّان غليظان، فجعل يضرب برجليه، فضحكوا منه فقال: ما يضحككم؟ فقال له يحيى بن الحكم ـ وكانت ابنة عقيل تحته ـ: يضحكون من خُفَّيك وضربك برجليك وشدّة جفائك. قال: لا، ولكن يضحكون من إمارتك؛ فإنها أعجبُ من خُفِّي. فجعل يحيى يضحك.

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد اللَّه بن مصعب قاضي المدينة قال:

دخل عقيل بن علَّفة على يحيى بنِ الحكم، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة. فقال له يحيى: أَنكح ابن خالي ـ يعني ابنَ أوفى ـ فلانة ابنتك؟ فقال: إن ابنَ خالك ليرضى مني بدون ذلك، قال: وما هو؟ قال: أن أكفَّ عنه سنن[2] الخيل إذا غشيتْ

(١) هرشى: ثنيَّة قرب الجحفة.

(٢) سَنَن الخيل: هو عدوها لمرحها ونشاطها، أي ابتهاجها.

سوامه[١]. فقال يحيى لحرسيَّين بين يديه: أخرِجاه. فأخرجاه، فلما ولّى قال: أعيداه إليّ، فأعاداه، فقال عقيل له: ما لك تُكرِّني[٢] إكرار الناضح[٣]؟ قال: أما واللَّه إني لأكرك أعرج جافياً. فقال عقيل: كذلك قلت:

تعجَّبَتْ إذ رأت رأسي تجلَّله ... من الروائع شيبٌ ليس من كبرِ
ومِن أديمٍ تولَّى بعد جدّته ... والجفن يخلق فيه الصارم الذكرُ

[البسيط]

فقال له يحيى، أنشدني قصيدتك هذه كلها. قال: ما انتهيت إلَّا إلى ما سمعت. فقال: أَما واللَّه إنك لتقول فتقصِّر، فقال: إنما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة. قال: فأنكحني أَنا إحدى بناتك. قال: أمَّا أَنت فنعم. قال: أما واللَّه لأملأنك مالاً وشرفاً. قال: أَما الشرف فقد حمَّلت ركائبي منه ما أَطاقت، وكلفتها تجشُّمَ[٤] ما لم تطِق، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيّم ورضا الأبيّ. فزوّجه ثم خرج فهداها إليه، فلما قدِمت عليه بعث إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها، فجاءتها فجعلت تغمز عضدَها. فرفعت يدها، فدقَّت أنفها. فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتني إلى أعرابية مجنونةٍ صنعت بي ما ترى! فنهض إليها يحيى، فقال لها: ما لك؟ قالت: ما أردت أَن بعثتَ إليّ أمة تنظر إليّ! ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إليّ قبل كل ناظر، فإن رأيتَ حسناً كنتَ قد سبقتَ إلى بهجته، وإن رأيتَ قبيحاً كنتَ أحق مَن ستره. فسرّ بقولها وحظيتْ عنده.

وذكر المدائني هذا الخبر مثله، إلا أَنه قال فيه: فإن كان ما تراه حسناً كنت أَوّل من رآه، وإن كان قبيحاً كنت أوّل من واراه[٥].

زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء:

أَخبرني ابنُ دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال:

خطب يزيد بنُ عبد الملك إلى عقيل بن علَّفة ابنته الجرباء، فقال له عقيل: قد زوّجتكها، على أَن لا يزفَّها إليك أعلاجك[٦]؛ أَكون أَنا الذي أجيءُ بها إليك. قال:

(١) السوام: الإبل أو غيرها إذا خلت حيث تشاء في الفلوات.
(٢) تُكرِّني: ترجعني.
(٣) الناضح: الدابة التي تُتّخذ ليستقى عليها الماء.
(٤) تجشُّم: تحمُّل.
(٥) واراه: ستره أو خبَّأه.
(٦) الأعلاج: الرجال الغِلاظ الشِّداد واحدها عِلْج.

ذلك لك. فتزوّجها، ومكثوا ما شاء اللَّه. ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له: بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ، معه امرأةٌ في هودج قال: أَواه واللَّه عقيلاً. قال: فجاء بها حتى أَناخ بعيرها على بابه، ثم أَخذ بيدها فأذعنت[١]، فدخل بها على الخليفة فقال له: إِن أنتما وُدِن[٢] بينكما، فبارك اللَّه لكما، وإِن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك. فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله[٣] وأعطاه. ثم مات الصبيّ، فورثت أمُّه منه الثلث، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه: إن ابنك وابنتك هلكا، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ، فهلمَّ فاقبضه. فقال: إن مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه، فلا حاجة لي في ميراثهما، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس، فأعطنيه أجعله فحلاً لخيلي. وأبى أَن يأخذ المال، فبعث إليه يزيد بالفرس.

أَخبرنا عبيد اللَّه بن محمد قال حدثنا الخرّاز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال:

رأيت رجلاً من قريش يقول له عقيل بن علَّفة: بالرّفاء[٤] والبنين والطائر المحمود. فقلت له: يا ابن علَّفة؛ إنه يُكرَه أَن يقال هذا، فقال: يا ابن أَخي، ما تريد إلى ما أُحدِث! إِنّ هذا قول أَخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره. قال: فحدَّثتُ به الزهري فقال: إن عقيلاً كان من أَجهل الناس. قال: وإنما قال لإِسحاق بن يحيى بن طلحة: «هذا قول أَخوالك»، لأن أم يحيى بن طلحة مرّية.

قال المدائني وحدثني عليُّ بن بشرٍ الجُشميُّ قال: قال الرُّمَيح:

خطب إلى عقيلٍ رجل من بني مُرّة كثير المال يغمز في نسبه، فقال:

لعمري لئن زوّجتُ من أَجل ماله ... هجيناً[٥] لقد حُبِّبت إليَّ الدراهمُ
أأُنكح عبداً بعد يحيى وخالدٍ ... أولئك أكفائي الرجال الأكارمُ
أبى ليَ أَن أرضى الدنيَّة أنني ... أمُدُّ عِنانا[٦] لم تخنه الشكائمُ[٧]

[الطويل]

(١) أذعنت: رضخت وذلَّت.
(٢) وُدِن بينكما: جُمع بينكما.
(٣) نَحلَه: وهبه، حباه.
(٤) الرّفاء: الالتئام وجمع الشمل.
(٥) الهجين: المولود من أب عربي وأمُّهُ أَمَة.
(٦) العِنان: سير اللِّجام الذي تمسك به الدَّابة، جمعها أعِنَّة وعُنُن.
(٧) الشكائم: واحدتها شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس.

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيديّ بخطه يأثُره[١] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسناد متصل بينهما:

أن رجلاً من بني مُرّة يقال له داود أَقبل على ناقةٍ له، فخطب إلى عقيل بن علَّفة بعض بناته، فنظر إليه عقيل ـ وإنّ السيف لا يناله ـ فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته، وشدّ عليه عقيلٌ فهرب، وثار عقيلٌ إلى ناقته فنحرها، وأطعمها قومه وقال:

ألـم تـقـل يـا صـاحـب الـقـلـوصِ[٢] داودَ ذا الـسـاج[٣] وذا الـقـمـيـصِ
كـانـت عـلـيـه الأرض حِـيـصٍ بـيـصِ[٤] حـتـى يَـلُـفّ عـيـصـه بـعـيـصـي[٥]
وكـنـت بـالـشـبـان ذا تـقـمـيـصِ

[الرجز]

فقال داود فيه من أَبيات:

أراه فـتـى جـعـل الـحـلال بـبـيـتـه حـراماً ويَقري الضيف عَضباً[٦] مهنَّدَا

[الطويل]

وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال:

لما تزوَّج عقيل بن علَّفة زوجته الأنمارية ـ وقد كبر ـ فرّت منه، فلقيها جحَّافٌ، أحد بني قِتال بن يربوع، فحملها إلى عامل فَدَك، وأصبح عقيل معها، فقال الأمير لعقيل: ما لهذه تستعدي عليك يا أَبا الجرباء؟ فقال عقيلٌ: كلَّ ذكَري، وذهب ذَفري[٧]، وتغايب نفري، فقال: خذ بيدها، فأخذها وانصرف، فولدت له بعد ذلك علَّفة الأصغر.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أَبي عبيدة قال:

لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مُرّة رهط عقيل بن علَّفة المرّي ـ وهو من بني غيظ بن مُرّة بن سهم بن مُرَّة إخوتهم ـ فاقتتلوا في أَمر يهوديٍّ خَمَّارٍ كان جاراً لهم، فقتلته بنو جوشنٍ من غطفان، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علَّفة بالشام غائباً عنهم، فكتب إلى بني سهم يُحرّضهم.

(١) يأثره: يقوم بنقله وروايته.
(٢) القلوص: الشابة من الإبل.
(٣) الساج: الطيلسان الغليظ.
(٤) حيص بيص: الاختلاط أو الشدّة والضيق، ويقال: وقع في حِيْصَ بِيْصَ أي في اختلاط لا مخرج منه.
(٥) العيص: أصل المرء.
(٦) العضب المهنّد: السّيف المشحوذ.
(٧) الذّفر: شدَّة ذكاء الريح وهنا بمعنى شدّة العزم.

فإمَّا هلكتُ ولم آتِكم ... فأَبلغ أماثل سهم رسولَا
بان التي سامكم قومكم ... لقد جعلوها عليكم عُدولا
هوان الحياة وضَيمُ[١] المما ... ت وكلّاً أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما ... فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنَّةٌ[٢] ... كفى بالحوادث للمرء غُولا[٣]

[المتقارب]

قال: فلما وردت الأبيات عليهم تكفَّل بالحرب الحصين بن الحمام المرّيّ أحد بني سهم، وقال: إليّ كتب وبي نوّه، خاطب أماثل سهل وأنا من أماثلهم. فأبلى في تلك الحروب بلاءً شديداً. وقال الحصين بن الحمام في ذلك من قصيدة طويلة له:

يَطأن من القتلى ومن قِصدِ[٤] القنا ... خَباراً[٥] فما ينهضْنَ إلَّا تقحُّما
عليهنّ فتيانٌ كساهم محرّقٌ ... وكان إذا يَكسو أجاد وأكرما
صفائح بُصرى أخلصتها قُيونُها[٦] ... ومطَّرداً[٧] من نسج داود محكما
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجدْ ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

[الطويل]

وقال المدائني قال جرّاح بن عصام بن بُجَير:

نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردها إليه وقال شعراً في ذلك:

عدَت بنو جعفر بن كلاب على جار لعقيل فأطردت إبله وضربوه، فغدا عقيل على جار لهم فضربه، وأخذ إبله فأطردها، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال في ذلك:

إن يَشرق الكلبيّ فيكم بريقه ... بني جعفر يُعجَل لجاركم القتلُ
فلا تحسبوا الإسلام غيَّر بعدكم ... رماح مواليكم فذاك بكم جهلُ
بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا ... ندِنكم كما كنَّا ندينكم قبلُ

(١) الضيم: الظلم، جمعها ضُيوم. (٢) المُنَّة: القُوَّة والبأس.
(٣) الغول: الهَلَكة والداهية، جمعها أغوال وغيلان.
(٤) القِصد: واحدتها قصدة، وهي القطعة من القناة المتكسرة.
(٥) الخَبار: القطعة اللينة المسترخية من الأرض.
(٦) القيون: مفردها قيْن وهو الحدَّاد.
(٧) المطَّرِد: المتتابع المتتالي.

بـدأتـم بـجـاري فـانـثـنـيـتُ بـجـاركـم وما مـنـهـمـا إلا لـه عـنـدنـا حـبـلُ
[الطويل]

وذكر المدائني أَيضاً:

أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين:

أَن عقيلاً كان وحده في إِبله، فمر به ناس من بني سلامان فأسروه، ومرُّوا به في طريقه على ناس من بني القين، فانتزعوه منهم، وخلَّوا سبيله. فقال عقيل في ذلك:

أسـعـد هُـذَيـم إنّ سـعـداً أبـاكـمُ أبـى لا يـوافـي غـايـة الـقـيـن مـن كـلـبِ
وجـاء هُـذَيـمٌ والـركـاب مُـنـاخـةٌ فـقـيـل تـأخّـر يـا هـذيـمُ عـلـى الـعَـجْـبِ[1]
فـقـال هـذيـم إن فـي الـعـجـب مـركـبـي ومـركـب آبـائـي وفـي عـجـبـهـا حـسـبـي
[الطويل]

قال: وسعد هذَيم هم عُذرة وسلامان والحارث وضبَّة:

مات ابنه علفة بالشام فرثاه:

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أَبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيلة قال:

مات علّفة بن عقيل الأكبر بالشام، فنعاه مضرّس بن سَوادة لعقيل بأرض الجناب، فلم يصدقه وقال:

قـبـح الإلـه ـ ولا أقـبِّـح غـيـره ـ ثَـفَـرَ[2] الـحـمـار مـضـرّس بـنَ سـوادِ
تـنـعـى امـرأً لـم يَـعـلُ أمّـك مـثـلـه كـالـسـيـف بـيـن خـضـارمٍ[3] أنـجـادِ[4]
[الكامل]

ثم تحقق الخبر بعد ذلك، فقال يرثيه:

لـعـمـري لـقـد جـاءت قـوافـل خـبّـرت بـأمـرٍ مـن الـدنـيـا عـلـيّ ثـقـيـلِ
وقـالـوا ألا تـبـكـي لـمـصـرع فـارس نـعـتـه جـنـود الـشـام غـيـرِ ضـئـيـلِ
فـأقـسـمـت لا أبـكـي عـلـى هُـلـك هـالـكٍ أصـاب سـبـيـل الـلَّـهِ خـيـرَ سـبـيـلِ

(١) العَجْب: عَجْبُ الذَّنَب وهو آخر قطعة في العمود الفقري، منها أصل الخلقة، يفنى جميع الجسد بموت الإنسان إلَّا عجب الذنب وهو العُصعُص.
(٢) الثفر: السير في مؤخر سرج الدَّابة. (٣) الخضارم: مفردها خِضْرِم وهو الجواد الكريم.
(٤) الأنجاد: مفردها نجْد، وهو الشجاع السريع الإجابة إلى ما دُعي إليه.

كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها نسباً أَو تهتدي بدليلِ
تحلُّ المنايا حيث شاءت فإنها محلَلَّةٌ بعد الفتى ابن عقيلِ
فتًى كان مولاه يحلُّ بربوَةٍ فحلَّ الموالي بعده بمسيلِ

[الطويل]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أَبو حاتم عن أَبي عبيدة قال: كان عقيل بن علَّفة قد أطرد بنيه، فتفرّقوا في البلاد وبقي وحده. ثم إن رجلاً من بني صِرمة، يقال له بَجيل ـ وكان كثير المال والماشية ـ حطم بيوتَ عقيل بماشيته، ولم يكن قبل ذلك أَحد يقرب من بيوت عقيل إلَّا لقيَ شرّاً. فطردت صافنة (أمةٌ له) الماشية، فضربها بجيلٌ بعصا كانت معه فشجَّها[1]. فخرج إليه عقيل وحده ـ وقد هرم يومئذٍ وكبرت سِنُّه ـ فزجره فضربه بجيل بعصاه، واحتقره: فجعل عقيل يصيح: يا علَّفة، يا عملَّس، يا فلان، يا فلان، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم، وهو يحسبهم لهرمه أَنهم معه. فقال له أَرطاة بن سُهَية:

أكلتَ بنيك أكلَ الضبِّ حتى وجدتَ مرارةَ الكلإ الوبيلِ
ولو كان الألى غابوا شهوداً منعتَ فِناءَ بيتك من بجيلِ

[الوافر]

وبلغ خبر عقيلٍ ابنه العملَّس وهو بالشام، فأقبل إلى أَبيه حتى نزل إليه، ثم عمد إلى بجيل فضربه ضرباً مبرّحاً، وعقر عدّة من إبله وأَوثقه بحبل، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أَبيه، ثم ركب راحلته، وعاد من وقته إلى الشام، لم يطعم لأبيه طعاماً، ولم يشرب شراباً.

أَخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا ابن عائشة قال:

نزل أَعرابي على المقشَعِر بن عقيل بن علَّفة المرّيّ فشربا حتى سكِرا وناما، فانتبه الأعرابي مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذي، فقال له المقشعرّ: ما لك؟ قال: هذا ملك الموت يقبض روحي. فوثب ابن عقيل فقال: لا واللَّه ولا كرامة ولا نُعمة[2] عينٍ له! أيقبض روحك وأَنت ضيفي وجاري! فقال: بأبي أَنتم وأمي! طال واللَّه ما منعتم الضَّيم. وتلفَّف ونام.

تمت أَخبار عقيل وللَّه الحمد والمنة.

---

(١) شجَّها: شقَّ رأسها.
(٢) نُعمة عين: قرَّة عين.

قد مضت أَخبار عقيلٍ فيما تقدّم من الكتاب، ونذكر هاهنا أَخبار شبيب بن البرصاء ونسبه، لأن المغنين خلطوا بعض شعره ببعض شعر عقيل في الغناء الماضي ذِكرُه، ونعيد هاهنا من الغناء ما شعره لشبيبٍ خاصةً وهو:

صـوت

من المائة المختارة

سَلا أمَّ عمرٍو فِيمَ أضحى أسيرُها تُفادى الأسارى حوله وهو موثقُ[1]
فلا هو مقتول ففي القتل راحةٌ ولا منعمٌ يوماً عليه فمطلقُ

[الطويل]

ويروى:

ولا هو ممنونٌ عليه فمطلقُ

الشعر لشبيب بن البرصاء، والغناء لدُقاق جارية يحيى بن الربيع، رملٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر حبشٌ أَن فيه رملاً آخر لطويس.

* * *

(١) موثَق: مُقيَّد.

أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

هو شبيبُ بن يزيد بن جمرة، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرَّة بن نُشبة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذُبيان. والبرصاء أمه، واسمها قِرصافة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وهو ابن خالة عقيل بن عُلّفة، وأم عقيلٍ عَمْرَة بنت الحارث بن عوف، ولُقِّبت قِرصافةُ البرصاء لبياضِها، لا لأنها كان بها برص.

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية، بدَويّ لم يَحضُر إلا وافداً أو منتجعاً. وكان يُهاجي عَقيلَ بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت في عقيل وشر عظيم. وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومِه، في بيت شرفهم وسُؤدُدهم. وكان شبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيء في حَرب كانت بينهم.

أخبرنا محمدُ بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنا أبو حاتم السِّجِستانيّ عن أبي عُبيدة قال:

دخل أَرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ـ وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء ـ فأنشده قوله فيه:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل جنِيباً[1] لآبائي وأنت جَنيبُ

[الطويل]

فقال له عبد الملك: كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال:

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسكَ عاديٌّ[2] النِّجاد[3] رَكُوبُ[4]

[الطويل]

فقال له عبد الملك: صدقت. وكان أرطاة أفضل من شبيبٍ نفساً، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتاً.

---

(١) الجنيب: الرجل الذي يمشي في جانب متعقباً، أي مُنقاد ذليل.
(٢) العادي: وهو نسبته إلى قبيلة عاد البائدة..
(٣) النِّجاد: حمائل السيف وعادي النجاد: كناية عن السيف القديم.
(٤) الرَّكوب: الكثير الرُّكوب.

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الحَزَنبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال:

فاخر عَقيل بن عُلَّفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه، ويُعيِّره برجلٍ من طيء كان يأتي أمه عَمْرة بنت الحارث يقال له حيَّانُ، ويهجو غيظ بن مرَّة:

ألسنا بفُرع قد علمتم دِعامةً ... ورابيةً تنشقُّ عنها سيولُهَا
وقد علِمت سعد بن ذُبيان أننا ... رحاها[١] الذي تأوى إليها وجُولُهَا[٢]
إذا لم نَسُسكم في الأمور ولم نكن ... لحربٍ عوانٍ لاقح مَن يَؤولُهَا[٣]
فلستم بأهدى في البلاد مِن التي ... تَردَّدُ حَيْرَى حين غاب دليلُهَا
دعت جُلُّ يربوع عقيلاً لحادثٍ ... من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلُهَا
فقلت له: هلَّا أجبتَ عشيرةً ... لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُهَا!
وكائن لنا من رَبوة[٤] لا تنالها ... مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُهَا
فخرْتَ بأيامٍ لغيرك فخرُها ... وغُرَّتُها[٥] معروفةٌ وحُجُولُهَا[٦]
إذا الناس هابوا سوْءَةً عمدتْ لها ... بنو جابر شُبَّانُها وكُهولُهَا
فهَلَّا بني سعدٍ صبحتَ بغارةٍ[٧] ... مُسوَّمةٍ[٨] قد طار عنها نسيلُهَا![٩]
فتُدركَ وِتراً عند ألأم واترٍ ... وتُدرِكَ قتلى لم تُتَمِّمْ عقولُهَا[١٠]

[الطويل]

* * *

إفتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه:

وقال أبو عمرو: إجتمع عَقيل بن عُلَّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحَكَم فتكلَّما في بعض الأمر، فاستطال عقيلٌ على شبيب بالصِّهر الذي بينه وبين بني

(١) الرحى: السيِّد الذي يأتمر الناس برأيه وينتهون إلى أمره ونهيه.
(٢) الوجول: الشيوخ. (٣) يؤولها: يقوم بتولي أمرها وسياستها.
(٤) الربوة: هي ما ارتفع من الأرض.
(٥) الغُرَّة: غُرَّةُ الرجلِ وجهه والغرّة من كل شيء أوّله وطلعته.
(٦) الحجول: مفردها الحِجْل، والتَّحجيل هو البياض في قوائم الخيل، وذلك دلالة على الشهرة.
(٧) الغارة: الخيل المُغيرة. (٨) المسوَّمة: الخيل المُعَلَّمة.
(٩) النسيل: ما سقط أو نسل من الدابة من شعر وصوف.
(١٠) العقول: مفردها عقل وهي الدية التي تدفع لأهل القتيل.

مروان وكان زوّج ثلاثاً من بناته فيهم، فقال شبيب يهجوه:

ألا أبلغ أبا الجرباء عني ... بآيات التباغض والتَّقالي[١]
فلا تذكُرْ أباك العبد وافخر ... بأمّ لستَ مُكرِمَها وخالِ
وهبها مُهرَةً لَقحت ببغل ... فكان جنينها شرَّ البغالِ
إذا طارت نفوسُهُم شعاعاً ... حَمَينَ المُحصَنات لدى الحجالِ[٢]
بطعنٍ تعثُرُ الأبطالُ منه ... وضربٍ حيثُ تُقتنصُ العوالي[٣]
أبى لي أنّ آبائي كرام ... بَنَوا لي فوق أشرافٍ طوالِ
بيوتَ المجد ثم نموت منها ... إلى علياء مُشرفة القَذالِ[٤]
تزلُّ حجارةُ الرامين عنها ... وتقصُر دونها نبلُ النِّضالِ
أبالْحُفَّاتِ شرّ الناس حيَّاً ... وأعناقِ الأيورِ بني قِتالِ
رفَعتَ مُسامِياً لتنالَ مجداً ... فقد أصبحتَ منهم في سَفَالِ

[الوافر]

قال أبو عمرو: بنو قِتال إخوة بني يربوع رهطِ عقيل بن علَّفة وهم قوم فيهم جفاء، قال أبو عمرو: مات رجل منهم فلفَّه أخوه في عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمِله؟ قال كما تُحْمَلُ القربة. فعمد إلى حبل فشدّ طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمل القِربة، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفرله حفيرةً، وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال له: يا هناه، أُنسيتُ الحبل في عنق أخي ورجليه، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة. قال: دعه يا هناة، فإن يرد اللَّه به خيراً يحلله.

وقال أبو عمرو: خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المُرّي ثم الصِّرمي ابنته، فقال هي صغيرة، فقال شبيب: لا؛ ولكنك تبغي أن تردّني، فقال له يزيد: ما أردتُ ذاك، ولكن أَنظِرني هذا العام، فإذا انصرم فعليّ أن أزوّجك. فرحل شبيب من عنده مُغضباً، فلما مضى قال ليزيد بعضُ أهله: واللَّه ما أفلحتَ! خطب إليك شبيبٌ سيِّد قومك فرددته! قال: هي صغيرة، قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده. فبعث إليه يزيد: ارجع فقد زوّجتك، فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيبٌ أن يرجع وقال:

---

(١) التقالي: الكرّه غاية الكراهة والهجر.
(٢) الحِجال: مفردها الحَجَلة وهي القُبة تُهيّأ للعروس.
(٣) العوالي: مفردها عالية وهي أعلى الرمح.
(٤) القَذال: معقِد العِذار من الفرس خلف الناصية جمعها قُذُل وأقْذِلَة.

لـعـمـري لـقـد أشـرفـتُ يـوم عُـنـيـزةٍ ... عـلـى رغـبـةٍ لـو شـدّ نـفـسـي مَـريـرُهـا[١]
ولـكـنّ ضـعـفَ الأمـر ألا تُـمـرَّه ... ولا خـيـر فـي ذي مِـرَّةٍ لا يُـغـيـرُهـا[٢]
تـبـيّـنُ أدبـارُ الأمـور إذا مـضـت ... وتُـقـبـلُ أشـبـاهـاً عـلـيـك صـدورُهـا
تُـرَجِّـي الـنـفـوسُ الـشـيءَ لا تـسـتـطـيـعـه ... وتـخـشـى مـن الأشـيـاء مـا لا يـضـيـرُهـا
ألا إنـمـا يـكـفـي الـنـفـوس إذا اتّـقـت ... تُـقـى الـلّـه مـمـا حـاذَرت فـيُـجـيـرُهـا
ولا خـيـر فـي الـعـيـدان إلا صِـلابُـهـا ... ولا نـاهـضـات الـطـيـر إلا صُـقـورُهـا
ومـسـتـنـبـحٍ يـدعـو وقـد حـال دونـه ... مـن الـلـيـل سـجـفـا[٣] ظُـلـمـةٍ وسُـتـورُهـا
رفـعـتُ لـه نـاري فـلـمـا اهـتـدى لـهـا ... زجـرتُ كـلابـي أن يـهـر[٤] عَـقـورُهـا[٥]
فـبـات وقـد أسـرى مـن الـلـيـل عُـقـبـةً ... بـلـيـلـة صـدق غـاب عـنـهـا شُـرورُهـا
وقـد عـلـم الأضـيـاف أن قِـراهُـمُ ... شـواءُ الـمَـتـالـي[٦] عـنـدنـا وقـدِيـرُهـا[٧]
إذا افـتـخـرت سـعـدُ بـن ذُبـيـان لـم يـجـد ... سـوى مـا بـنـيـنـا مـا يَـعُـدّ فـخـورُهـا
وإنـي لـتـرّاك الـضـغـيـنـة قـد بـدا ... ثَـراهـا مـن الـمـولـى فـلا أسـتـثـيـرُهـا
مـخـافـةَ أن تـجـنـي عـلـيّ وإنـمـا ... يَـهـيـج كـبـيـرات الأمـور صـغـيـرُهـا
إذا قِـيـلـت الـعَـوراءُ[٨] ولّـيـتُ سـمـعـهـا ... سـواي ولـم أسـمـع بـهـا مـا دَبـيـرُهـا
وحـاجـة نـفـسٍ قـد بـلـغـتُ وحـاجـةٍ ... تـركـتُ إذا مـا الـنـفـس شـحَّ ضـمـيـرُهـا
حـيـاءً وصـبـراً فـي الـمـواطـن إنـنـي ... حـيـيٌّ لـدى أمـثـال تـلـك سـتـيـرُهـا[٩]
وأحـبـس فـي الـحـق الـكـريـمـة إنـمـا ... يـقـوم بـحـق الـنـائـبـات صَـبـورُهـا
أُحـابـي بـهـا الـحـيَّ الـذي لا تُـهِـمُّـه ... وأحـسـاب أَمـواتٍ تُـعـدّ قـبـورُهـا
ألـم تَـرَ أنَّـا نـورُ قـوم وإنـمـا ... يُـبـيّـن فـي الـظـلـمـاء لـلـنـاس نـورُهـا

[الطويل]

* * *

(١) المرير: العزيمة.
(٢) يُغير: يحكم فتلها.
(٣) السَجَف: الستر.
(٤) هرَّ الكلبُ: صاح ولكن دون نباحه المعتاد.
(٥) العَقور: الكلب، جمعها عُقُر.
(٦) المتالي: مفردها التالية وهي الناقة التي يتلوها ولدها.
(٧) القدير: اللحم المطبوخ داخل القِدر.
(٨) العوراء: الكلمة البذيئة القبيحة.
(٩) الستير: العفيف النبيل.

تمثل محمد بن مروان بشعره:

أَخبرني محمد بن عمران الصَّيرفي قال حدثنا الحسنُ بن عُليل العنزيّ قال حدثني محمد بن عبد اللَّه بن آدم بن جُشَم العبديّ قال:

كانت بين بني كلب وقوم من قيس دِياتٌ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أمية يستعينون بهم في الحمَالة[١]، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء:

وقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتها ... والنفسُ حاضرةُ الشَّعاع تطلَّعُ
وغرمت في الحسَب الرفيع غرامةً ... يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويظلَعُ[٢]
إني فتًى حرٌّ لِقدريَ عارفٌ ... أُعطي به وعليه ممَّا أَمنعُ

[الكامل]

أَخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدثنا إِسحاق بن محمد النَّخعي قال: حدثني الحِرمازيُّ قال:

نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بن زُفر وعُوَيفُ القوافي برجل من أَشجعَ كثير المال يُسمَّى علقمةَ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ[٣] ولم يذبح لهم، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا: تعالوا حتى نهجو هذا الكلب. فقال شبيب:

أفي حَدَثان الدهر أَم في قديمه ... تعلَّمتَ ألَّا تقريَ[٤] الضَّيْف علقمَا؟[٥]

[الطويل]

وقال أرطاة:

لبِئْنا طويلاً ثم جاء بمذْقَةٍ ... كماء السَّلا[٦] في جانب القَعبِ[٧] أَثلمَا[٨]

[الطويل]

وقال عُويف:

فلما رأينا أنه شرّ منزلٍ ... رمينا بهنّ الليلَ حتى تُخُرِّمَا[٩]

[الطويل]

---

(١) الحمالة: الدية التي يحملها القوم عن الآخرين.
(٢) يظلَع: يُتَهم ويغمز من قناته.
(٣) ممذوقة: ممزوجة بالماء.
(٤) تقري: تضيِّف.
(٥) العلقم: الحنظل، وكلُّ شيء مُرّ.
(٦) السَّلا: الجلدة الرقيقة فيها الولد.
(٧) القعب: القدح أو القربة.
(٨) أثلم: مخروق.
(٩) تخرَّم الليل: مضى وانقضى وقته.

عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فرثاهم:

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخُزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال:

غاب شبيبُ بن البرصاء عن أهله غيبةً، ثم عاد بعد مدة، وقد مات جماعة من بني عمه، فقال شبيب يرثيهم:

تخرَّم الدهرُ إخواني وغادرني ... كما يُغادر ثورُ الطارد الفَئِدُ[١]
إني لباقٍ قليلاً ثم تابعُهم ... ووارِدٌ مَنهلَ القومِ الذي وردُوا

[البسيط]

قال أبو عمرو: هاجى شبيبُ بن البرصاء رجلاً من غنيّ، أو قال من باهلةَ، فأعانه أرطاة بن سُهيَّة على شبيب، فقال شبيب:

لعمري لئن كانت سهيَّةُ أوضعَت ... بأرطاة في رَكبِ الخيانة والغدرِ
فما كان بالطِّرف[٢] العتيق فيُشترى ... لِفِحلته، ولا الجواد إذا يجري
أتنصُرُ مني معشراً لستَ منهم ... وغيرُك أولى بالحياطة والنصرِ!

[الطويل]

ويروى: «وقد كنت أولى بالحياطة» وهو أجود ـ.

وقال أبو عمرو: استعدى رهطُ أرطاة بن سُهيَّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حيَّان المرّي وقالوا له: يعُمُّنا بالهجاء ويشتمُ أعراضنا، فأمر بإشخاصه[٣] إليه فأُشخِص، ودخل إلى عثمان وقد أتى بثلاثة نفرٍ لصوصٍ قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بَهدَل ومثغورٌ وهيصَم، فقتل بَهدلاً وصلبه، وقطع مثغوراً والهيصم، ثم أقبل على شبيبٍ فقال: كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم! أقسمُ قسماً حقّاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك، فقال شبيب:

سجنتَ لساني يا ابن حيَّانَ بعد ما ... تَولَّى شبابي، إنّ عَقدك مُحكَمُ
وعيدُك أَبقى من لساني قُذاذةً[٤] ... هَيوباً، وصمتا بعدُ لا يتكلمن
رأيتكَ تحلَوْلي إذا شئت لامرئٍ ... ومُرّاً مُراراً فيه صابٌ وعلقمن[٥]

---

(١) الفَئِد: الذي يشكو همّاً في فؤاده.
(٢) الطِّرف: الأصيل أو الكريم الأطراف من الناس والخيل ونحوها.
(٣) الإشخاص: الإحضار.
(٤) القُذاذة: المقتطع من كل شيء.
(٥) العلقم: الحنظل.

وكلّ طريدٍ هالكٌ مُتَحيّر ... كما هلك الحيران والليل مظلمن
أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا ... كما كان مثغورٌ عليك وهيصمن
خطاطيفك[١] اللّاتي تخطّفن بَهدلاً[٢] ... فأوفى به الأشرافَ جذعٌ مقوّمن
يداك يَدَا خير وشرٍّ فمنهما ... تضُرُّ ولِلأخرى نوالٌ وأنعُمن

[الطويل]

وقال أبو عمرو: إستاق دُعيجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرميُّ إبلَ شبيب بن البرصاءِ فذهب بها، وخرج بنو البرصاء في الطلب، فلما واجهوا بني جَرم قال شبيب: اغتنِموا بني جَرم، فقال أصحابه: لسنا طالبين إلا أهل القرحَة، فمضوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل، فناداه شبيب: يا دعيج، إن كانت الطِّراف حيَّة فلك سائر الإبل، فقال: يا شبيب، تبصر رأسها من بين الإبل، فنظر فأبصرها، فقال شبيب: شدوا عليه واصعدوا وراءه، فأبوا عليه، فحمل شبيب عليه وحده، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينه، فذهب بها ـ وكان شبيبٌ أعورَ عميَ بعد ما أسنّ ـ فانصرف وانصرف معه بنو عمه، وفاز دعيج بالإبل، فقال شبيب:

أَمرتُ بني البرصاء يومَ حُزابةٍ ... بأمرٍ جميع لم تَشتَّتْ مصادرُهْ
بشوْل ابن معروف وحسَّان بعد ما ... جَرى ليَ يُمنٌ قد بدا ليَ طائرُهْ
أيرجع حُرٌّ دون جرم ولم يكن ... طِعانٌ ولا ضربٌ يُذعذع[٣] عاسرُه[٤]
فأذهَبَ عيني يوم سفح سفيرةٍ ... دُعيجُ بن سيف، أعوزته معاذرُهْ
ولمَّا رأيت الشَّولَ قد حال دونها ... من الهَضب مُغْبرٌّ عنيفٌ عمائرُهْ[٥]
وأعرض ركنٌ من سفيرة يُتَّقى ... بشُمٍّ الذُّرَا[٦] لا يعبُدُ اللَّه عامرُهْ[٧]
أخذت بني سيفٍ ومالكَ موقَعٍ ... بما جَرّ مولاهمْ وحرّت جرائرُهْ[٨]
ولو أنَّ رَجلي يوم فرّ ابنُ جَوشنٍ ... عَلِقن ابن ظبي أعوزَته مَغاورُهْ

[الطويل]

---

(١) الخطاطيف: الذِّئاب وهي كنتاية عن اللّصوص.
(٢) بهدل: حي من بني سعد. (٣) يذعذع: يبدِّد.
(٤) العاسِر: الناقة التي ترفع ذنبها من سُرعة عدو ما.
(٥) العمائر: مفردها عمارة وهي الجماعة من الناس أقل من القبيلة.
(٦) شُمّ الذُرا: عالية الهامات. (٧) العامر: الساكن، الذي يعمر المكان.
(٨) الجرائِر: الذنوب، والجِنايات.

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثنا العُمَريُّ عن عاصم بن الحدَثان قال:

هجاه أرطاةُ بن سهيَّة ونفاه عن بني عوف:

هجا أرطاةُ بن سهيَّة شبيب بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال:

فلو كنتَ عَوْفيًّا عميتَ وأسهَلَتْ كُداك[1] ولكنّ المُريب مُريبُ

[الطويل]

قال: فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهيَّة، فكان يقول: ليت ابن سهيّة حيّاً حتى يعلم أني عَوفيٌّ، قال: والعمى شائع في بني عوف، إذا أسنّ الرجل منهم عميَ، وقلّ من يفلت من ذلك منهم.

امتدح شعره عبد الملك بن مروان:

وحدثني عمي قال حدثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدثني عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبي قال:

أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله:

بَكَر العواذل يبتدرن ملامتي والعاذِلون[2] فكلُّهم يلحاني[3]

في أن سبقتُ بشَربة مَقَدِيّة صرفٍ مُشعشعةٍ[4] بماءٍ شُنانِ[5]

[الكامل]

فقال له عبد الملك: شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول:

وإني لسهلُ الوجه يُعرف مجلسي إذا أحزنَ القاذورةُ[6] المتعبِّسُ

يضيءُ سنَا جودي لمن يبتغي القِرى وليلُ بخيلِ القوم ظَلماءُ حِندسُ[7]

ألِينُ لذي القُربى مِراراً وتلتوي بأعناقِ أعدائي حبالٌ تَمرَّسُ

[الطويل]

كان عبد الملك يتمثل بشعره:

قال: وكان عبد الملك يتمثَّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب به:

---

(١) الكديّ: مفردها كدية، وهي الأرض الشديدة الصلبة.
(٢) العاذلون: اللائمون.
(٣) لحاه: لامه.
(٤) مشعشعة: مخلوطة.
(٥) الشُّنان: الماء البارد.
(٦) القاذورة: السّيئ الخُلُق الغيور.
(٧) الحِندس: الظلمة الشديدة.

دعانيَ حِصنٌ للفرار فساءني مواطنُ أن يُثنى عليّ فأُشتما
فقلت لحِصنٍ نَحِّ نفسك إنما يذُود الفتى عن حوضه أن يُهدَّما
تأخّرتُ أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدّما
سيكفيك أطرافَ الأسنَّة فارسٌ إذا ريعَ نادى بالجواد وبالحمى
إذا المرءُ لم يَغشَ المكاره أوشكتْ حبالُ الهُوينى بالفتى أن تَجذَّما

[الطويل]

نسختُ من كتاب أبي عبد اللَّه اليزيدي ولم أقرأه عليه، قال خالدُ بن كلثوم:

سبب مهاجاته عقيل بن علفة:

كان الذي هاج الهِجاء بين شبيب بن البرصاء وعقِيل بن علفة أنه كان لبني نُشَبة جار من بني سَلامان بن سعد، فبلغ عقيلاً عنه أنه يطوف في بني مرَّة يتحدث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً، فبينا هو يوماً جالس وعنده غِلمان له وهو يُجزّ إبلاً له على الماء ويَسِمُها إذ طلع عليه السَّلاماني على راحلته، فوثب عليه هو وغِلمانه فضربوه ضرباً مبرِّحاً، وعقر راحلته. وانصرف من عنده بشرٍّ، فلم يعد إلى ذلك الموضع، ولجَّ الهجاء بينهما. وكان عقيلٌ شَرساً سيّئ الخلق غَيوراً.

أخبار دقاق

كانت دقاق مغنِّيةً محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مغنّي الدولة العبَّاسية، وكانت ليحيى بن الربيع، فولدت له أحمد ابنه، وعُمِّر عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين، وكان يغنّي غناء ليس بمستطاب ولكنه صحيح. ومات يحيى بن الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتَّاب بعدّة، فماتوا وورثتهم.

هجاها عيسى بن زينب:

فحدثني عمي قال حدثني أَحمد بن الطيب السَّرْخَسيُّ قال:

كانت دقاق ـ أمّ ولد يحيى بن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق ـ مغنية محسنة متقنة الأداء والصنعة، وكانت قد ٱنقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوَّة. قال أحمد بن الطيب: وعتقت دقاق فتزوّجها بعد مولاها ثلاثةٌ من القوَّاد من وجوههم، فماتوا جميعاً، فقال عيسى بن زينب يهجوها:

قلتُ لمَّا رأيتُ دار دقاقٍ ... حسنها قد أضرّ بالعشَّاقِ
حذِّروا الرابع الشَّقيَّ دقاقاً ... لا يكوننَّ نجمه في مُحاقِ[1]
ألهُ عن بضعها[2] فإن دقاقاً ... شُؤمِ حرها قد سار في الآفاقِ
لم تضاجع بعلاً فهبَّ سليماً ... بل جريحاً وجُرحه غير راقي

[الخفيف]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الهداديّ الشاعر قال حدثني أَبو عبد اللَّه بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ـ ورواية الكوكبي أتمّ ـ قال:

كتبتْ دقاق إلى أَبي تصفُ هَنَها[3] صفةً أعجزه الجواب عنها، فقال له صديق له: ابعث إلى بعض المخنَّثين حتى يصف متاعك، فيكون جوابها، فأحضر بعضهم

(١) المُحاق: آخر ثلاثة أيام من الشّهر. (٢) بضعها: تزوجها ومجامعتها.
(٣) هنها: فرجها.

وأخبره الخبر، فقال: اكتب إليها: عندي القوقُ[١] البوق[٢]، الأصلع[٣] المزبوق[٤]، الأقرع المفروق، المنتفخ العروق، يسدّ البثوق[٥]، ويفتق الفتوق[٦]، ويرمُّ[٧] الخروق، ويقضي الحقوق، أسدٌ بين جملين، بغلٌ بين حملين، منارةٌ بين صخرتين، رأسه رأس كلب، وأصله مترس[٨] درب، إذا دخل حفر، وإذا خرج قشر، لو نطح الفيل كوَّره[٩]، ولو دخل البحر كدّره؛ إذا رقَّ الكلام، وتقاربت الأجسام، والتفتِ الساق بالساق، ولطخ باطنها بالبصاق، وقُرع البيض بالذكور، وجعلت الرماح تمور[١٠]، بطعن الفقاح[١١]، وشقّ الأحراح[١٢]، صبرنا فلم نجزع، وسلَّمنا طائعين فلم نخدع. قال: فقطعها.

حدثني عمي قال حدثني أَحمد بن الطيب قال حدثني أحمد بن علي بن جعفر قال:

حضرت مرَّة مجلساً وفيه ابن دقاق وفيه النصراني المعروف بأبي الجاموس اليعقوبي البزَّاز قَرابة بلال قال: فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا مني، ثم حلف بالحنيفية أَنه لا يكذب، وحدثنا قال: مضيت وأَنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع، فخرجت إلينا دقاق أمُّ هذا تُقاولنا[١٣] في ثمن المتاع، وفي يدها مِروحة على أَحد وجهيها منقوشٌ: الحِرُ[١٤] إلى أَيرين أَحوج من الأير إلى حِرَين، وعلى الوجه الآخر: كما أَن الرّحا إلى بغلين أَحوج من البغل إلى رَحَوَين، قال: فأسكته واللَّه سكوتاً علمنا معه أَنه لو خرِس لكان الخرس أصوَن لعرضه مما جرى.

كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما:

قال أَحمد: وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خلاسيَّان[١٥]

---

(١) القوق: الفاحش الطول.
(٢) البوق: آلة ينفخ فيها فتصدر صوتاً عالياً.
(٣) الأصلع: المنحسر شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر في تلك البقعة.
(٤) المذبوق: المنتوف.
(٥) البثوق: يقال بثق النَّهر إذا كسر شطَّه لينبثق الماء مفردها بثق.
(٦) الفتوق: الشقوق. (٧) يَرمُّ: يصلح ويجبر.
(٨) مترس: الخشبه توضع خلف الباب لتمنع فتحه.
(٩) كوَّره: جعله كالكرة. (١٠) تمور: تهتز.
(١١) الفِقاح: مفردها فقحة وهي حلقة الدُّبر. (١٢) الأحراح: مفردها حَرْح وهو الفرج.
(١٣) تقاول: تفاوض، تسأل أن ينقص الثمن. (١٤) الحِرُ: الحار وهو كناية عن الفرج.
(١٥) خلاسي: الولد من أبوبين أبيض وأسود.

يروّحانها في الخَيش[١]، فتحدّث الناس أَنها قالت لواحد منهما أَن ينيكها، فعجز فقالت له: نِكني وأنت حرّ، فقال لها: نيكيني أَنتِ وبيعيني في الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

أحسن من غنَّى لنا أَو شدا ... دقاق في خفضٍ من العيشِ
لها غلامان ينيكانها ... بعلَّة الترويح في الخيشِ

[السريع]

حدثني جحظة قال حدثني هبة اللَّه بن إبراهيم بن المهدي قال:

كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كل واحد منهم أَنها تهواه، وكانت أَحسن أَهل عصرها وجهاً، وأشأمهم على من رابطها وتزوّجها، فقال فيها أَبو إِسحاق ـ يعني أَباه:

صـوت

عدِمتكِ يا صديقة كلّ خَلقٍ ... أكلَّ الناس ويحك تعشقينا
فكيف إذا خلطت الغثَّ[٢] منهم ... بلجم سمينهم لا تبشمينا[٣]

[الوافر]

قال فيها أَبو موسى الأعمى شعراً:

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى ريّق وإلى شارية.

أَخبرني عمي قال حدثني أَحمد بن أَبي طاهر قال: حدثني أَبو هفَّان قال:

خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ـ وكانت قد ولدت منه ابنه أَحمد بن يحيى ـ إلى بعض النواحي، وترك جاريته دقاق في داره، فعملت بعده الأوابد[٤]، وكانت من أَحسن الناس وجهاً وغناء، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها، فقال أَبو موسى الأعمى فيه:

قل ليحيى نعم صبرتَ على المو ... ت ولم تخشَ سهم ريب المَنونِ
كيف قل لي أطقتَ ويحك يا يحـ ... ـيى على الضَّعف منك حمل القرونِ!

(١) الخيش: نسيج خشن من الكتان. (٢) الغثّ: الفاسد.
(٣) تبشمينا: تتخمِينا.
(٤) الأوابد: جمع آبدة، وهي الداهية يبقى ذكرها على الأبد.

ويـحَ يـحـيـىٰ مـا مـرَّ بـأُسـت دُقـاقٍ بـعـد مـا غـاب مـن سـيـاط الـبـطـونِ
[الخفيف]

صـــوت

من المائة المختارة

تـكـاشـرنـي[1] كـرهـاً كـأنـك نـاصـحٌ وعـيـنـك تُـبـدي أنَّ صـدرك لـي دوى[2]
لـسـانـك لـي حـلـوٌ وعـيـنـك عـلـقـم وشـرُّك مـبـسـوط وخـيـرُك مُـلـتـوى
[الطويل]

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفيّ والغناء لإِبراهيم ثقيل أَوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشامي:

* * *

(١) تكاشرني: تضحك في وجهي وتباسطني.
(٢) دوى: مرض بمرض في صدره حتى لكأنه يُسمع له دويّ.

نسب يزيد بن الحكم وأخباره

هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول اللَّه ﷺ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابيّ، وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص، وأن عثمان عمُّهُ، وهذا هو القول الصحيح. وأبو العاص بنُ بِشر بن عبد دُهمان بن عبد اللَّه بن همَّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطيط بن جُشم بن قَسِي وهو ثقيفُ.

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرَة، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه؛ كانت له هناك أرض أُقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول اللَّه ﷺ الحديث، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطرِّف بن عبد اللَّه بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين.

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحُميديُّ قال حدثنا سفيان، سمعه من محمد بن إسحاق، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبي هند، وسمعه سعيدُ بن أَبي هند من مُطَرِّف بن عبد اللَّه الشِّخِّير قال:

سمعت عثمان بن أَبي العاص الثقفي يقول: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**أُمَّ قومك وأقدرُهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبير وذا الحاجة**». قال الحُميدي وحدثنا الفُضيل بن عياض عن أشعب عن الحسن عن عثمان بن أَبي العاص قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اتخذوا مؤذّناً ولا يأخذ على أذانه أجراً**».

أَخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أَبي قال:

مرَّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أَبي العاص الثقفي وهو يُنشد في المجلس شعراً فقال: من هذا الذي يُنشد شعراً كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيد بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد باللَّه أن عمتي ولدته. وأم يزيد بكرةُ بنتُ الزِّبرقان بن بدر، وأمها هُنيدةُ بنتُ صعصعة بن ناجية. وكانت بكرة أوّل عربيَّة ركبت البحر فأخرِجَ بها إلى الحكم وهو بتوَّجَ[1]، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون منهم العباسُ وعيَّاش.

(١) تَوَّج: إسم بلد بفارس.

خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس:

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلَّبي قال حدثنا عبد اللَّه بن شبيب قال حدثنا الخِزامي قال:

دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي، فولاه كورةَ فارس، ودفع إليه عهدَه بها، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجَّاج: أنشدني بعضَ شعرك، وإنما أراد أن يُنشده مديحاً له، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبـي الـذي سـلـب ابـن كـسـرى رايـةً ... بـيـضـاء تـخـفِـقُ كـالـعـقـاب الـطـائـرِ

فلما سمع الحجَّاج فخره نهض مُغضباً، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه، فقال الحجَّاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا ردّه فقل له: أيهما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا؟ فردّ على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورِثـتُ جـدي مـجـدَه وفـعـالَـه ... وورثـتَ جـدّك أَعـنُـزاً بـالـطّـائـفِ

[الكامل]

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوَّلُها:

أمسى بأسماء هذا القلبُ مَعمودَا[1] ... إذا أقـول صَـحـا يَـعـتـادُه عـيـدَا

[البسيط]

يقول فيها:

سُمِّيتَ باسم امرئ أُشبهتَ شيمتَه ... عـدلاً وفـضـلاً سـلـيـمـان بـن داودا
أَحمِدْ في الورى الماضينَ من ملكٍ ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا
لا يبرأُ الناس من أن يحمدوا ملِكاً ... أولاهُمُ في الأمور الحلمَ والجودا

[البسيط]

فقال له سليمان: وكم كان أجرى لك لعِمالة فارس؟ قال: عشرون ألفاً. قال: فهي لك عليَّ ما دمتَ حيًّا، وفي أول هذه القصيدة غناءٌ نسبته:

صـوت

أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا ... إذا أقـول صـحـا يـعـتـاده عـيـدا
كـأنَّ أحـورَ مـن غـزلان ذي بـقـرٍ ... أَهدى لها شَبَه العينين والجيدا

(١) المعمود: الذي هدَّه العشق فأضناه.

أَجري على موعدٍ منها فتُخلفني فلا أمَلٌ ولا تُوفي المواعيدا
كأنني يوم أُمسي لا تُكلِّمُني ذو بُغيةٍ يبتغي ما ليس موجودا
[البسيط]

من الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أَبي ربيعة وذلك خطأ.

عروضه من البسيط، والغناء للغريض، ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لمبعد ثقيل أول بالوسطى.

حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس:

أَخبرنا محمدُ بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عيَّاش عن أَبيه قال:

سمعت الحجَّاج ـ واستوى جالساً ـ ثم قال: صدق واللَّه زهيرُ بن أبي سُلمى حيث يقول:

وما العفو إلا لامرىءٍ ذي حفيظة متى يَعفُ عن ذنب امرئ السّوءِ يَلجَجِ
[الطويل]

فقال له يزيد بن الحَكَم: أصلح اللَّه الأمير، إني قد رثيت ابني عنبساً ببيت، إنه لشبيهٌ بهذا. قال: وما هو؟ قال: قلت:

ويأمن ذو حِلم العشيرة جهله عليه، ويخشى جهله جُهَلاؤها
[الطويل]

قال: فما منعك أن تقول مثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به؟ فقال: إن ابني واللَّه كان أحبّ إليّ من ابنك.

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي. قال: كان ليزيد بن الحكم ابنٌ يقال له عنبس، فمات فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه:

جزى اللَّه عني عنبساً كلَّ صالحٍ إذا كانت الأولاد سَيئاً جزاؤها
هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزَّني على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها
جهولٌ إذا جهلُ العشيرة يُبتغى حليمٌ ويرضى حلمه حُلَماؤها
[الطويل]

وبعد هذا البيتُ المذكور في الخبر الأول.

أَخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمَري عن لقيطٍ قال: قال عبد الملك بن مروان:

كان شاعرُ ثقيفٍ في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام، فقيل له: من يعني أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم: أَمَّا شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول:

فما منك الشبابُ ولستَ منه إذا سألتك لحيتُك الخِضابَا
عقائلُ من عقائل أهل نجدٍ ومكَّة لم يُعقِّلن الرِّكابَا
ولم يَطرُدن أبقعَ يوم ظعنٍ ولا كلباً طردن ولا غرابَا

[الوافر]

وقال شاعرهم في الجاهلية:

والشيب إن يظهر فإن وراءه عُمُراً يكون خلاله مُتنفَّسُ
لم ينتقِص مني المشيبُ قُلامةً ولما بَقي مني ألبُّ وأكيسُ

[الكامل]

شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك:

أَخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمَري عن لقيط قال: قال يزيد بن الحكم الثقفي ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك:

أبا خالد قد هجْتَ حرباً مريرةً وقد شمرتْ حربٌ عوانٍ فشمِّرِ

[الطويل]

فقال يزيد بن المهلب: باللَّه أستعين، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فإنّ بني مروان قد زال مُلكُهمْ فإن كنتَ لم تشعُر بذلك فاْشعُرِ

[الطويل]

فقال يزيدُ بن المهلب: ما شعرت بذلك، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فمتْ ماجداً أو عش كريماً فإن تَمُتْ وسيفك مشهور بكفك تُعذرِ

[الطويل]

فقال: هذا ما لا بدّ منه.

قال العمري: وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش أَن يزيد بن المهلَّب إنما كتب إليه يزيد بن الحكم بهذه الأبيات، فوقّع إليه تحت البيت الأول: أستعين باللَّه. وتحت البيت الثاني: ما شعرت. وتحت البيت الثالث: أمَّا هذه فنعم.

أَخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال:

دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلَّب في سجن الحجَّاج وهو يعذَّب، وقد

حلّ عليه نجمٌ كان قد نُجِّم[١] عليه، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له:

أصبح في قيدك السماحة والجو ... دُ وفضل الصلاح والحسبُ
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نِعَمٌ ... وصابرٌ في البلاء محتسبُ
بزَزْتَ[٢] سبق الجياد في مَهلٍ ... وقصَّرت دون سعيك العربُ

[المنسرح]

قال: فالتفت يزيد بن المهلَّب إلى مولًى له، وقال: أعطه نجم هذا الأسبوع، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر.

وقد رويتْ هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بَيضٍ مع يزيد.

روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه:

أَخبرني عمي قال حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال: حدثني هارون بن مُسلم قال حدثني عثمان بن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيفٍ بالبصرة:

أَن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفيّ هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها وغشيني قومٌ من أهلها، قال: فواللَّه إني لكذلك إذا أَنا بشيخ قد دخل يترجَّح في مشيته، فلمَّا رآني أَقبل إليّ، فقال القوم: هذا جريرٌ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال لي: السلام عليك، ممن أَنت؟ قلت: رجل من ثقيفٍ. قال: أعرضتَ الأديم، ثم ممن؟ قلت: رجل من بني مالك، فقال: لا إلٰه إلا اللَّه! أمثلك يعرف بأهل بيته! فقلت: أَنا رجل من ولد أَبي العاصي، قال: ابن بشر؟ قلت: نعم. قال: أيُّهم أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول:

فنيَ الشباب وكل شيء فانِ ... وعلا لداتي[٣] شيبهم وعلاني

[الكامل]

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

أَلا لا مرحباً بفراق ليلى ... ولا بالشيب إذ طرد الشبابَا
شبابٌ بان محموداً وشيبٌ ... ذميمٌ لم نجد لهما اصطحابَا
فما منك الشباب ولست منه ... إِذا سألتك لحيتك الخضابَا

[الوافر]

---

(١) نُجِّم عليه: قُسِّط عليه.
(٢) بَزَزْتَ: غَلَبتَ.
(٣) اللِّدات: الأقران، الأتراب.

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

تعالوْا فعدُّوا يعلم الناس أيُّنا ... لصاحبه في أوّل الدهر تابعُ
تزيَّد يربوعٌ بكم في عِدادها ... كما زيد في عرض الأديم الأكارعُ[1]

[الطويل]

قال: قلت: غفر اللَّه لك، كان أَبي أصوَن لنفسه وعِرضه من أَن يدخل بينك وبين ابن عمك، فقال: رحم اللَّه أباك، فقد مضى لسبيله، ثم ٱنصرف، فنزَّلني بكبشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزَّل أحداً قبلك قط.

أَخبرني محمد بن مَزيد بن أَبي الأزهر قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن إِبراهيم الموصلي عن يزيد حَوراء المغنّي قال:

شعره في جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه:

كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جاريةً مغنيةً، وكانت غير مطاوعةٍ له، فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أَهل الكوفة فاشتراها، فمرّت بيزيد بن الحكم مع غِلمة لمولاها وهي راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال:

يا أيُّها النازحُ الشَّسُوْعُ[2] ... ودائع القلب لا تضيعُ
أستودع اللَّه مَن إليه ... قلبي على نأيه نَزوعُ[3]
إذا تذكرته ٱستهلت[4] ... شوقاً إلى وجهه الدموعُ

[مخلع البسيط]

كتاب الجارية إليه:

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيد بن الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتاباً مختوماً، ففضَّه فإذا كتابها إليه وفيه:

لئن كوى قلبك الشُّسُوْعُ ... فالقلب منّي به صُدوعُ
وبي وربِّ السماء فاعلم ... إليك يا سيدي نُزوعُ

(١) الأكارع: مفردها كراع وهو مستدق الساق عند البقر والغنم.
(٢) الشَّسوع: الشاسع البعيد.
(٣) النَّزوع: الذي نزعه الشوق أي المشتاق.
(٤) إستهلَّت: إنْهمرت وسالت.

أعـزِز عـلـيـنـا بـمـا تـلاقـي فـيـنـا وإن شـفَّـنـا الـولـوعُ
فـالـنـفـس حَـرَّى عـلـيـك ولـهـى والـعـيـن عَـبـرى لـهـا دمـوعُ
فـمـوتـنـا فـي يـد الـتـنـائـي وعـيـشـنـا الـقـرب والـرجـوعُ
وحـيـثـمـا كـنـت يـا مـنـايـا فـالـقـلـب مـنّـي بـه خُـشـوعُ
ثـم عـلـيـك الـسـلام مـنّـي مـا كـان مـن شـمـسـهـا طـلـوعُ

[مخلع البسيط]

قال: فبكى واللَّه حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصته؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفر اللَّه مِن حَمله الكتاب إليه، وأحسب أَن هذا الخبر مصنوع؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر.

شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد:

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أَبو الزعراء ـ رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ـ لطرفة بن العبد:

تـكـاشـرنـي كـرهـاً كـأنـك نـاصـح وعـيـنـك تـبـدي أن صـدرك لـي جَـوي[1]

[الطويل]

قال: فعجبت من ذلك وأنشدته أَبا عمرو بن العلاء وقلت له: إني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أَبو الزعراء لطرفة بن العبد، فقال لي أَبو عمرو: إن أَبا الزعراء في سن يزيد بن الحكم، ويزيد مولَّد يجيد الشعر، وقد يجوز أَن يكون أَبو الزعراء صادقاً.

قال مؤلف هذا الكتاب: ما أظن أَبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأن العلماء من رواة الشعر روَوْها ليزيد بن الحكم، وهذا أعرابي لا يحصِّل ما يقوله، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أَنه ليزيد بن الحكم ـ وليس كذلك ـ لكان معلوماً أَنه ليس لطرفة، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه، وهو بيزيد أشبه، وله في معناه عدَّة قصائد يعاتب فيها أَخاه عبد ربّه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أَبي العاصي. ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إن عمه عبد الرحمن هو الذي عاتبه، وفيه يقول:

ومَـولًى كـذئـب الـسّـوء لـو يـسـتـطـيـعـنـي أصـاب دمـي يـومـاً بـغـيـر قـتـيـلِ
وأُعـرِضُ عـمـا سـاءه وكـأنـمـا يـقـاد إلـى مـا سـاءنـي بـدلـيـلِ

(١) جويّ: مُحبّ، الجوى هو الهوى الباطن.

مجاملةً منّي وإكرام غيره ... بلا حسنٍ منه ولا بجميلِ
ولو شئت لولا الحلم جدّعتُ أنفه ... بإيعاب جَدعٍ بادىءٍ وعليلِ
حفاظاً على أحلام قوم رزِئتهم ... رِزانٍ يَزينون النديَّ كهولِ

[الطويل]

وقال في أخيه عبد ربّه:

أخي يُسرُّ ليَ الشَّحناء يُضمرها ... حتى ورَى[1] جَوفه من غِمره[2] الداءُ
حَرَّانُ ذو غُصَّة جُرِّعتُ غُصّته ... وقد تعرّض دون الغصة الماءُ
حتى إذا ما أساغ الريق أنزلني ... منه كما يُنزِل الأعداء أعداءُ
أسعى فيكفر سعيي ما سعيتُ له ... إني كذاك من الإخوان لَقَّاءُ
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدّهن تِراثٍ[3] وهيَ آلاءُ

[البسيط]

فأما تمام القصيدة التي نسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُختارها ليُعلم أنَّ مرذول كلام طرفة فوقه:

نصافح من لاقيت لي ذا عداوةٍ ... صِفاحاً وعنّي بين عينيك مُنزوي
أراك إذا لم أهوَ أمراً هويته ... ولست لما أهوى من الأمر بالهوي
أراك اجتويت[4] الخير مني وأجتوي ... أذاك، فكلٌّ يجتوي قُرب مجتوي
فليت كفافاً[5] كان خيرُك كلّه ... وشرُّك عني ما ارتوى الماء مرتوي
عدوّك يخشى صولتي إن لقيته ... وأنت عدوّي، ليس ذاك بمستوي
وكم موطنٍ لولاي طِحت كما هوى ... بأَجرامه من قُلَّة النّيق مُنهوي
إذا ما ابتنى المجد ابن عمك لم تُعِن ... وقلت ألا يا ليت بنيانه خَوي[6]
كأنك إن نال ابن عمك مغنماً ... شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غلة[7] لوي[8]
وما برحتْ نفسٌ حسودٌ حُشيتها ... تُذيبك حتى قيل هل أنت مكتوي

---

(١) ورى: أفسد.
(٢) الغِمر: الغل والحقد والحسد.
(٣) التِّرات: مفردها ترة، وهي الظلم أو المكروه.
(٤) إجتويت: كرهت.
(٥) الكَفاف: الحاجة الأصلية التي لا يفضل عنها شيء.
(٦) خَوي: خالي من السُكان.
(٧) الغُلَّة: حرارة الجوف والحرقة.
(٨) اللَّويّ: المتألم في جوفه.

جـمـعـتَ وفـحـشـاً غِـيـبـةً ونـمـيـمـةً ثـلاث خـصـال لـسـت عـنـهـن تـرعـوي[١]
ويـدحـو بـك الـداحـي إلـى كـل سـوءةٍ فـيـا شـرَّ مـن يـدحـو[٢] إلـى شـرّ مُـدحـوي
بـدا مـنـك غِـشٌّ طـالـمـا قـد كـتـمـتـه كـمـا كـتـمـتْ داءَ ابـنـهـا أمّ مُـدَّوي[٣]
[الطويل]

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَن له في العلم أدنى سَهمٍ عرف أنَّه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه.

صـوت

من المائة المختارة

أبـى الـقـلـب إلا أُمَّ عـوفٍ وحُـبَّـهـا عـجـوزاً، ومـن يـعـشـقْ عـجـوزاً يُـفَـنَّـدِ[٤]
كـثـوبٍ يـمـانٍ قـد تـقـادم عـهـده ورُقـعـتـه مـا شـئـتَ فـي الـعـيـن والـيـدِ
[الطويل]

الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلّويه، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمر بن بانة.

* * *

(١) ترعوي: ترجع، تكف.
(٢) يدحو: يبسط.
(٣) مُدَّوي: آكل الدواية.
(٤) يُفَنَّد: يهلك.

أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جندل بن يعمر بن حِلس بن نُفاثة بن عدي بن الدُّئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشاً مختلفٌ في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها، فخصَّت بهذا الاسم دونهم، وأبعد من قال في ذلك مدىً مَن زعم أَن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش؛ فأمَّا النسَّابون منهم فيقولون إِن من لم يلده فِهر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً.

وكان أَبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم. وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أَبي طالب رضي اللَّه عنهما فأكثر، وروى عن ابن عباس وغيره، واستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أَبي طالب رضي اللَّه عنهم، وكان من وجوه شيعة علي. وذكر أَبو عبيدة أَنه أدرك أول الإِسلام وشهد بدراً مع المسلمين. وما سمعتُ بذلك عن غيره.

ولاه علي البصرة:

وأَخبرني عمي عن ابن أَبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي عن أَبي عبيدة مثله.

واستعمله علي رضي اللَّه عنه على البصرة بعد ابن عباس، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله.

كان أَول من وضع النحو ورسم أصوله:

أَخبرنا أَبو جعفر بن رُستم الطبري النحوي بذلك عن أَبي عثمان المازني عن أبي عمر الجَرمي عن أَبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أَحمد عن عيسى بن عمر عن عبد اللَّه بن أَبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي.

أَنَّ أَبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبتِ ما أشد الحرّ! (رفعت أشدّ) فظنَّها تسأله وتستفهم منه: أيُّ زمان الحرّ أشدُّ؟ فقال لها: شهر ناجِرٍ،

يريد شهر صفر. الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء. فقالت: يا أَبتِ إنما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أَمير المؤمنين، ذهبتْ لغة العرب لمَّا خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أَن تضمحلّ، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم، وأملى عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرفٍ جاء لمعنى. (وهذا القول أَول كتاب سيبويه)، ثم رسم أصول النحو كلَّها، فنقلها النحويّون وفرّعوها. قال أَبو الفرج الأصفهاني: هذا حفظته عن أَبي جعفر وأَنا حديث السنّ، فكتبته من حِفظي، واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه.

أمره زياد أن ينقط المصاحف:

أَخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن المدائني قال:

أمر زياد أَبا الأسود الدؤلي أَن ينقط المصاحف، فنقطها ورسم من النحو رسوماً، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن مَعدان المهري، ثم جاء عبد اللَّه بن أَبي إسحاق الحضرميُّ وأَبو عمرو بن العلاء فزادا فيه، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديُّ وكان صليبة[1] فلحب[2] الطريق. ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيين رسوماً هم الآن يعملون عليها.

أخذ النحو عن علي بن أبي طالب:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التَّوَّزي والمَهري قالا حدثنا كَيسان بن المعرِّف الهُجيمي أَبو سليمان عن أَبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أَبي حرب بن أَبي الأسود الدؤلي عن أَبيه قال:

قيل لأبي الأسود: من أَين لك هذا العِلم؟ ـ يعنون به النحو ـ فقال: أخذت حدوده عن علي بن أَبي طالب عليه السلام.

خبره مع زياد في سبب وضع النحو:

أَخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثني عبيد اللَّه بن محمد عن

(١) صليبة: كريمة النسب والمعنى كان ذا نسبة صليبة.

(٢) لحب الطريق: شرحه وبيَّنه.

عبد اللَّه بن شاكر العنبري عن يحيى بن آدم عن أَبي بكر بن عيَّاش عن عاصم بن أَبي النجود قال:

أوّل من وضع العربية أَبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له: أَصلَح اللَّه الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت أَلسنتهم، أفتأذن لي أن أضع لهم عِلماً يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. قال: ثم جاء زياداً رجل فقال: مات أبانا وخلَّف بنون، فقال زياد: مات أبانا وخلَّف بنون! ردّوا إليّ أَبا الأسود الدؤلي، فرُد إليه، فقال: ضع للناس ما نهيتك عنه. فوضع لهم النحو. وقد روى هذا الحديث عن أَبي بكر بن عياش يزيدُ بن مِهران، فذكر أن هذه القصة كانت بين أَبي الأسود وبين عبيد اللَّه بن زياد.

أول باب وضعه في النحو باب التعجب:

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزيّ عن أَبي عثمان المازنيّ عن الأخفش عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد اللَّه بن أَبي إسحاق عن أَبي حرب بن أَبي الأسود قال:

أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب.

وقال الجاحظ: أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس، وهو في كلِّها مقدّم، مأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفرسان والأمراء والدّهاة والنحويين والحاضِري الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلع الأشراف والبُخر الأشراف.

حديثه عن عمر بن الخطاب:

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي ﷺ، حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلخي قال حدثنا أَبو خَيثمة زُهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أَبي الفُرات عن عبد اللَّه بن أَبي بُريدة عن أَبي الأسود الدؤلي قال:

أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه، فمرّت به جنازة فأُثني على صاحبها بخير، فقال عمر رضي اللَّه عنه: وَجَبتْ، ثم مرّ بأخرى فأثنِي على صاحبها بشرّ، فقال عمر: وجَبتْ، فقال أَبو الأسود: ما وَجبتْ يا أمير المؤمنين؟ فقال: قلت كما قال

رسول اللَّه ﷺ: «**أيُما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله اللَّه الجنة**» فقلنا: وثلاثة؟ قال: «**وثلاثة**»، فقلنا: واثنان؟ قالَ: «**واثنان**»، ثم لم نسأله عن الواحد.

حدثني حمَّاد بن سعيد قال حدثنا أَبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أَبي عن قَتادة عن أَبي الأسود الدؤلي قال:

خطب عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال: إنَّ نبيّ اللَّه ﷺ قال: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحقّ منصورة حتى يأتي أمر اللَّه جلّ وعزّ**».

حديثه عن علي بن أبي طالب:

ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أَخبرنا محمد بن عبد اللَّه بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هنَّاد بن السَّري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن سعيد بن أَبي عَرُوبة عن قتادة عن أَبي حرب بن أَبي الأسود الدؤلي عن أبيه أَبي الأسود الدؤلي عن عليّ كرم اللَّه وجهه أنه قال في بول الجارية: يُغسل، وفي بول الغلام: يُنضح ما لم يأكلا الطعام.

أَخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا البغويّ قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلّى بن هلال عن الشعبي وأخبرني أَحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا:

لما خرج ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أَبو الأسود في قومه ليردّه، فاعتصم عبد اللَّه بأخواله من بني هلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم حرب، فقال لهم بنو هلال: ننشدكم اللَّه ألَّا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما، فرجعت كنانة عنه، وكتب أَبو الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره بما جرى، فولّاه البصرة.

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي ووكيع وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضَّبي قال حدثني خالد بن عبد اللَّه قال حدثني أَبو عبيدة معمر بن المثنَّى قال:

كان أَبو الأسود الدؤلي كاتباً لابن عباس على البصرة، وهو الذي يقول:

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً ... فادْعُ الإِله وأحسن الأعمالا

فلعطينَّك ما أراد بقدرة ... فهو اللطيف لِما أَراد فِعالا

إِن العباد وشأنهم وأمورهم ... بيد الإِله يقلِّب الأحوالا

فـدعِ الـعـبـاد ولا تـكـن بـطـلابـهـم لـهـجـاً تـضـعـضـع[1] لـلـعـبـاد سـؤالا

[الكامل]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرّياشي عن محمد بن سلَّام قال:

كان أَبو الأسود الدؤلي قد أسنَّ وكبر، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تُكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرتَ، ولو لزمت منزلك كان أودع لك. فقال له أبو الأسود: صدقت ولكنَّ الركوب يشدّ أعضائي، وأسمع من أَخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي؛ وأستنشي الريح، وألقى إخواني، ولو جلست في بيتي لاغتمّ بي أهلي، وأنسَ بي الصبيّ، وٱجترأ عليّ الخادم، وكلَّمني من أَهلي من يَهاب كلامي، لإلفهم إيّاي، وجلوسهم عندي؛ حتى لعلّ العنز أَن تبول عليّ فلا يقول لها أحد: هُسْ[2].

أَخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أَبو عكرمة قال:

كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً، ثم ٱصطلحوا بعد ذلك على أَن يؤدّوا ديته، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها، وألحَّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارضة، فقال له: يا أبا الأسود، أنت شيخ العشيرة وسيدهم، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود.

فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود، ثم قال له: قد أكثرت يا ابن أخي فاسمع مني: إن الرجل واللَّه ما يعطي ماله إلا لإحدى خِلالٍ: إما رجلٌ أعطى ماله رجاءَ مكافأةٍ ممن يعطيه، أَو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بماله، أو رجل أراد وجه اللَّه وما عنده في الدار الآخرة، أَو رجل أحمق خدع عن ماله، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات، ولا جئتم في شيء من هذا، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء، ولما أفدتُك إياه في عقلك خيرٌ لك من مال أَبي الأسود لو وصل إلى بني الديل، قوموا إذا شئتم. فقاموا يبادرون الباب.

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أَبي عبيدة قال:

كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تيم اللَّه بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به، فمرّ به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه: كأن وجه أبي الأسود وجه عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ، فضحك

(١) تضعضع: تذل وتخضع.

(٢) هُسْ: كلمة يستخدمها العرب لزجر الغنم.

القوم، وأعرض عنهم أَبو الأسود. ثم مرّ به مرّة أُخرى، فقال لهم: كأنَّ غضون قفا أَبي الأسود غضون الفقاح[١]. فأقبل عليه أَبو الأسود فقال له: هل تعرف فقحة أمّك فيهنّ؟ فأفحمه، وضحك القوم منه، وقاموا إلى أبي الأسود، فاعتذروا إليه مما كان، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك، وقال فيه أَبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله:

وأهوج[٢] مِلجاجٍ[٣] تصاممتُ[٤] قبله ... أَن اسمعه وما بسمعي مِن باسِ
ولو شئت قد أعرضتُ حتى أصيبه ... على أنفه حدباءَ تُعضل بالآسي
فإن لساني ليس أهون وقعةً ... وأصغر آثاراً من النحت بالفاسِ
وذي إِحنةٍ[٥] لم يُبدِها غيرَ أنه ... كذي الخبل تأبى نفسه غير وَسواسِ
صفحتُ له صفحاً جميلاً كصفحه ... وعيني ـ وما يدري ـ عليه وأحراسي
وعندي له إِن فار فَوَّار صدره ... فَحاً[٦] جَبليٌّ لا يعاوده الحاسي
وخبٍّ[٧] لحوم الناس أكثر زاده ... كثير الخنا[٨] صعَبِ المحالة هَمَّاسِ
تركت له لحمي وأبقيت لحمه ... لمن نابه من حاضر الجنّ والناسِ
فكرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنما ... يعضُّ بصمٍّ من صفا جبلٍ راسي

[الطويل]

أَخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائني قال:

خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابي فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمة مقولة. قال: أَدخل؟ قال: وراؤك أوسع لك. قال: إِن الرَّمضاء قد أحرقت رِجلي، قال: بُلْ عليها أو ائتِ الجبل يفيء عليك. قال: هل عندك شيء تُطعمُنيه؟ قال: نأكل ونطعم العيال، فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب، فقال الأعرابي: ما رأيت قطُّ ألأم منك. قال أبو الأسود: بلى قد رأيت؛ ولكنك قد أُنسيتَ.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائني بهذا الخبر فقال فيه:

(١) الفِقَاح: مفردها فقحة وهي حلقة الدبر.
(٢) الأهوج: الطويل الأحم المتسرِّع.
(٣) المِلحاح: الشديد الإلحاح.
(٤) تصاممتُ: تصرفت كأن بي الصمَّم.
(٥) الإِحنة: العداوة والبغضاء.
(٦) الفحا: التوابل التي تضاف إلى قدور الطهي.
(٧) الخبّ: الخدَّاع، الغشَّاش.
(٨) الخنا: الفحش.

كان أَبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رُطَب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة، فسلَّم ثم ذكر باقي الخبر، مثل الذي تقدَّمه، وزاد عليه فقال: أنا ابن أبي الحمامة. قال: كن ابن أبي طاوسة، وٱنصرف. قال: أسألك باللَّه إلا أطعمتني مما تأكل، قال: فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطبات، فوقعت إحداهنّ في التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أَبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به، فقال: إنما كرهتُ أن أدعها للشيطان، فقال له: لا واللَّه ولا لجبريل وميكائيل تدعُها.

أَخبرني محمد بن عِمران الضبيُّ الصَّيرفيُّ قال حدثنا الحسن بن عُليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن عياش قال:

خطب أَبو الأسود الدؤلي امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدّث به ابن عم لها كان يخطبها ـ وكان لها مال عند أهلها ـ فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه، ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك، وضارّوها[1] حتى تزوّجت بابن عمها، فقال أَبو الأسود الدؤلي في ذلك:

لعمري لقد أفشيت يوماً فخانني ... إلى بعض من لم أخشَ سِرّاً ممنَّعَا
فمزَّقه مَزقَ العَمي وهو غافل ... ونادى بما أخفيت منه فأسمعَا
فقلت ولم أفحش لَعاً لك[2] عاثراً ... وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعَا
ولست بجازيك الملامة إنني ... أرى العفو أَدنى للرشاد وأوسعَا
ولكن تعلَّم أنه عهدُ بيننا ... فبِنْ[3] غير مذموم ولكن مودَّعَا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى ... وأنت نجيّاً آخر الدهر أجمعَا
وكنت إذا ضيعتَ سرك لم تجد ... سواك له إلا أَشتَّ وأضيعَا

[الطويل]

قال: وقال فيه:

أمِنتُ امرأ في السرّ لم يك حازماً ... ولكنه في النصح غيرُ مُريبِ

(١) ضارّوها: أجبروها.
(٢) لَعاً لك: كلمة يستخدمها العرب للعاثر حتى ينتعِش.
(٣) بِنْ: فارق.

أذاع بـه فـي الـنـاس حـتـى كـأنـه بـعـلـيـاءَ نـارٌ أُوقـدت بـثـقـوب[١]
وكـنـتَ مـتـى لـم تَـرْعَ سـرَّك تـلـتـبـس قـوارعـه[٢] مـن مـخـطـئ ومـصـيـب
فـمـا كـلّ ذي نـصـح بـمـؤتـيـك نُـصـحـه ومـا كـلّ مـؤتٍ نـصـحـه بـلـبـيـبِ[٣]
ولـكـن إذا مـا اسـتـجـمـعـا عـنـد واحـدٍ فـحـقَّ لـه مـن طـاعـةٍ بـنـصـيـبِ

[الطويل]

أَخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيَّاش قال:

اشترى أَبو الأسود جارية، فأعجبته ـ وكانت حولاء ـ فعابها أهله عنده بالحوَل، فقال في ذلك:

يَـعـيـبـونـهـا عـنـدي ولا عـيـب عـنـدهـا سـوى أَن فـي الـعـيـنـيـن بـعـض الـتـأخّـرِ
فـإِن يـك فـي الـعـيـنـيـن سـوء فـإنـهـا مُـهـفـهـفـة[٤] الأعـلـى رداحُ الـمـؤخّـرِ[٥]

[الطويل]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال:

كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم، وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له، وأنهما اجتمعا عند أَبي الأسود فحكَّماه بينهما، فقال له خصم صديقه: إني بالذي بينك وبينه عارف، فلا يحملنك ها ذاك على أَن تحيف عليّ في الحكم ـ وكان صديق أَبي الأسود ظالماً ـ فقضى أَبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ، فقال له صديقه: واللَّه ما بارك اللَّه لي في صداقتك، ولا نفعني بعلمك وفقهك، ولقد قضيت عليّ بغير الحقّ، فقال أَبو الأسود:

إذا كـنـتَ مـظـلـومـاً فـلا تُـلـفَ[٦] راضـيـاً عن القوم حتى تأخذ النِّصف[٧] واغضبِ

(١) الثقوب: ما أثقبت به النار.
(٢) القوارع: النوازل والمصائب، مفردها قارعة.
(٣) لبيب: حاذق.
(٤) مهفهفة: ضامرة البطن.
(٥) رداح: التي بها ضخامة في الأوراك والعجز.
(٦) تُلفى: تُلقى.
(٧) النِّصف: الانتصاف.

وإن كنت أَنت الظالم القوم فاطَّرح ... مقالتهم واشغب بهم كلَّ مشغبِ
وقارب بذي جهل وباعد بعالم ... جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجلبِ
فإِن حدِبوا[1] فاقعَس[2] وإن هم تقاعسوا ... ليستمكنوا مما وراء فاحدَبِ
ولا تدْعُني للجور واصبر على التي ... بها كنت أقضي للبعيد على أَبي
فإِني امرؤ أخشى إِلهي وأتَّقي ... مَعادي وقد جرّبتُ ما لم تجرّبِ

[الطويل]

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أَن محمد بن سلَّام حدَّثه، وأَخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلَّام قال:

وجه أَبو الأسود الدؤلي إلى الحصين بن أَبي الحرّ العنبري جد عبيد اللَّه بن الحسن القاضي، وهو يلي بعض أَعمال الخراج لزياد، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهشلي وكان يلي مثل ذلك برسول، وكتب معه إليهما وأَراد أَن يبرَّاه، ففعل ذلك نعيم بن مسعود، ورمى الحصين بن أَبي الحرّ بكتاب أَبي الأسود وراء ظهره، فعاد الرجل فأخبره، فقال أَبو الأسود للحصين:

حسبت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً ... لسَيبك[3]، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبّرني من كنتُ أرسلت أنما ... أخذتَ كتابي مُعرضاً بشمالكا
نظرت إلى عنوانه فنبذته ... كنبذِك نعلاً أخلقتْ من نِعالكا
نُعَيم بن مسعود أحقُّ بما أتى ... وأنت بما تأتي حقيق بذلكا
يصيب وما يدري ويُخطي وما درى ... وكيف يكون النَّوك إلا كذلكا؟

[الطويل]

قال محمد بن سلَّام: فتقدَّم رجل إلى عبيد اللَّه بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ ـ وهو قاضي البصرة ـ مع خصم له فخلط في قوله، فتمثل عبيد اللَّه بقول أَبي الأسود:

يصيب وما يدري ويخطي وما درى ... وكيف يكون النَّوك[4] إلا كذلكا

[الطويل]

---

(١) أحْدَب: الذي عنده خروج في ظهره ودخول البطن.
(٢) أَقْعَس: نقيض الحدب.
(٣) السيب: الهبة والعطاء.
(٤) النَّوك: الغباوة مع الحمق.

فقال الرجل: إن رأى القاضي أَن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل. فقال له: ادنُ، فقال له: إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت، وقد علمت فيمن قيل، فتبسم عبيد اللَّه وقال له: إني أرى فيك مصطنعاً[1] فقم إلى منزلك، وقال لخصمه: رح إليّ، فغرم له ما كان يطالب به.

أَخبرني عميّ قال حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال:

أراد أَبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس، فقالت له ابنته: يا أبت إنك قد كبرت، وهذا صميم الشتاء، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً، فإني أخشى عليك، فقال أَبو الأسود:

إذا كنتَ معنِيّاً بأمرٍ تُريده ... فما للمضاء والتَّوكل من مثلِ
توكَّل وحمِّل أمرك اللَّه إنَّ ما ... ترادُ به آتيك فاقنع بذي الفضلِ
ولا تحسبنَّ السير أقرب للردى ... من الخفض في دار المقامة والثَّملِ
ولا تحسبيني يا ابنتي عزَّ مذهبي ... بظنك، إن الظن يكذب ذا العقلِ
وإني ملاقٍ ما قضى اللَّه فاصبري ... ولا تجعلي العلم المحقَّق كالجهلِ
وإنك لا تدرين: هل ما أخافه ... أبعديَ يأتي في رحيلي أَو قبلي؟
وكم قد رأيت حاذراً متحفِّظاً ... أُصيب وألفته المنية في الأهلِ

[الطويل]

أَخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال:

كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيب بن حُميد، وكان يغشاه في منزله، ويتحدث إليه في المسجد، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أَحد من قومه ولا من غيرهم آثَرَ عنده منه، فرأى أبو الأسود يوماً معه مُستُقة[2] مخملة أصبهانية من صوف، فقال له أَبو الأسود: ما تصنع بهذه المُستُقة؟ فقال: أريد بيعها، فقال له أَبو الأسود: انظر ما تبلغ فعرّفنيه حتى أبعث به إليك، فإنها من حاجتي، قال: لا بل أكسوكها، فأبى أَبو الأسود أَن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم، فبعث إليه أَبو الأسود بالدراهم، فردّها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً، فقال أَبو الأسود:

بعنِي نُسَيب ولا تثبني إنني ... لا أستثيب ولا أُثيب الواهبا

(١) مصطنع: أهل للجميل والإحسان.
(٢) مستقة: فروة طويلة الكمّ. فارسية معرَّبة.

إن العطية خير ما وجَّهتها ... وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامةً ... وملامة تبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم ... فملئتُ علماً منهمُ وتجاربا
فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركتُ عَمداً ما هنالك جانبا
فإذا وعدتُ الوعد كنت كغارمٍ ... دَيناً أقرُّ به وأحضر كاتبا
حتى أنفِّذه على ما قلته ... وكفى عليّ به لنفسيَ طالبا
وإذا فعلتُ فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسبا
وإذا منعتُ منعتُ منعاً بيِّناً ... وأرحت من طول الغناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا[1]

[الكامل]

أَخبرني أَحمد بن عبيد اللَّه بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدثنا أَحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائني قال:

زعم أَبو بكر الهذلي أَن أَبا الأسود الدؤلي كان يحدّث معاوية يوماً فتحرك فضرط، فقال لمعاوية: استرها عليّ، فقال: نعم، فلما خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فلما غدا عليه أَبو الأسود قال عمرو: ما فعلتْ ضَرطتك يا أَبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوف ضروط، ثم أقبل على معاوية فقال: إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألّا يؤمن على أمور المسلمين.

أَخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا سليمان بن أَبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال:

كان أَبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها، وكانت بَرزة[2] جميلة، فقالت له: يا أَبا الأسود، هل لك في أَن أتزوّجك؟ فإني صَناع[3] الكفّ، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، قال: نعم، فجمعت أهلها فتزوّجته، فوجد عندها خلاف ما قدّره، وأسرعت في ماله، ومدَّت يدها إلى خيانته، وأفشت سرّه، فغدا على

(١) الواصب: الدائم.
(٢) البرزة: المرأة الجليلة تخرج للرجال وتبرز لهم فيتحدثون إليها مع الاحتفاظ بعفَّتِها ووقارها.
(٣) صَناع الكفّ: ماهرة بالعمل اليدويّ.

مَن كان حضر تزويجه إياها، فسألهم أَن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال لهم:

أَرَيت امرأً كنت لم أَبلُه[١] أتاني فقال اتخذني خليلَا
فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيته حين جرّبته كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكّرته ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولاً جميلا
فألفيته غير مستعتبٍ[٢] ولا ذاكر اللَّه إلا قليلا
ألستُ حقيقاً بتوديعه وإتباع ذلك صُرماً[٣] طويلا؟

[المتقارب]

فقالوا: بلى واللَّه يا أَبا الأسود! قال: تلك صاحبتكم، وقد طلقتها لكم، وأنا أحبّ أَن أستر ما أنكرته من أمرها، فانصرفت معهم.

حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغويّ قال حدثنا العمري قال:

كان أبو الأسود أبخر[٤]، فسارَّ معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه، فنحى أَبو الأسود يده عن أنفه، وقال: لا واللَّه لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البخر.

أَخبرني عبد اللَّه بن محمد الرازي قال حدثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

كان علي بن أبي طالب عليه السلام استعمل أَبا الأسود على البصرة، واستكتب زياد بن أَبيه على الديوان والخراج، فجعل زياد يسبع[٥] أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويبغي عليه، فلما بلغ ذلك أَبا الأسود عنه قال فيه:

رأيت زياداً ينتحيني بشرّه وأعرض عنه وهو بادٍ مُقاتلُهْ
وكل امرئ، واللَّه بالناس عالم له عادة قامت عليها شمائلُهْ
تعوَّدها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائلُهْ
ويعجبه صفحي له وتجمُّلي وذو الجهل يحذو الجهل مَن لا يعاجلُهْ
فقلت له دعني وشأنيَ إننا كلانا عليه معملٌ هو عاملُهْ

(١) أبلُه: أَختبره وأمتحنه وأمتَحصُه.
(٢) مستعتب: طالب الرضى والسماح.
(٣) الصُّرم: الهجر والقطيعة.
(٤) أبخر: له رائحة فم وأبخرة تتصاعد من جوفه.
(٥) يسبع: يشتم، ويوقع في غيره، أو يغتابه.

فلولا الذي قد يُرتجى من رجائه ... لجرَّبتَ مني بعض ما أَنت جاهلُهْ
لجرَّبتَ أنّي أمنح الغيَّ من غوى ... عليّ وأجزي ما جزى وأُطاولُهْ
[الطويل]

وقال لزياد أَيضاً في ذلك:

نُبِّئتُ أن زياداً ظلّ يشتمني ... والقول يُكتبُ عند اللَّه والعملُ
وقد لقيت زياداً ثم قلت له ... وقبل ذلك ما خبَّت له الرسلُ
حتَّام تسرقني في كل مجمعة ... عِرضي، وأنت إذا ما شئت منتفلُ
كل امرئ صائر يوماً لشيمته ... في كل منزلة يُبلى بها الرجلُ
[البسيط]

قال: فلما ادَّعى معاوية زياداً وولَّاه العراق كان أَبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان، فكان أبو الأسود يترضَّاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك:

رأيت زياداً صدّ عنّيَ وجهه ... ولم يك مردوداً عن الخير سائلُهْ
ينفِّذ حاجات الرجال، وحاجتي ... كداء الجوى في جوفه لا يزايلُهْ
فلا أَنا ناسٍ ما نسيتُ فآيسٌ ... ولا أَنا راءٍ ما رأيت ففاعلُهْ
وفي اليأس حزم للَّبيب وراحة ... من الأمر لا يُنسى ولا المرء نائلُهْ
[الطويل]

وقال المدائني: نظر عبد الرحمن بن أَبي بكرة إلى أَبي الأسود في حالٍ رثَّة فبعث إليه بدنانير وثياب، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق، فقال أَبو الأسود يمدحه:

أَبو بحرٍ أمَنُّ الناس طُرّاً ... علينا بعد حِيّ أبي المغيرَهْ
لقد أبقى لنا الحدثان منه ... أخا ثقةٍ منافعه كثيرَهْ
قريبَ الخير سهلاً غير وعرٍ ... وبعض الخير تمنعه الوعُورَهْ
بصُرت بأَنَّنا أصحاب حقَّ ... نُدِلّ به وإخوانٌ وجيرَهْ
وأَهلُ مضيعةٍ فوجدت خيراً ... من الخُلَّان فينا والعشيرَهْ
وإنك قد علمت وكلُّ نفسٍ ... تُرى صَفحاتها ولها سريرَهْ

لـذو قـلـبٍ بـذي الـقـربـى رحـيـم وذو عـيـن بـمـا بـلـغـت بـصـيـرَهْ
لـعـمـرك مـا حَـبـاك الـلَّـه نـفـسـاً بـهـا جَـشـعٌ ولا نـفـسـاً شـريـرَهْ
ولـكـن أنـت لا شـرِسٌ غـلـيـظ ولا هَـشـمٌ تُـنـازعـه خُـشـورَهْ[١]
[الوافر]

كـأنـا إذ أَتـيـنـاه نـزلـنـا بـجـانـب روضـةٍ ريَّـا مَـطـيـره

قال المدائني: وكان أَبو الأسود يدخل على عبيد اللَّه بن زياد، فيشكو إليه أَنَّ عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإني أحب قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أَمره ووعده فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أَمره شيئاً، فقال فيه أَبو الأسود:

دعـانـي أَمـيـري كـي أفـوه بـحـاجـتـي فـقـلـت فـمـا ردّ الـجـواب ولا ٱسـتـمـعْ
فـقـمـت ولـم أَحـسـس بـشـيء ولـم أُصـن كـلامـي وخـيـر الـقـول مـا صـيـن أو نـفـعْ
وأجـمـعـتُ بـأسـاً لا لـبـانـة[٢] بـعـده ولـلـيـأسُ أدنـى لـلـعـفـاف مـن الـطّـمـعْ
[الطويل]

أَخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال:

سأل رجل أَبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أَبا الأسود ما أصبحتَ حاتميّاً؟[٣] قال: بلى قد أصبحت حاتميّاً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول:

أمـاويّ إمَّـا مـانـعٌ فـمـبـيّـنٌ وإِمَّـا عـطـاء لا يـنـهـنـهـه[٤] الـزجـرُ
[الطويل]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا ابن عائشة قال:

كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص[٥]، فلما باع أَبو الأسود داره في بني الديل، وانتقل إلى هُذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لقاحه؟[٦] وكانت لا تزال عنده لقحة أو لقحتان، وكان

(١) الخثورة: الضعف والفتور. (٢) لُبانة: الحاجة من غير فاقة بل من همَّة.
(٣) حاتميّ: نسبة إلى حاتم الطائي، أي كريم جواد.
(٤) ينهنهه: يكفّه. (٥) القوارص: الأخبار السيِّئة.
(٦) اللِّقاح: مفردها اللقحة وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أَبا الأسود قوله، فقال فيه:

إِن امرأً نُبِّئته من صديقنا ... يسائل هل أسقي من اللبن الجارا؟
وإني لأسقي الجار في قعر بيته ... وأشرب ما لا إِثم فيه ولا عارا
شراباً حلالاً يترك المرء صاحياً ... ولا يتولّى يقلس[1] الإِثم والعارا

[الطويل]

أَخبرني عبيد اللَّه بن محمد الرازي قال حدثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائني قال:

كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوثرة بن سُلَيم، فٱستعمله عبيد اللَّه بن زياد على جَيَّ وأصبهان، وكان أَبو الأسود بفارس، فلما بلغه خبره أَتاه فلم يجد عنده ما يقدّره، وجفاه حوثرة؛ فقال فيه أَبو الأسود وفارقه:

تروَّحتَ من رُستاق جَيٍّ عشيةً ... وخلَّفتَ في رستاق جَيٍّ أَخاً لكا
أخاً لك إن طال التنائي وجدته ... نسيّاً وإِن طال التعاشرُ مَلّكا
ولو كنتَ سيفاً يُعجب الناس حدُّه ... وكنتَ له يوماً من الدهر فلّكا[2]
ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحبته ... وطاوعته ضلَّ الهوى وأضلَّكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى ... وإِن جُرت عن باب الغواية دلَّكا

[الطويل]

قال المدائني: وكان لأبي الأسود جار، يقال له وثاق من خُزاعة، وكان يحبّ ٱتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها، فأتى أَبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها: الصَّفوف فقال له: يا أَبا الأسود ما بلقحتك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا، فهل لك في بيعها؟ فقال أَبو الأسود: على ما تذكر فيها من العيب؟ فقال: إِني أغتفر ذلك لها لِما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود: بئست الخلَّتان فيك؛ الحِرص والخِداع، أَنا لعيب مالي أشدّ ٱغتفاراً؛ وقال أَبو الأسود فيه:

يريد وثَاقٌ ناقتي ويعيبها ... يخادعني عنها وثاقُ بن جابرِ
فقلت تعلَّم يا وثاقُ بأنها ... عليك حِمًى أُخرى الليالي الغوابرِ
بصرتَ بها كَوماء[3] حَوساء[4] جَلدةً ... من المولياتِ الهام حدَّ الظواهرِ

(١) يقلس: يتبع.
(٢) فَلَّك: ثلَمَك.
(٣) كوماء: الناقة العظيمة السَّنام.
(٤) الحوساء: الناقة الشديدة النفس.

فـحـاولـت خَـدعـي والـظـنـون كـواذبٌ وكـم طـامـع فـي خَـدعـتـي غـيـر ظـافـرِ

[الطويل]

قال: وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء، وكان يقول: ما ملكت مالاً قط أحبّ إليَّ منها، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أَوس بن عامر، فجعل يماكر أَبا الأسود ويعيبها، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً، فبذل له فيها ثمناً وافياً، فأبى أَن يبيعه وقال فيه:

أتـانـيَ فـي الـطـيـفـاء أوسُ بـن عـامـرٍ لـيـخـدعـنـي عـنـهـا بـجـنّ ضِـراسِـهـا

فـسـام قـلـيـلاً نـاسـئـاً غـيـر نـاجـز وأُحـصـر نـفـساً وٱنـتـهـى بـمـكـاسِـهـا[1]

فـأُقـسـم لـو أَعـطـيـت مـا سـمـتَ مـثـلـه وضِـعـفـاً لـه لـمـا غـدوتَ بـراسِـهـا

أغـرَّك مـنـهـا أَن نـحـرتُ حُـوارهـا لـجـيـران أمّ الـسَّـكـن يـوم نِـفـاسِـهـا

فـولّـى ولـم يـطـمـع وفـي الـنـفـس حـاجـةٌ يـردّدهـا مـردودةً بـإِيـاسِـهـا

[الطويل]

أَخبرنا اليزيدي قال حدثنا عيسى عن ابن عائشة الأصمعي:

أنَّ رجلاً سأل أَبا الأسود الدؤلي فردّه فألحّ عليه، فقال له أَبو الأسود: ليس للسائل المُلِحّ مثل الردّ الجامس. قال: يعني بالجامس الجامد.

وقال المدائني: خطب أَبو الأسود امرأة من بني حنيفة ـ وكان قد رآها فأعجبته ـ فأجابته إلى ذلك وأذنت في الدخول إليها، فدخل دارها فخاطبها بما أَراد، فلما خرج لقيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أَخيه، فقال له: ما تصنع هاهنا؟ فأخبره بخطبته المرأة، فنهاه عن التعرّض لها، ووضع عليها أرصاداً، فكان أَبو الأسود ربَّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسّوا إليه رجلاً يوبّخه في كل محفل يراه فيه، ففعل، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له: يا أبا الأسود، أَنت رجل شريف، ولك سن وخطر وعِرض، وما أرضى لك أن تلمَّ بفلانة، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةٍ، فإِنَّ أهلها قد أنكروا ذلك وتشكَّوه، فإِمَّا أَن تتزوّجها أَو تُضرب عنها، فقال له أبو الأسود:

لـقـد جـدّ فـي سـلـمـى الـشـكـاة ولـلـذي يـقـولـون ـ لـو يـبـدو لـك الـرشـد أرشـدُ

يـقـولـون لا تـمـذُل[2] بـعـرضـك وٱصـطـنـع مَـعـادك إنّ الـيـوم يـتـبـعـه غـدُ

وإيـاك والـقـوم الـغـضـاب فـإِنـهـم بـكـل طـريـق حـولـهـم تـتـرصَّـدُ

(١) المِكاس: الإنتقاص، الظُّلم.

(٢) مَذَل: سمح.

تـلام وتُـلـحـى كـل يـوم ولا تُـرى عـلـى الـلـوم إلا حـولـهـا تـتـردّدُ
أفادتكـها الـعـيـن الـطـمـوح وقـد تـرى لـك الـعـيـن مـا لا تـسـتـطـيـع لـك الـيـدُ
[الطويل]

وقال أَبو الأسود:

دعـوا آلَ سـلـمـى ظـنَّـتـي وتـعـنُّـتـي ومـا زلّ مـنـي، إن مـا فـات فـائـتُ
ولا تـهـلـكـونـي بـالـمـلامـة إنـمـا نـطـقـت قـلـيـلاً ثـم إنـي لـسـاكـتُ
سـأسـكـت حـتـى تـحـسـبـونـيَ أنـنـي مـن الـجـهـد فـي مَـرضـاتـكـم مـتـماوِتُ
ألـم يـكـفـكـم أَن قـد مـنـعـتـم بـيـوتـكـم كـما منع الغِيل[1] الأسود النواهتُ[2]!
تـصـيـبـون عِـرضـي كـل يـوم كـمـا عـلا نـشـيـطٌ بـفـأسٍ مـعـدن الـبـرم نـاحـتُ[3]
[الطويل]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال:

كان ابن عباس يكرم أَبا الأسود الدؤلي لما كان عاملاً لعليّ بن أَبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه، فلما ولي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لِما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود:

ذكـرتُ ابـنَ عـبـاس بـبـاب ابـنِ عـامـر ومـا مَـرّ مـن عـيـشـي ذكـرتُ ومـا فـضـلْ
أمـيـريـن كـانـا صـاحـبـيَّ كـلاهـمـا فـكـلٌّ جـزاه الـلَّـه عـنـي بـمـا فـعـلْ
فـإِن كـان شـرّاً كـان شـرّاً جـزاؤه وإِن كـان خـيـراً كـان خـيـراً إذا عـدلْ
[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد اللَّه بن شبيب قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي قال حدثنا محمد بن فُليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال: قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب ـ وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته ـ فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه:

أحـبـب إذا أحـبـبـتَ حـبّـاً مُـقـاربـاً فـإِنـك لا تـدري مـتـى أنـت نـازعُ
وأبـغـض إذا أبـغـضـت بـغـضـاً مـقـاربـاً فـإِنـك لا تـدري مـتـى أنـت راجـعُ

(١) الغِيْل: الأجمة أو مأوى الأسد.
(٢) النّواهت: الأسود التي تصدر صوتاً دون الزئير.
(٣) ناحِت: خالص.

وكن معدِنا للحلم واْصفح عن الخنا فـإنـك راءٍ مـا عـمـلـت وسـامـعُ
[الطويل]

وقال المدائني حدثني أَبو بكر الهذلي قال:

كان لأبي الأسود جار من بني حُليس بن يعمر بن نُفاثة بن عدي بن الدليل، من رهطه دنيةً ـ ومنزل أبي الأسود يومئذٍ في بني الديل ـ فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه. فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما اعتذر به إليهم أَن قال: لست أرميه، وإنما يرميه اللَّه لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم في بخله بماله، فقال أبو الأسود: واللَّه ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي. فباع داره واشترى داراً في هذيل، فقيل له: يا أبا الأسود، أبِعت دارك! قال: لم أبع داري، ولكن بعت جاري، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك:

رمـانـيَ جـاري ظـالـمـاً بـرمـيَّـة فـقـلـت لـه مـهـلاً فـأنـكـر مـا أتـى
وقـال الـذي يـرمـيـك ربُّـك جـازيـاً بـذنـبـك، والـحَـوبـات تُـعـقـب مـا تـرى
فـقـلـت لـه لـو أَن ربـي بـرمـيـة رمـانـي لـمـا أخـطـا إِلـهـيَ مـا رمـى
جـزى الـلَّـه شـرّاً كـلّ مـا نـال سـوءة ويـنـحـل فـيـهـا ربَّـه الـشـرَّ والأذى
[الطويل]

وقال فيه أيضاً:

لـحـى الـلَّـه مـولـى الـسَّـوء لا أَنـت راغـب إلـيـه ولا رامٍ بـه مـن تـحـاربُـهْ
ومـا قـرب مـولـى الـسـوء إلا كـبـعـده بـل الـبـعـد خـيـر مـن عـدوٍّ تُـصـاقـبُـهْ(١)
[الطويل]

وقال فيه أَيضاً:

وإنـي لـتـثـنـيـنـي عـن الـشـتـم والـخـنـا وعـن سـبّ ذي الـقـربـى خـلائـق أربـعُ
حـيـاء وإِسـلام ولـطـف وأنـنـي كـريـمٌ ومـثـلـي قـد يـضـرّ ويـنـفـعُ
فـإِن أعـف يـومـاً عـن ذنـوب أتـيـتـهـا فـإِن الـعـصـا كـانـت لـمـثـلـيَ تُـقـرعُ
وشـتـان مـا بـيـنـي وبـيـنـك إِنـنـي عـلـى كـل حـال أسـتـقـيـم وتـظـلـعُ(٢)
[الطويل]

(١) تُصاقِبه: تقاربه وتصادقه.
(٢) تظلع: تغمز في المشي، تعرج.

قصته مع جار له أذاه، وشعره في ذلك:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال:

كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابن عمّ أَبي الأسود دِنيةً، وكان شرساً سيئ الخلق، فأراد سدّ ذلك الباب، فقال له قومه: لا تفعل فتضرَّ بأبي الأسود وهو شيخ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة، فأبى إلا سدَّه، ثم ندِم على ذلك لأنه أضرّ به، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه، فعزم على فتحه، وبلغ ذلك أَبا الأسود فمنعه منه فقال فيه:

صوت

بُليت بصاحبٍ إن أدنُ شِبراً ... يَزِدني في مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدُد له في الوصل ذَرعي ... يزِدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له إلا اتّباعا ... وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو ويَنأى ... فذلك ما استطعتُ وما أَستطاعا

[الوافر]

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أَوّل بالبنصر، وفيه لعريب خفيف رملٍ. ولعلويه لحن غير منسوب. قال: وقال أَبو الأسود أَيضاً في ذلك:

لنا جيرة سدّوا المجازة بيننا ... فإن أذكروا السدَّ فالسدُّ أكيسُ[1]
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط ... تزِلُّ به سُفعُ[2] الخطاطيف أملسُ

[الطويل]

وقال أيضاً في ذلك:

أخطأتَ حين صرمتني ... والمرء يعجز لا محالَهْ
والعبد يُقرع[3] بالعصا ... والحُرّ تكفيه المقالَهْ

[مجزوء الكامل]

---

(١) أكيَس: أجود، أحسن.
(٢) سُفع: سود تضرب إلى الحمرة، واحدتها سفعاء.
(٣) يُقرَع: يزجر ويضرب.

نزل في بني قشير فآذوه فقال فيهم شعراً:

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إِسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزيّ قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال:

كان أَبو الأسود الدؤلي نازلاً في بني قشير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أم عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإِذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمك، إنما رماك اللَّه لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طَوال الدهر لا تنسى عليَّا!
فقلت لهم: وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً عليَّا!
أُحب محمداً حبّاً شديداً ... وعباساً وحمزةَ والوصيَّا
بني عمّ النبي وأقربيه ... أحبَّ الناس كلِّهم إِليَّا
فإِن يك حبهم رُشداً أُصِبه ... ولست بمخطىءٍ إن كان غيَّا
هُمُ أهل النصيحة غيرَ شكّ ... وأهل مودّتي ما دمت حيَّا
هوًى أُعطيته لما ٱستدارت ... رحى الإِسلام لم يُعدَل سويَّا
أُحبهم لحبّ اللَّه حتى ... أَجيء إذا بُعثتُ على هَويَّا
رأيت اللَّه خالق كلّ شيءٍ ... هداهم وٱجتبى منهم نبيَّا
ولم يخصص بها أحداً سواهم ... هنيئاً ما ٱصطفاه لهم مريَّا

[الوافر]

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أَبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبهم رشداً أُصِبه

فقال: أما سمعتم قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]. أفترى اللَّه جلّ وعزّ شكّ في نبيّه! وقد روي أَن معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب.

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أَبو عثمان الأشناندانى عن الأخفش عن أبي عمر الجرمي قال:

دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلاً يا أَبا الأسود، فلو علّقت تميمة تنفي عنك العين! فقال أَبو الأسود:

أفنى الشباب الذي فارقتُ جِدَّته ... كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ
لم يتركا ليَ في طول ٱختلافهما ... شيئاً تُخاف عليه لذعة الحدَق

[البسيط]

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال: قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال:

كان أبو الأسود له على باب داره دكَّان يجلس عليه، مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل، فكان يوضع بين يديه خُوان على قدر الدكان، فإذا مرّ به مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفل، ثم قال له: يا أَبا الأسود، إِن عزمت على الغداء فانزل، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام، فقال له أَبو الأسود: ما اسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك.

قال المدائني: وبلغني أَن رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان، فمدّ يده ليأكل، فشب[1] به فرسه فسقط عنه فوُقص[2].

أَخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أَبي عبيدة قال:

كان أَبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبي الأسود، يهاديه الشعر، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتعاشران ويتزاوران، فولي أبو الجارود وِلاية، فجفا أبا الأسود وقطعه، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها، فقال فيه أبو الأسود:

أبلغ أبا الجارود عني رسالة ... يروح بها الغادي لربعك أَو يغدو
فيخبرنا ما بالُ صرمك بعد ما ... رضيت وما غيَّرتَ من خلق بعدُ
أَأَن نِلت خيراً سرَّني أَن تناله ... تنكَّرت حتى قلت ذو لبدةٍ وَردُ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تُمثِّله لي غير أَنك لا تعدو
لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا ... لقد جعلت أشراط أوّله تبدو

(١) شبَّ الفرس: أسرع.
(٢) وُقِص: كُسِر.

فـإنـي إذا مـا صـاحـبٌ رَثَّ وصـلـه وأعـرض عـنـي قـلّ مـنـي لـه الـوجـدُ
[الطويل]

قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإنَّ فيه غنًى وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني اللَّه عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حتى أغلظ له الحارث بن خليد، فهجره أبو الأسود، ونِدِم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أَن تصلح بينهما، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد[١]، فقال أبو الأسود في ذلك:

لـنـا صـاحـب لا كـلـيـلُ الـلـسـان فـيـصـمـت عـنـا ولا صـارمُ
وشـرُّ الـرجـال عـلـى أهـلـه وأصـحـابـه الـحـمـقُ الـعـارمُ[٢]
[المتقارب]

وقال فيه:

إذا كـان شـيء بـيـنـنـا قـيـل إنـه حـديـدٌ فـخـالـف جـهـلـه وتـرَّفـقِ
شنئتُ[٣] من الأصحاب من لست بارحاً أُداملـه[٤] دملَ الـسـقـاء الـمـخـرَّقِ
[الطويل]

وقال المدائني:

ولَّى عبيد اللَّه بن زياد الحصين بن أبي الحُرّ العنبري مَيسان، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدّى فيه لرفده، فتهاون به ولم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله، فقال فيه:

ألا أبـلـغ عـنّـي حُـصـيـنـاً رسـالـةً فـإنـك قـد قـطَّـعـتَ أُخـرى خِـلالـكـا
فـلـو كـنـت إذ أصـبـحـتَ لـلـخـرج عـامـلاً بـمـيـسـان تُـعـطـي الـنـاس مـن غـيـر مـالـكـا
سـألـتـك أو عـرَّضـتُ بـالـود بـيـنـنـا لـقـد كـان حـقّـاً واجـبـاً بـعـض ذلـكـا
وخـبَّـرنـي مـن كـنـت أرسـلـت إنـمـا أخـذت كـتـابـي مُـعـرضـاً بـشـمـالـكـا

(١) رجلٌ حديدٌ: أي رجل حاد غضوب سليط اللِّسان.
(٢) العارِم: الأشر.
(٣) شَنِئْتُ: كرهت.
(٤) أُداحِلُه: أداريه وألاطفه.

نظرت إلى عنوانه ونبذته ... كنبذك نعلاً أخلقت من نِعالكا
حسبت كتابي إذ أتاك تعرّضاً ... لسيبك، لم يذهب رجائي هنالكا
يصيب وما يدري ويُخطي وما درى ... وكيف يكون النَّوك[1] إلا كذلكا

[الطويل]

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً، فغضب وقال: ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعدنا وتوبيخنا، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه:

أَبلغ حصيناً إذا جئته ... نصيحة ذي الرأي للمجتنيها
فلا تك مثل التي ٱستخرجت ... بأظلافها مُديةً أو بفيها
فقام إليها بها ذابح ... ومن تَدعُ يوماً شعوب يجيها
فظلت بأوصالها قدرُها ... تحشّ[2] الوليدة أو تشتويها
وإن تأبَ نصحي ولا تنتهي ... ولم تر قولي بنصحٍ شبيْها
أُجَرِّعك صاباً وكان المُرا ... ر[3] والصاب قِدماً شراباً كريها

[المتقارب]

وقال خالد بن كلثوم:

كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودّة، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل، ثم يعاود ذلك، فقال فيه أبو الأسود:

ولي صاحب قد رابني أو ظلمته ... كذلك ما الخصمان بَرٌّ وفاجرُ
وإني امرؤ عندي وعمداً أقوله ... لآتيَ ما يأتي امرؤ وهو خابرُ
لسانان معسولٌ عليه حلاوة ... وآخر مسموم عليه الشراشرُ[4]
فقلت ولم أبخل عليه نصيحتي ... وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجرُ
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب ... عواقب قول تعتريه المعاذرُ
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل ... له في اعتراض القول إنك شاعرُ
عطفت عليه عطفة فتركته ... لِما كان يرضى قبلها وهو حاقرُ[5]

(١) النَّوْك: الحمق والغباوة.
(٢) تَحُشُّ: توقد.
(٣) المُرَار: الشراب الشديد المرارة.
(٤) الشراشِر: شرشر السكين أحدَّها وشحَّذها.
(٥) حاقِر: الصغير، الحقير.

بـقـافـيـة حـدَّاء[١] سـهـلٍ رويُّـهـا ولـلـقـول أبـوابٌ تُـرى ومـحـاضـرُ
تـعـزَّى بـهـا مـن نـومـه وهـو نـاعـس[٢] ـ إذ ٱنتصف الليل ـ المكلُّ[٣] المسافرُ
إذا مـا قـضـاهـا عـاد فـيـهـا كـأنـه لـلـذتـه سـكـران أو مـتـسـاكـرُ

[الطويل]

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال:

كان عبد اللَّه بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود:

ألـم تـر مـا بـيـنـي وبـيـن ابـن عـامـر مـن الـودّ قـد بـالـت عـلـيـه الـثـعـالـبُ
وأصـبـح بـاقـي الـودّ بـيـنـي وبـيـنـه كـأن لـم يـكـن، والـدهـر فـيـه عـجـائـبُ
إذا الـمـرء لـم يـحـبـبـك إلا تـكـرُّهـاً بـدا لـك مـن أخـلاقـه مـا يـغـالـبُ
فـلـلـنـأي خـيـر مـن مـقـامٍ عـلـى أذى ولا خـيـر فـيـمـا يـسـتـقـل الـمـعـاتـبُ

[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبيد اللَّه بن محمد قال حدثنا ابن النطاح قال ذكر الحِرمازي عن رجل من بني الديل قال:

كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس، فأسنّ وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما، فكانت موافقة له صابرة عليه، وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها:

أبـى الـقـلـب إلا أم عـوف وحـبـهـا عـجـوزاً ومـن يـحـبـب عـجـوزاً يـفـنَّـدِ
كـسـحـق[٤] يـمـانٍ قـد تـقـادم عـهـده ورُقـعـتـه مـا شـئـت فـي الـعـيـن والـيـدِ

[الطويل]

وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعميّ ـ وكانت أشبههما وأجملهما ـ فالتوت عليه لما أسنّ، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الأسود:

تـعـاتـبـنـي عِـرسـي عـلـى أن أطـيـعـهـا لـقـد كـذبـتـهـا نـفـسـهـا مـا تـمـنَّـتِ
وظـنـنـت بـأنـي كـلُّ مـا رضـيـت بـه رضـيـتُ بـه، يـا جـهـلـهـا كـيـف ظـنـتِ!

---

(١) حدَّاء: حادَّة.
(٢) ناعِس: أصابه النعاس.
(٣) المُكِلّ: المتعَب، المجهَد.
(٤) السحق: الثوب البالي المخرَّق.

وصاحبتها ما لو صحبتُ بمثله ... على ذعرها أُروية لاطمأنتِ
وقد غرَّها مني على الشيب والبلى ... جنوني بها، جُنَّت حِيالي وحُنَّتِ
[الطويل]

ـ يقال: جُنّ وحُنّ، وهو من الأتباع كما يقال: حسنٌ بسن ـ:

ولا ذنب لي قد قلت في بدء أمرنا ... ولو علمت ما عُلِّمت ما تعنَّتِ[1]
تشكَّى إلى جاراتها وبناتها ... إذا لم تجد ذنباً علينا تجنّتِ
ألم تعلمي أني إذا خِفت جفوة ... بمنزلةٍ أبعدتُ منها مطيتي[2]
وأني إذا شقَّت عليَّ حليلتي ... دَهلتُ ولم أحنن إذا هي حنَّتِ
[الطويل]

فيها يقول:

أفاطم مهلاً بعض هذا التعبس ... وإِن كان منك الجِدّ فالصَّرم مُوئسي
تشتَّمُ لي لما رأتني أحبها ... كذي نعمة لم يُبدها غير أبؤس
فإِن تنقضي العهد الذي كان بيننا ... وتُلوي به في ودّك المتحلِّس[3]
فإِني ـ فلا يغرُرك مني تجملي ـ ... لأسلى البعاد بالبعاد المكنِّس
وأعلم أَن الأرض فيها منادح[4] ... لمن كان لم تسدَد عليه بمحبسِ
وكنت امرأً لا صحبة السوء أَرتجي ... ولا أَنا نوَّام بغير معرَّس[5]
[الطويل]

وقال المدائني:

كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أَبا الصبَّاح، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع، فركب فنظر إليها فأعجبته، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود، فقال في ذلك:

(١) تعنَّت: تعبت وأوقعت في العناء.
(٢) مطيتي: ما يمتطى.
(٣) المُتحلِّس: المقيم بالمكان لا يبرحه.
(٤) المنادح: السِعَات واحدتها مندوحة.
(٥) المُعَرَّس: مكان التعريس.

إذا كـنـت تـبـغـي لـلأمـانـة حـامـلاً فـدع نـافـعـاً وٱنـظـر لـهـا مـن يـطـيـقـهـا
فـإن الـفـتـى خَـبٌّ كـذوب وإنـه لـه نـفـس سَـوء يـجـتـويـهـا صـديـقـهـا
مـتـى يـخـلُ يـومـاً وحـده بـأمـانـة تُـغَـل جـمـيـعـاً أَو يُـغَـل فـريـقـهـا
عـلـى أنـه أبـقـى الـرجـال سـمـانـة كـمـا كـلُّ مـسـمـان الـكـلاب سَـروقـهـا

[الطويل]

خطبته في موت علي بن أبي طالب:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

أَتى أَبا الأسود الدؤلي نعيُ أمير المؤمنين علي بن أَبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم عليّاً عليه السلام فقال في خطبته:

«وإن رجلاً من أعداء اللَّه المارقة[1] عن دينه، أَغتال أمير المؤمنين عليّاً كرم اللَّه وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فيا للَّه هو من قتيل! وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى اللَّه تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان! لقد أطفأ منه نور اللَّه في أرضه لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أَركان اللَّه تعالى لا يشاد مثله؛ فإنَّا للَّه وإنا إليه راجعون، وعند اللَّه نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة اللَّه يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً».

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال:

«وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول اللَّه ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أَن يجبر اللَّه عز وجل به ما وَهَى، ويسدّ به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا».

فبايعت الشيعة كلها، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية، فكتب إليه معاوية ودس إليه رسولاً يُعلمه أن

(١) المارِقة: الخارجة، المفارقة للدين.

الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة، ويعده ويمنّيه؛ فقال أَبو الأسود:

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ من ركب المطايا وخيَّسها[1] ومَن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حَذاها ومن قرأ المثاني والمئينا
إذا ٱستقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت بأنك خيرها حسباً ودينا

[الوافر]

أَخبرني أَبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي عن الهيثم بن عدي عن أَبي عبيدة قال:

كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها، فعاتبه أَبوه على ذلك، فقال أَبو حرب: إن كان لي رزق فسيأتيني، فقال له:

وما طلب المعيشة بالتَّمنِّي ولكن أَلق دلوك في الدّلاءِ
تجئك بملئها يوماً ويوماً تجئك بحمأة[2] وقليل ماءِ

[الوافر]

شعره في ابن مولاته لطيفة:

وقال المدائني:

كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلمّ فابتاعت له أمة وأنكحته إِياها، فجاءت بغلام فسمته زيداً، فكانت تؤثره على كل أحد، وتجد به وجد الأم بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أَبو الأسود، وقد مرضت لطيفة:

(١) خيَّسَها: ذلَّلها وأحسن تسويتها.
(٢) الحَمأة: الطين الأسود المنتن الرائحة.

وزيـد هـالـكٌ هُـلـك الـحـبـارَى إذا هـلـكـت لـطـيـفـة أَو مُـلـمُّ
تـبـنـتـه فـقـال وأنـت أمـي فـأنّـى بـعـدهـا لـك زيـد أمُّ!
تَـرُمُّ مـتـاعـه وتـزيـد فـيـه وصـاحـبـهـا لـمـا يـحـوي مِـضَـمُّ
سـتـلـقـى بـعـدهـا شـرّاً وضـرّاً وتـقـصـى إِن قـرُبـت فـلا تُـضـمُّ
وتـلـقـاك الـمـلامـة كـلَّ وجـه سـلـكـت ويـنـتـحـي حـالـيـك ذمُّ

[الوافر]

قال: فماتت لطيفة من علتها تلك، وورثها أَبو الأسود، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده.

وقال المدائني أيضاً:

اشترى أَبو الأسود أمة للخدمة، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أَبو الأسود فقال لها: اشتريتك للعمل والخدمة، ولم أشترِك للنكاح، فأقبلي على خدمتك، وقال فيها:

أصـلاح إنـي لا أريـدك لـلـصـبـا فـدعـي الـتـشـمـل[1] حـولـنـا وتـبـذَّلـي[2]
إِنـي أريـدك لـلـعـجـيـن ولـلـرّحـا ولـحـمـل قـربـتـنـا وغَـلـيِ الـمِـرجـلِ
وإذا تـروَّح ضـيـف أهـلـك أَو غـدا فـخـذي لآخـر أهـبـة الـمـسـتـقـبـلِ

[الكامل]

أَخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعي قال حدثنا أَبو عُشانة عن ابن عباس قال:

كان المنذر بن الجارود العبدي صديقاً لأبي الأسود الدؤلي تعجبه مجالسته وحديثه، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه؛ وكانت لأبي الأسود مقطَّعة[3] من برود يكثر لبسها، فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة، فقال له أَبو الأسود: رب مملول لا يستطاع فراقه؛ فعلم المنذر أَنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً، فقال أبو الأسود يمدحه:

(١) التَّشَمُّل: الاشتمال، أو ارتداء الشملة وهي كساء يلتحف به.
(٢) التبذُّل: لبس ثوب العمل والخدمة.
(٣) مُقطَّعة: الجبّة من الخزّ.

كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصرُ
وإن أحق الناس إن كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرض وافرُ
[الطويل]

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد اللَّه عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه، وفي هذه الأبيات غناء:

صوت

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع ـ إذا مضت ـ إدراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته وٱحْبُ الكرامة من بَدا فحباكها
لا تبدينَّ نميمة حُدِّثتها وتحفَّظنّ من الذي أنباكها
[الكامل]

أَخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أَبو محمد المروزي عن القحذمي عن بعض الرواة أَن أَبا الأسود الدؤلي ٱعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول:

إنني مجرم وأنت أحق النـ ـاس أن تقبل الغداة ٱعتذاري
فاعف عني فقد سُفهت وأنت الـ ـمرء تعفو عن الهنات الكبارِ
[الخفيف]

فتبسم زياد وقال: أَما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك.

أَخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال:

سئل أبو الأسود عن رجل، وٱستشير في أن يولّى ولاية، فقال أَبو الأسود: هو ما علمته: أهيسُ(١) أليسُ(٢)، ألدُّ(٣) مِلحس(٤)، أن أعطى انتهر(٥)، وإن سئل أَزَرْ(٦). قال الأصمعي: الأهيس: الحاد، ويقال في المثل:

إِحدى لياليك فهيسي هيسي

(١) الأهيس: الشجاع.
(٢) الألْيَس: البعير الذي يحمل ما حُمِّل.
(٣) الألدُّ: المجادل الشديد الخصومة.
(٤) المُحلِس: الحريص.
(٥) انتهرَ: زجر.
(٦) أَزَرَ: زمزَمَ يده من شدَّة البخل.

قال: ويقال ناقة ليساء: إذا كانت لا تبرح من المبرك. قال: وهو مما يوصف به الشجاع، وأنشد في صفة ثور:

أَلـيـس عـن حَـوبـائـه[1] سـخـي

أَخبرني أَحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أَبو محلِّم عن مؤرِّج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد اللَّه بن مسلم بن يسار قال ـ وكان من أفصح أهل زمانه ـ قال:

أوصى أَبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد اللَّه بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً، فقال أَبو الأسود:

لـعـمـري لـقـد أوصـيـتُ أَمـس بـحـاجـتـي فـتـى غـيـر ذي قـصـدٍ عـلـيّ ولا رؤوفْ
ولا عـارفٍ مـا كـان بـيـنـي وبـيـنـه ومـن خـيـر مـا أدلـى بـه الـمـرء مـا عُـرِفْ
ومـا كـان مـا أمَّـلـتُ مـنـه فـفـاتـنـي بـأول خـيـرٍ مـن أخـي ثـقـةٍ صُـرِفْ

[الطويل]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أَبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال:

كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً، وكان صديقاً لأبي الأسود الدؤلي، فكان يهاديه الشعر، ثم تغير ما بينهما، فقال فيه أَبو الأسود:

أبـلـغ أَبـا الـجـارود عـنـي رسـالـة يـروح بـهـا الـمـاشـي لـيـلـقـاك أو يـغـدو
فـيـخـبـرنـا مـا بـال صـرمـك[2] بـعـد مـا رضـيـت ومـا غـيّـرت مـن خُـلُـق بـعـدُ
أَأَن نـلـت خـيـراً سـرنـي حـيـن نـلـتـه تـنـكـرت حـتـى قـلـت ذو لـبـدة وَردُ؟
فـعـيـنـاك عـيـنـاه وصـوتـك صـوتـه تُـمـثـلـه لـي غـيـر أنـك لا تـعـدو
فـإِن كـنـت قـد أزمـعـت بـالـصـرم بـيـنـنـا وقـد جـعـلـت أسـبـاب أوّلـه تـبـدو
فـإِنـي إذا مـا صـاحـب رثَّ وصـلـه وأعـرض عـنـي قـلـت بـالأبـعـد الـفـقـدُ

[الطويل]

(١) الحوباء: النفس.
(٢) الصرم: الهجر.

وفاته:

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. قال المدائني: وقد قيل إنه مات قبل ذلك؛ وهو أشبه القولين بالصواب، لأنا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار بذكر، وذكر مثل هذا القول بعينه. والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولاً، عن يحيى بن معين. أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني ويحيى بن معين:

صوت

لعمرك أيها الرجل ... لأي الشكل تنتقلُ
أتهجر آل زينب أم ... تزورهم فتعتدلُ؟
هُمُ ركبٌ لقوا ركباً ... كما قد تُجمع السُّبلُ
فذلك دأبنا وبذا ... ك تجري بيننا الرسلُ

[مجزوء الوافر]

الشعر لأبي نفيس بن يَعلى بن مُنية، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر.

أخبار أبي نفيس ونسبه

اسمه حُيَيّ بن يحيى بن يَعلى بن مُنية، وقيل بل اسم أبي نفيس يحيى بن ثعلبة بن منية، ومنية أمّه، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد. قال الزبير: وكان عمي يقول: اسمه ميمون بن يعلى؛ وأمه منية بنت غزوان أخت عُتبة بن غزوان، وأبوه أمية بن عبدة بن همام بن جشم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخطّ أبي محلِّم النسابة. قال: ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدويَّة؛ وهي فُكَيهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصُدَيّاً ويربوعاً، فهم يُدعون بني العدوية.

وكان يعلى بن مُنية حليفاً لبني أميَّة وعديداً[1] لهم، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة، وقد أدرك النبيّ ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً، وعمِّر بعده؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين علي بن أَبي طالب عليه السلام.

أَخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أَبي مِخنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال: قال علي بن أَبي طالب رضي اللَّه عنه: مُنيت ـ أو بليت ـ بأطوع الناس في الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالاً يَعلى بن منية، وبأجود قريش عبد اللَّه بن عامر؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال: واللَّه يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزبير، وأدهى من طلحة، وأطوع فينا من عائشة، وأجود من ابن عامر، ولمال اللَّه أكثر من مال يعلى بن منية، وليكونن كما قال اللَّه جل وعز: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. فسر علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه بقوله ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال:

أما الزبير فأكفيكه وطلحة يكفيكه وحَوحَهْ[2]

(١) العديد: المعدود من الأهل وليس منهم. (٢) وحوَحة: اسم رجل.

ويعلى بن منية عند القتال شديد التثاؤب والنحنحَهْ[١]
وعائش يكفيكها واعظ وعائش في الناس مستنصحَهْ
فلا تجزعن فإن الأمور إذا ما أتيناك مستنجحَهْ
وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإنفحَهْ[٢]
[المتقارب]

قال: فسرّ عليّ عليه السلام بقوله، ودعا له وقال: بارك اللَّه فيك. قال: فأما الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم، وأما طلحة فناشده وحوحة، وكان صديقه وكان من القرّاء، فذهب لينصرف، فرماه رجل من عسكرهم فقتله.

فأما ما رواه عن النبي ﷺ فكثير، ولكني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره.

أَخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أَبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أَنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر: «**ونادَوا يا مالك ليقض علينا ربُّك**». وقد روى يعلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً أقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه.

أَخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال: أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوَّام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أَربعين أَلف دينار، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أَباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إياها.

قال: ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة، فاتفقا على أَن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً، وقال شاعرهم في ذلك:

تبارى الغلامان إذ صلَّيا وشحَّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بذي الجزع مولاهما
فأمّهما اليوم غرَّتهما ويعلى بن منية دلَّاهما
[المتقارب]

(١) النحنحة: تردّد الصوت في الجوف.
(٢) الإنفحة: ما يستخرج من بطن الجدي فيعصر ثم يُنتظر حتى يجف فيغلظ كالجبن.

رثى يعلى زوجته حين توفيت بتهامة:

أَخبرني الحرمي بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن جده عبد الحميد قال:

كان يعلى بن منية ـ ويكنى أَبا نفيس، وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة ـ تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب، ولهم حِلف في بني غِفارٍ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن:

نحن بنات طارقِ نمشي على النمارق[١]

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها:

يا ربِّ ربَّ الناس لما نَحَّبُوا وحين أَفضَوْا من منًى وحصبُوا[٢]
لا يُسقيَنَّ ملحٌ[٣] وعُلَيبُ[٤] والمستراد[٥] لا سقاه الكوكبُ[٦]
من أَجل حُمَّاهن ماتت زينبُ

[الرجز]

قال الزبير: وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية، قال: واسمه ميمون، وكان عمي يقول: اسم أَبي نفيس ميمون بن يعلى، وقال في الأبيات:

لا يسقين عُنببٌ[٧] وعُلَيبُ

أَخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن جدّه غسَّان بن عبد الحميد قال:

رأَت عائشة زوج النبي ﷺ بنات طارق اللواتي يقلن:

نحن بنات طارقِ نمشي على النمارقِ

---

(١) النّمارِق: مفردها نمرق وهو البساط.
(٢) حصبوا: رموا الجِمار.
(٣) ملح: موضع من ديار بني جعدة باليمامة.
(٤) عُليب: موضع.
(٥) المُستراد: موضع في سواد العراق من منازل إياد.
(٦) الكوكب: الماء.
(٧) عُنبب: وادٍ باليمن.

فقالت: أَخطأ من يقول: الخيل أَحسن من النساء.

قال: وقالت هند بنت عُتبة لمشركي قريش يوم أُحُد:

نحن بنات طارقِ نمشي على النمارقِ
ألدُّرُّ في المخانقِ[1] والمسك في المفارقِ
إن تُقبِلوا نُعانق أَو تُدبروا نفارقِ
فِراقَ غيرِ وامقِ[2]

[الرجز]

أَخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيري قال:

جلست ليلة وراء الضحَّاك بن عثمان الخزامي في مسجد رسول اللَّه ﷺ وأَنا متقنع، فذكر الضحَّاك وأصحابه قول هند يوم أَحد:

نحن بنات طارقِ

فقال: وما طارق؟ فقلت: النجم. فالتفت الضحاك فقال: أَبا زكريا، وكيف بذاك؟ فقلت: قال اللَّه عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣]. فقالت: إنما نحن بنات النجم، فقال: أَحسنت.

صوت

خليليَّ قوما في عطالة فانظرا أَناراً أَرى من نحو يبرين أَم برقَا
فإِن يك برقا فهو في مُشمَخرَّةٍ[3] تغادر ماءً لا قليلاً ولا طرقَا
وإن تك ناراً فهي نار بملتقًى من الريح تسفيها[4] وتصفقها صفقَا[5]

[الطويل]

ـ ويروى: «تزهاها[6] وتعفقها[7] عفقا»ـ:

(١) المخانق: واحدتها مخنقة وهو موضع القِلادة.
(٢) الوامق: المُحبِّ.
(٣) مُشمَخرَّة: عالية.
(٤) تسفيها: تذرّها أو تحملها.
(٥) تصفقها: تضربها وتحركها فتصدر صوتاً يشبه الصفيق.
(٦) تزهاها: تهزها.
(٧) تعفقها: تضربها.

لأمّ عـلـيٍّ أَوقـدتـهـا طـمـاعـةً لأوبـة سَـفـر أَن تـكـون لـهـم وفـقَـا
[الطويل]

الشعر لسويد بن كراع، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أَول بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر غيره أَنه لابن مسجح.

أخبار سويد بن كراع ونسبه

سُويد بن كراع العكلي، أَحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل. شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية. وكان في آخر أَيام جرير والفرزدق.

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أَخبرنا عنه أَبو خليفة قال:

كان سويد بن كراع شاعراً مُحكماً، وكان رجل بني عُكل وذا الرأي والتقدّم فيهم، وعُكل وضبَّة وعديّ وتَيم هم الربّاب.

قال: وكان بعض بني عدي ضرب رجلاً من بني ضبَّة، ثم من بني السيِّد، وهم قوم نُكدٌ[١] شُرس[٢]، وهم أَخوال الفرزدق؛ فاجتمعوا حتى ألمَّ أَن يكون بينهم شرّ، فجاء رجل من بني عدي فأعطى يده رهينة لينظروا ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيفان) حليف بني عبد اللَّه بن دارم:

أَسالمُ إِني لا إِخالك سالماً ... أَتيتَ بني السِّيد الغواة الأشائما[٣]
أَسالم إن أفلتَّ من شرّ هذه ... فوائل[٤] فِراراً إنما كنت حالما
أسالم ما أعطي ابنُ مامة مثلها ... ولا حاتمٌ فيما بلا الناس حاتما

[الطويل]

قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة:

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك:

أَشاعرَ عبد اللَّه إِن كنتَ لائماً ... فإِني لما تأتي من الأمر لائمُ

(١) نُكْدٌ: واحدها أنكد وهو الرجل العسر الشديد الشَّر.
(٢) شُرس: مفردها شرس وهو الغليظ.
(٣) الأشائم: الذين يأخذون بشمالهم.
(٤) الوائل: طالب النجاة.

تـحـضِّـض أفـنـاءُ الـرّبـاب سـفـاهـةً وعـرضـك مـوفـور ولـيـلـك نـائـمُ
وهـل عـجـبٌ أن تـدرك الـسّـيـد وِتـرهـا وتـصـبـر لـلـحـق الـسَّـراة الأكـارمُ!
رأيـتـك لـم تـمـنـع طُـهَـيَّـة حـكـمـهـا وأعـطـيـت يـربـوعـاً وأنـفـك راغـمُ
وأنـت امـرؤ لا تـقـبـل الـنـصـح طـائـعـاً ولـكـن مـتـى تُـقـهـر فـإنـك رائـمُ[1]

[الطويل]

ووجدت هذا الخبر في رواية أَبي عمرو الشيباني أتمّ منه هاهنا وأوضح فذكرته، قال:

كان بين بني السيد بن مالك، من ضبة، وبين بني عدي بن عبد مناة ترام على خبراء بالصَّمان يقال لها ذات الزجاج، فرُمي عمرو بن حشفة أَخو بني شُيَم فمات، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يقال له مُدلج بن صَخر العدويّ فمكث أَياماً لم يمت، فمرّ رجل من بني عدي يقال له معلِّل على بني السيد وهو لا يعلم الخبر، فأخذوه فشدّوه وثاقاً فأفلت منهم، ومشى بينهم عصمة بن أُبَير التيمي سفيراً، فقال لسالم بن فلان العدويّ: لو رهنتهم نفسك فإن مات مدلج كان رجل برجلٍ، وإِن لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم على أَن يكون عند أخثم بن حِميري أَخي بني شُيَم من بني السيد، فكان عنده، ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدلج أَتوا أخثم لينتزعوا منه سالماً ويقتلوه، فقوَّض عليه أَخثم بيته ثم قال: يا آل أُمي ـ وكانت أمّه من بني عبد مناة بن بكر ـ فمنعه عبد مناة. ثم إن بني السيد قالوا لأخثم: إلى كم تمنع هذا الرجل! أما الدية فواللَّه لا نقبلها أَبداً. فجعل لهم أَجلاً إِن لم يمت مدلج فيه دفع إليهم سالماً فقتلوه به. فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج، فقتلوا سالماً، فقال في ذلك خالد بن علقمة أَخو بني عبد اللَّه بن دارم، وهو ابن الطَّيفان:

أَسـالـمُ مـا مـنَّـتـك نـفـسـك بـعـدمـا أَتـيـت بـنـي الـسـيـد الـغـواة الأشـائـمـا؟
أسـالـم قـد مـنـتـك نـفـسـك إنـمـا تـكـون دِيـاتٌ ثـم تـرجـع سـالـمـا
كـذبـتَ ولـكـن ثـائـر مـتـبـسِّـل[2] يُـلَـقِّـيـك مـصـقـولَ الـحـديـدة صـارمـا
أَسـالـم مـا أَعـطـى ابـن مـامـة مـثـلـهـا ولا حـاتـمٌ فـيـمـا بـلا الـنـاس حـاتـمـا

(١) الرائِم: المحب الحنون.
(٢) مُتبسِّل: العابس غضباً.

أســالــم إن أفــلــتَّ مــن شــرّ هــذه ... فــوائــل فــراراً إنــمــا كــنــت حــالــمــا
وقــد أســلــمــتْ تــيــمٌ عــديّــاً فــأربــعــت ... ودلَّــت لأســبــاب الــمــنــيَّــة ســالــمــا
[الطويل]

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلَّام، وزاد فيها أَبو عمرو:

دعــوتــم إلــى أَمــر الــنَّــواكــة[1] دارمــا ... فــقــد تــركــتــكــم والــنــواكــة دارمُ
وكــنــت كــذات الــبــوِّ[2] شُــرّمــت[3] أَســتــهــا ... فــطــابــقــت لــمــا خــرّمــتــك الــغــمــائــمُ[4]
فــلــو كــنــت مــولــى مــسلــت مــا تــجــلــلــت ... بــه ضــبــع فــي مــلــتــقــى الــقــوم واحــمُ[5]
ولــم يــدرك الــمــقــتــول إلا مــجــرَّه ... ومــا أَســأَرت مــنــه الــنــسور الــقــشــاعــمُ[6]
عــلــيــك ابــنَ عــوف لا تــدعــه فــإِنــمــا ... كــفــاك مــوالــيــنــا الــذي جــرّ ســالــمُ
أتــذكــر أقــوامــاً كــفــوك شــؤونــهــم ... وشــأنــك إلا تــركــه مــتــفــاقــمُ
[الطويل]

قال: وقال سويد بن كراع في ذلك:

أرى آل يــربــوعٍ وأَفــنــاء مــالــكٍ ... أعــضُّــوك فــي الــحــرب الــحــديــد الــمــنــقَّــبــا[7]
هــمُ رفــعــوا فــأسَ الــلــجــام فــأدركــت ... لــهــاتــك[8] حــتــى لــم تــدع لــك مَــشــربــا
فــإِن عُــدت عــادوا بــالــتــي لــيــس فــوقــهــا ... مــن الــشــرّ إلا أَن تــبــيــتَ مــحــجَّــبــا
وتــصــبــح تُــدرى الــكُــعــكُــبــيَّــة قــاعــداً ... ويُــنــتــف مــن لــيــتــيــك مــا كــان أزغــبــا[9]
[الطويل]

ـ تدرى: تمشط بالمِدرى كما يفعل بالنساء، والكعكبية: مشطة معروفة ـ:

فــهــل ســألــوا فــيــنــا ســَواءَ الــذي لــهــم ... وهــل نــحــن أَعــطــيــنــا ســِواه فــتــعــجــبــا
[الطويل]

---

(١) النَّواكة: الحمق والغباوة.
(٢) البوّ: جلد الحوار يحشى تبناً أو غيره فيقرّب إلى الناقة فتعطف عليه ويدرّ لبنها.
(٣) شرَّمت: شقّقت.
(٤) الغمائِم: واحدتها غمامة وهي خرقة يسدّ بها أنف الناقة حتى لا تشم.
(٥) الوا حِم: المشتهية للضراب.
(٦) القشاع: المسنَّة.
(٧) المنقَّب: المثقوب.
(٨) اللّهاة: اللحمة المشرفة على الحلق.
(٩) الأزغب: القصير الشعر.

ويروى:

فـهـل سـألـونـا خـصـلـة غـيـر حـقـهـم

وهو أَجود:

قال: فاستعدتْ بنو عبد اللَّه سعيد بن عثمان بن عفَّان على سويد بن كراع في هجائه إياهم، فطلبه ليضربه ويحبسه، فهرب منه، ولم يزل متوارياً حتى كلِّم فيه، فأمّنه على ألَّا يعاود، فقال سويد بن كراع:

تـقـول ابـنـة الـعـوفـيّ لـيـلـى ألَّا تـرى ... إلـى ابـن كـراعٍ لا يـزال مـفـزَّعـا
مـخـافـة هـذيـن الأمـيـريـن سـهَّـدت[1] ... رُقـادي[2] وغـشَّـتـنـي بـيـاضـاً تـفـرَّعـا
عـلـى غـيـر جـرم غـيـر أن جـار ظـالـمٌ ... عـلـيّ فـجـهـزتُ الـقـصـيـد الـمـفـرّعـا
وقـد هـابـنـي الأقـوام لـمَّـا رمـيـتـهـم ... بـفـاقـرةٍ[3] إن هـمّ أَن يـتـشـجـعـا
أبـيـتُ بـأبـواب الـقـوافـي كـأنـمـا ... أُصـادي[4] بـهـا سـربـاً مـن الـوحـش نُـزَّعـا
أُكـالـئـهـا[5] حـتـى أعـرّس بـعـدمـا ... يـكـون سُـحَـيـرٌ أَو بُـعَـيـدُ فـأهـجـعـا
فـجـشَّـمـنـي خـوفُ ابـن عـثـمـان ردَّهـا ... ورِعـيـتـهـم صـيـفـاً جـديـداً ومـربـعـا
نـهـانـي ابـن عـثـمـان الإمـام وقـد مـضـت ... نـوافـذ لـو تـردي الـصـفـا لـتـصـدعـا[6]
عـوارق مـا يـتـركـن لـحـمـاً بـعـظـمـه ... ولا عـظـم لـحـم دون أَن يـتـمـزَّعـا[7]
أحـقّـاً هـداك الـلَّـه أَن جـار ظـالـم ... فـأنـكـر مـظـلـوم بـأن يـؤخـذا مـعـا
وأَنـت ابـن حُـكَّـام أقـامـوا وقـوَّمـوا ... قُـرونـاً وأَعـطَـوا نـائـلاً[8] غـيـر أقـطـعـا[9]

[الطويل]

أَخبرني محمد بن مزيد بن أَبي الأزهر قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن الهيثم بن عديّ عن حمَّاد الراوية قال:

---

(١) سهَّدت: أرَّقت.
(٢) الرُّقاد: النوم.
(٣) الفاقِرة: الداهية أو المصيبة التي تكسر الفِقار.
(٤) أُصادي: أداري وألاطف.
(٥) أُكالئها: أراقبها وأراعيها.
(٦) تصدَّع: تشقَّق.
(٧) يتمزَّع: يتقطع.
(٨) النائل: الجواد المعطاء.
(٩) الأقطع: المقطوع اليدّ، كناية عن البخل وقلة الخير.

إنتجع سويد بن كراع بقومه أَرض بني تميم، فجاور بني قُرَيح بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لَأي بن أنف الناقة بن قُرَيع وأرعاه، ووصله وكساه. فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا، ثم ودَّعهم وأتى بغيضاً وهم في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله:

قال حمَّاد: ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً، وهي لسويد بن كراع:

إرتعتُ للزَّور إذ حيَّا وأَرَّقني ... ولم يكن دانياً منَّا ولا صددا[1]
ودونه سبسبٌ[2] تُنضى[3] المطيُّ به ... حتى ترى العنسَ[4] تُلقي رحلها الأجدا[5]
إذا ذكرتك فاضت عبرتي دراً ... وكاد مكتوم قلبي يصدع الكبدا
وذاك منّي هوًى قد كان أَضمره ... قلبي فما ٱزداد من نقص ولا نفدا
وقد أرانا وحال الناس صالحةٌ ... نحتلُّ مربوعةً أُدمان أَو بَرَدى
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذي كنا به أَبدا
أيام أعلم كم أعملتُ نحوكم ... من عرمسٍ[6] عاقدٍ لم ترأَم[7] الولدا
تصيخ عند السرى في البيد[8] ساميةً ... سطعاء تنهض في ميتائها[9] صُعُدا
كأن رَحلي على حُمشٍ[10] قوائمه ... برمل عِرنان أمسي طاوياً[11] وحَدا
هاجت عليه من الجوزاء[12] ساريةٌ ... وطَفاء[13] تحمل جوناً[14] مُردفاً نضدا[15]
فألجأته إلى أَرطاة[16] عانكةٍ[17] ... فَيحاءَ ينهال منها تُربُ ما التبدا

(١) الصدد: القصد.
(٢) السبسب: الصحراء الواسعة.
(٣) تنقض: تهزل.
(٤) العنس: الناقة الشديدة الصلبة.
(٥) الأجدّ: الموثق الخلقة.
(٦) العِرمِس: الناقة الصلبة.
(٧) ترأم: تعطف وتحنّ.
(٨) البيد: الفلوات واحدتها بيداء.
(٩) الميتاء: الطريق المؤتى.
(١٠) حُمش القوائم: دقاق القوائم.
(١١) الطاوي: الضامر، الهزيل.
(١٢) الجوزاء: برج في السماء.
(١٣) الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرَة مائها.
(١٤) الجَون: السواد والبياض.
(١٥) النّضد: السحاب المتراكم المتراصّ.
(١٦) أرطاة: ضرب من الشجر، جمعها أرطى.
(١٧) العانِكة: الرملة المتعقّدة المرتفعة التي لم يكن فيها طريق.

تـخـال عِـطـفـيـه مـن جَـول الـرَّذاذ بـه ... مـنـظَّـمـاً بـيـديْ دارِيَّـةٍ فَـرَدا
حـتـى إذا مـا ٱنـجـلـت عـنـه دُجُـنَّـتـه ... وكـشَّـف الـصـبـح عـنـه الـلـيـل فـاطَّـردا
غـدا كـذي الـتـاج حـلَّـتـه أسـاورةٌ ... كأنما ٱجتاب[1] في حرّ الضحى سندا[2]

[البسيط]

وهي طويلة ٱختصرتها، يقول فيها:

لا يُـبـعـد الـلَّـه إذ ودَّعـت أَرضـهـم ... أخـي بـغـيـضـاً ولـكـن غـيـرُه بَـعُـدا[3]
لا يبعد اللَّه من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدى[4] وما صلدا[5]
ومـن تُـلاقـيـه بـالـمـعـروف مـعـتـرفـاً ... إذا ٱجرهَـدَّ[6] صـفـا الـمـذمـوم أَو صـلـدا
لاقـيـتـه مُـفـضـلاً تـنـدى أنـامـلـه ... إن يُـعـطـك الـيـوم لا يـمـنـعـك ذاك غـدا
تـجـيء عـفـواً إذا جـاءت عـطـيَّـتـه ... ولا تـخـالـط تَـرنـيـقـاً[7] ولا زهـدا
أَولاه بـالـمـفـخـر الأعـلـى وأعـظـمـه ... خُـلـقـاً وأَوسـعـه خـيـراً ومـنـتـفـدا
إذا تـكـلَّـف أقـوامٌ صـنـائـعـه ... لاقَوا ـ ولم يظلموا ـ من دونها صعدا[8]
بـحـرٌ إذا نـكـس الأقـوامُ[9] أو ضـجـروا ... لاقـيـتَ خـيـر يـديـه دائـمـاً رغـدا[10]
لا يحسب المدح خدعاً حين تمدحه ... ولا يـرى الـبـخـل مَـنـهـاةً لـه أبـدا
إنـي لـرافـده وُدّي ومـنـصـرتـي ... وحـافـظٌ غـيـبـه إن غـاب أَو شـهـدا

[البسيط]

صـوت

حـنَـتـنـي حـانـيـات الـدهـر حـتـى ... كـأنـي خـاتـلٌ يـدنـو لـصَـيـدِ

---

(١) إجتاب: قطع.
(٢) السند: ما قابلك من الجبل وعلا من السَّفح جمعها أسناد.
(٣) بَعُد: هلك.
(٤) أكدى: بخل وقلّ خيره.
(٥) الصلد: الشديد البخل.
(٦) اجرهَدّ: قحل.
(٧) الترنيق: التكدير.
(٨) الصعد: المشقة والتعب.
(٩) نكس: طأطأ.
(١٠) الرغد: سِعَة العيش.

قـريـب الـخـطـوِ يَـحـسـب مـن رآنـي ـ ولـسـت مـقـيَّـداً ـ أنـي بـقَـيـدِ
[الوافر]

عروضه من الوافر. الخاتل: الذي يتقتّر للصيد وينحني حتى لا يُرى. ويقال لكل من أَراد خِداع صيدٍ أَو إِنسانٍ: ختله، ورَّى أَمره فلم يُظهره. ومن رواه: «كأني خابل» فإنه يعني الذي ينصب حِبالةً للصيد. الشعر لأبي الطَّمحان القَيني. والغناء لإِبراهيم ماخوريّ وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر ابن حبيب أَن هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبيّ، فإِن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان ممَّا يُغنَّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أَنَّه له قوله:

صـوت

أضـاءت لـهـم أحـسـابـهـم ووجـوهـهـم دجـى الـلـيـل حـتـى نـظَّـم الـجـزع ثـاقـبُـهْ
[الطويل]

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل، وذكر ابن المعتز أَن خفيف الرمل لها، وأَن الثقيل الثاني لغيرها.

الفهرس العام

فهرس المحتويات

أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره ٥
كان الأعشى قدرياً ولبيد مجبّراً: ٥
خبر أساقفة نجران مع النبيّ ﷺ ٥
خبر قبة نجران: ٧
إستغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه: ١٣
أخبار عبد اللّه بن الحشرج ١٨
مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر: ١٨
طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة بن الأشهب فقال شعراً: ٢٢
مدحه زياد الأعجم فوصله: ٢٥
أخبار الطرماح ونسبه ٢٧
أثنى أبو نواس على بيت له: ٣٢
شعر له في الشراة: ٣٣
افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلا نعشه: ٣٤
أخبار بيهس ونسبه ٣٦
نسبه: ٣٦
أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر ٣٧
ردّد صوتاً أخذه من جارية أحبها: ٣٨
غنت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها: ٤٠
أخبار معن بن أوس ونسبه ٤٢
نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم: ٤٢

أخبار الحسين بن عبد اللَّه ٥٠
شعره في عابدة قبل زواجه بها: ٥٠
أخبار فضالة بن شريك ونسبه ٥٤
أخبار مروان الأصغر ٥٩
كان أهله شعراء وشعره دونهم: ٥٩
مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة: ٥٩
قال عليّ بن الجهم شعراً في حبسه، فعارضه فلم يطلقوه: ٦١
هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه: ٦٣
نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا: ٦٣
أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة: ٦٤
أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه ٦٥
جدّه وهو ظريف ويرمى بالأبنة: ٦٥
شعره في جارية سوداء لامه أهله في عشقه لها: ٦٥
قصته مع ابن سوَّار القاضي وداخته رحاص: ٦٥
جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنه وهو سكران محمول في
طبق: ٦٦
جوابه لمن اقترض منه فاعتذر: ٦٦
ضرط في جماعة فكلم إسته: ٦٧
غمز غلاماً أمرد فأجابه: ٦٧
يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة: ٦٧
حواره المقذع مع بشار: ٦٨
نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور: ٦٨
من قصيدة أخت الوليد بن ظريف في رثائه: ٦٩
مقتل الوليد بن طريف ٧١
ذكر الخبر في ذلك ٧١
خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد: ٧٢

من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد: ٧٢
كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله: ٧٤
من شعر أخته في رثائه: ٧٥
بعض أَخبار عبد اللَّه بن طاهر ٧٦
قصته مع محمد بن يزيد الأموي: ٧٨
شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه: ٨٥
ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان: ٩٣
أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانه: ٩٥
أخبار أبي زبيد ونسبه ٩٧
كان نصرانيّاً ومخضرماً: ٩٧
خوفه من الأسد: ١٠٠
شعره في ضربة المكاء: ١٠١
ما قاله في كلبه حين لقيه الأسد فقتله: ١٠١
مات نديم في غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره: ١٠٣
كان يدخل مكة متنكراً لجماله: ١٠٥
دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه: ١٠٦
الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق: ١٠٧
أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يغنّى فيه من شعرهما ١١٣
نسب محمد بن أمية: ١١٣
منادمته إبراهيم بن المهدي: ١١٣
أشعاره بخداع جارية خال المعتصم: ١١٤
إِعجاب أبي العتاهية بشعره: ١١٦
مزاحه مع مسلم بن الوليد: ١١٦
مداعبة مسلم له حين نفق برذونه: ١١٦
تعلقه بإِحدى الجواري: ١١٧
كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب: ١١٨

ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع: ١١٩
التقى بجارية يهواها: ١١٩
قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً: ١٢٠
شعر له فيها استحسنه ابن المعتز: ١٢١
ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء: ١٢٣
نسب المتوكل الليثي وأخباره ١٢٦
تناشد هو والأخطل الشعر: ١٢٦
ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق: ١٢٧
هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر: ١٣٠
نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره ١٣٤
كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم: ١٣٤
خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر ١٣٨
نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنى به ١٤٩
قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر: ١٥١
شعر في خولة غنّى فيه: ١٥٣
نسب منظور بن زبان ١٥٤
سبب تسميته منظوراً: ١٥٤
تزوج مليكة زوج أبيه: ١٥٤
لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها: ١٥٦
خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر ١٥٩
خبر عبد اللَّه بن معاوية ونسبه ١٧٤
نسبه: ١٧٤
طائفة من أخبار عبد اللَّه بن جعفر: ١٧٥
أدرك رسول اللَّه وروى عنه: ١٧٥
رآه النبي يلعب فداعبه: ١٧٥
وفاته عام الجحاف: ١٧٩

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه: ١٧٩
ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه: ١٧٩
وصيته لابنه معاوية عند وفاته: ١٨٢
بعض صفات عبد اللَّه بن معاوية: ١٨٢
خروج عبد اللَّه بن معاوية على بني أمية: ١٨٤
التجأ إلى أبي مسلم فحبسه: ١٨٦
كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه: ١٨٦
كانت الزنادقة من خاصته: ١٨٧
قسوته: ١٨٨
شعره في الحسين بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن العباس: ١٨٩
تغنّى إبراهيم الموصلي في شعره: ١٩١
شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوّجها غيره: ١٩٣
أخبار أبي وجزة ونسبه ١٩٥
دخل مع أبيه في بني سعد: ١٩٥
مات سنة ثلاثين ومائة: ١٩٧
هو أحد من شبب بعجوز: ١٩٧
مدح بني الزبير وأكرموه: ١٩٨
أحسن عمرو بن زناد جواره فمدحه: ١٩٩
مدح عبد اللَّه بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه: ٢٠٥
من المائة المختارة ٢٠٦
أخبار عقيل بن علفة ٢٠٧
نسبه: ٢٠٧
عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته فأجابه: ٢١١
زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء: ٢١٤
نهب بنو جعفر إبِلاً لجاره فردها إليه وقال شعراً في ذلك: ٢١٧
أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين: ٢١٨

مات ابنه علفة بالشام فرثاه: ٢١٨
من المائة المختارة ٢٢٠
أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه ٢٢١
إفتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه: ٢٢٢
عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فرثاهم: ٢٢٦
هجاه أرطاةُ بن سهيَّة ونفاه عن بني عوف: ٢٢٨
امتدح شعره عبد الملك بن مروان: ٢٢٨
كان عبد الملك يتمثل بشعره: ٢٢٨
سبب مهاجاته عقيل بن علفة: ٢٢٩
أخبار دقاق ٢٣٠
هجاها عيسى بن زينب: ٢٣٠
كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما: ٢٣١
قال فيها أَبو موسى الأعمى شعراً: ٢٣٢
من المائة المختارة ٢٣٣
نسب يزيد بن الحكم وأخباره ٢٣٤
خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس: ٢٣٥
حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس: ٢٣٦
شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك: ٢٣٧
روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه: ٢٣٨
شعره في جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه: ٢٣٩
كتاب الجارية إليه: ٢٣٩
شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد: ٢٤٠
من المائة المختارة ٢٤٢
أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه ٢٤٣
ولاه علي البصرة: ٢٤٣
كان أَول من وضع النحو ورسم أصوله: ٢٤٣

أمره زياد أن ينقط المصاحف: ٢٤٤
أخذ النحو عن علي بن أبي طالب: ٢٤٤
خبره مع زياد في سبب وضع النحو: ٢٤٤
أول باب وضعه في النحو باب التعجب: ٢٤٥
حديثه عن عمر بن الخطاب: ٢٤٥
حديثه عن علي بن أبي طالب: ٢٤٦
قصته مع جار له أذاه، وشعره في ذلك: ٢٦١
نزل في بني قشير فآذوه فقال فيهم شعراً: ٢٦٢
شعره في ابن مولاته لطيفة: ٢٦٩
وفاته: ٢٧٣
أخبار أبي نفيس ونسبه ٢٧٤
رثى يعلى زوجته حين توفيت بتهامة: ٢٧٦
أخبار سويد بن كراع ونسبه ٢٧٩
قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة: ٢٧٩